



للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

مركز
الغامبية



عليه السلام
الربيع

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

الحمد لله

عز وجل الذي لا يظلم



الذي لا يظلم
الذي لا يظلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلي الله عليه وآله وسلم

كاتب:

السيد جعفر مرتضى حسيني العاملي

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
13	الصحيح من سيرة النبي الأعظم المجلد 3
13	هوية الكتاب
13	اشارة
17	ادامة القسم الثالث: من البعثة حتي الهجرة
17	تمة الباب الاول: من البعثة الي الاعلان بالدعوة
17	الفصل الثاني: روايات بدء الوحي
17	روايات بدء الوحي
19	ما روي في بدء الوحي:
25	مناقشة روايات بدء الوحي:
31	إشارة:
40	و ثمة أسئلة أخرى:
41	و من الطعن في النبوة أيضا:
44	ما هو الصحيح في قضية بدء الوحي ؟ !
45	لماذا الكذب و الإفتعال إذن ؟ !
51	النتيجة:
53	الفصل الثالث: الدعوة في مراحلها الأولى
53	اشارة
55	أول من أسلم:
55	و من هؤلاء الأعلام:
59	بعض ما جاء في سبق علي عليه السلام إلى الإسلام:
61	تصريحات أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك:
62	دليل آخر:

63	خاتمة المطاف:
64	القول بأن خديجة أول من أسلم:
65	أبو بكر، وسبقه إلى الإسلام:
73	طريق جمع فاشل:
75	هدف الورعين {!!!} من الجمع بين الروايات.
76	تنبيه:
77	مقارنة، وهدف:
78	من أسلم بدعاية أبي بكر؟ !
78	ولكن ذلك كله محل شك وريب وذلك للأمور التالية:
79	وأما الذين أسلموا قبل المواجهة مع قريش، فنذكر منهم:
79	ومن الأولين أيضا:
84	سر التأكيد على دور أبي بكر:
85	هل عمير بن أبي وقاص من السابقين؟ !
85	إسلام أبي قحافة:
86	الدعوة في مراحلها التي اجتازتها:
87	المرحلة السرية:
88	النبي صَلَّى الله عليه وآله في دار الأرقم:
90	قريش لا تهتم لمرحلة ما قبل الإعلان:
90	إسلام أبي ذر رحمه الله:
93	ما يستفاد من حديث إسلام أبي ذر:
99	الباب الثاني: حتى وفاة أبي طالب عليه السلام
99	إشارة
101	الفصل الأول: الإسراء والمعراج
101	إشارة
103	الإسراء والمعراج:

104	متى كان الإسراء والمعراج؟ !
106	الأدلة على المختار:
112	تسمية أبي بكر بالصدّيق
113	الإسراء والمعراج في القنطة أو في المنام؟ !
116	الإسراء والمعراج في القرآن:
118	توضيح:
119	الداعية الحكيم:
120	لا تدركه الأبصار:
127	الإسراء من المسجد:
127	موسى، و فرض الصلوات الخمس:
128	ونحن هنا نشير إلى الأسئلة التالية:
133	استبعاد الإسراء والمعراج:
134	من أهداف الإسراء والمعراج:
137	الأذان:
137	اليهود والمسجد في القرآن:
138	مفاد الآيات إجمالاً:
139	ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة:
143	أقوال الرواة والمفسرين:
145	رأى العلامة الطباطبائي رحمه الله:
147	رأى آخر في الآيات:
148	رأى آخر:
151	و ثمة رأى آخر أيضاً:
151	ماذا تقول الروايات؟ !
152	الرأى الأمثل:
154	القميون يقاتلون الإسرائيلين:

155	 الغرب وإسرائيل:
155	 الحروب الطويلة والصعبة:
156	 الفلسطينيون والأرض:
159	 الفصل الثاني: إنذار العشيرة
159	 إشارة
161	 أهداف الإسلام:
162	 الحاجة إلى الوزير والوصي:
164	 وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ:
167	 التعصب الأعمى:
168	 ابن تيمية، وحديث الدار:
169	 الرد على ابن تيمية:
176	 نقاط هامة في حديث الإنذار
176	 أروايات لا يمكن أن تصح:
178	 ب- ما المراد بكونه خليفته في أهله:
179	 ج- لماذا تخصص العشيرة بالدعوة؟ !:
181	 د- علي عليه السلام في يوم الإنذار:
182	 هـ- موقف أبي طالب رحمه الله:
182	 و- موقف أبي لهب:
183	 ز- الإنذار أولاً:
185	 ح- ماذا قال النبي صَلَّى الله عليه وآله في يوم الإنذار؟ !:
186	 ط- التبشير والإنذار:
187	 ي- أخي ووصي:
188	 آخر حملات التشكيك في حديث الإنذار:
196	 خلاصة الأمر:
197	 مناقشة ما تقدم:

209	الفصل الثالث: حتى الهجرة إلى الحبشة
209	اشارة
211	فاصدع بما تؤمر:
213	المفاوضات الفاشلة:
213	اشارة
215	أ-قريش لم تصل إلى نتيجة:
216	ب: سر استكبار قريش:
218	ماذا بعد فشل المفاوضات؟
221	المعذبون في مكة:
221	مع المعذبين أيضا:
222	المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر:
229	هل عذب المشركون أبا بكر؟!
231	ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيسا؟!
232	ملاحظة أخيرة:
233	أول شهيد في الإسلام من آل ياسر:
235	عمار بن ياسر:
235	التقية في الكتاب و السنة:
236	ملاحظة:
237	و أما من السنة، فنذكر:
239	و أما التقية في التاريخ:
247	التقية ضرورة فطرية عقلية دينية إصلاحية:
251	الفصل الرابع: هجرة الحبشة
251	اشارة
253	لا بد من حل:
254	سر اختيار الحبشة:

256	الهجرة إلى الحبشة:
258	أمير الهجرة جعفر:
258	من هو أول مهاجر إلى الحبشة؟:
259	هجرة أبي موسى إلى الحبشة لا تصح:
260	رقة عمر للمهاجرين:
261	هجرة أبي بكر لا تصح:
266	فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره:
267	محاولة قريش اليانسة:
270	قريش وخططها المستقبلية:
272	الثورة على النجاشي:
273	عودة بعض المهاجرين:
273	قصة الغرائق:
283	تساؤلات حائرة:
284	حقيقة الأمر:
287	الفصل الخامس: حتى الشعب
287	إشارة
289	تناقضات في تاريخ إسلام حمزة عليه السلام:
289	إسلام حمزة عليه السلام:
292	إسلام حمزة كان عن وعي لا حمية:
292	سر جبن أبي جهل في مواجهة حمزة:
294	ملاحظة هامة:
294	عبس وتولى:
300	المذنب رجل آخر:
301	سؤال و جوابه:
302	الرواية الصحيحة:

303	إتهام عثمان:
304	تاريخ هذه القضية:
304	أعداء الإسلام وهذه القضية:
304	أكاذيب أخرى مشابهة:
307	قضية إسلام عمر بن الخطاب:
311	و ثمة أوسمة أخرى:
311	اشارة
312	1-متى كان إسلام عمر؟ !
312	اشارة
312	متى أسلم عمر إذا؟ !
318	2-من سمي عمر بالفاروق؟ !
319	3-هل كان عمر قارناً؟ !
319	اشارة
322	ملاحظة:
323	و ملاحظة أخرى:
323	4-هل عز الإسلام بعمر حقاً؟ !
330	5-غسل عمر لمس الصحيفة:
331	6-نزول آية في إسلام عمر:
332	ملاحظات أخيرة:
334	خاتمة المطاف:
337	الفصل السادس: في شعب أبي طالب عليه السلام
337	اشارة
339	المقاطعة:
342	أموال خديجة، و سيف علي عليهما السلام:
344	حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين:

346	انشقاق القمر:
348	شبهة، وحلها:
351	انشقاق القمر: الحدث الكبير:
353	إمكان الانشقاق والالتام علميا:
355	دلالة الآية القرآنية على ذلك:
358	الأساطير:
358	نقض الصحيفة:
360	حنكة أبي طالب، وإيمانه:
361	القبلية وآثارها:
362	ما بعد نقض الصحيفة:
363	وفد من الحبشة:
364	من مواقف أبي طالب:
367	مع توضيحات أبي طالب عليه السلام:
367	سؤال وجوابه:
370	عام الحزن:
371	الحب في الله والبغض في الله:
375	الفهارس
375	إشارة
377	1-الفهرس الإجمالي
379	2-الفهرس التفصيلي
388	تعريف مركز

عنوان و نام پدیدآور: الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) / جعفر مرتضى العاملي

مشخصات نشر: سحرگاهان، 1419 ق. = 1377.

مشخصات ظاهري: ج 35

شابک: 130000 ریال (دوره کامل)؛ 130000 ریال (دوره کامل)؛ 130000 ریال (دوره کامل)؛ 130000 ریال (دوره کامل)؛
130000 ریال (دوره کامل)؛ 130000 ریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی: فیفا

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت: افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت: جلد دهم: الفهارس

یادداشت: کتابنامه

موضوع: محمد (ص)، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11 ق. -- سرگذشتنامه

موضوع: اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41 ق.

رده بندی کنگره: BP22/9 /ع 2 ص 3 1377

رده بندی دیویی: 297/93

شماره کتابشناسی ملی: م 77-15929

محرر الرقمي: میثم حیدری

ص: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 2

الصحيح من سيرة النبي الأعظم

تأليف: جعفر مرتضى عامري

الجزء الثالث

ص: 3

الصحيح من سيرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم الجزء الثالث للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

ادامة القسم الثالث: من البعثة حتي الهجرة

تتمة الباب الاول: من البعثة الي الاعلان بالدعوة

الفصل الثاني: روايات بدء الوحي

روايات بدء الوحي

ص: 5

ما روي في بدء الوحي:

روى البخاري و مسلم وغيرهما، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة في بدء الوحي ما ملخصه: أن الملك جاء للنبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في غار حراء، فقال: اقرأ.

قال: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطني (1) حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.

فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.

فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (2).

فرجع بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرجف فؤاده؛ فدخل على

ص: 7

1- غط الشيء: كبسه و عصره عصرا شديدا.

2- الآيات من 1 إلى 3 من سورة العلق.

خديجة بنت خويلد، فقال زملوني (1)، زملوني، حتى ذهب عنه الروح؛ فقال لخديجة-وقد أخبرها الخبر-: لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل، بن أسد، بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم إسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله» خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا (2)، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أو مخرجي هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

ثم لم ينشب (3) ورقة أن توفي، وفتر الوحي (4).

ص: 8

1- زمل فلانا بثوبه: لفه به.

2- الجذع: الب الحدث.

3- لم ينشب: لم يلبث.

4- صحيح البخاري ط مشكول ج 1 ص 5-6 وج 9 ص 38، وصحيح مسلم ج 1-

و ثمة روايات كثيرة أخرى متناقضة و متعارضة، و نذكر منها على سبيل المثال: 1- هناك رواية تقول: إن خديجة أرسلته مع أبي بكر إلى ورقة بن نوفل فأخبره «صلى الله عليه وآله» أنه يسمع نداء خلفه: يا محمد، يا محمد، فينطلق هاربا في الأرض، فأمره ورقة أن يثبت؛ ليسمع ما يقول ثم يخبره، ففعل فناداه: يا محمد، قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حتى بلغ، وَ لَا الضَّالِّينَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فأخبر ورقة؛ فبشره بأنه هو الذي بشر به ابن مريم؛ فلما توفي ورقة قال «صلى الله عليه وآله»: لقد رأيت القس في الجنة، عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي و صدقني (1).

2- و رواية أخرى تقول: بعد أن ذكرت: أن خديجة أخبرت ورقة بالأمر، فأخبرها أنه نبي هذه الأمة- إنه بعد مدة التقى بالنبي «صلى الله عليه وآله» و هما يطوفان، فسأله ورقة عما رأى و سمع؛ فأخبره، فأخبره ورقة أنه نبي هذه الأمة (2).

3- إنه لما أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» خديجة بما رأى، بشرته بأنه نبي هذه الأمة، و أن الذي أخبرها بذلك هو غلامها ناصح، و بحيرا (4) ص 97، و ليراجع تاريخ الطبري ج 2 ص 47، و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 322-323، و تاريخ الخميس ج 1 ص 282، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 82 و السيرة الحلبية ج 1 ص 242-243 و راجع: الأوائل ج 1 ص 145-146.

ص: 9

-
- 1- البداية و النهاية ج 3 ص 9-10 و الروض الأنف ج 1 ص 274-275 و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 83-84 و السيرة الحلبية ج 1 ص 250، و سيرة مغلطاي ص 15.
 - 2- البداية و النهاية ج 3 ص 12-13 و سيرة ابن هشام ج 1 ص 254، و السيرة الحلبية ج 1 ص 239-240، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 81-82.

الراهب، وأمرها أن تتزوجه منذ أكثر من عشرين سنة، ولم تزل برسول الله حتى طعم، وشرب، وضحك، ثم خرجت إلى الراهب، وكان قريبا من مكة فأخبرته، فأخبرها: أن جبرئيل هو أمين الله، ورسوله إلى الأنبياء «عليهم السلام» ثم أتت عداسا، فسألتها، فأخبرها بمثل ذلك.

ثم أتت ورقة، فأخبرها بمثل ذلك، ولكنها حلفت أن يكتم الأمر، فطلب منها أن ترسل ابن عبد الله إليه؛ ليسأله، ويسمع منه؛ مخافة أن يكون الذي جاءه هو غير جبرئيل، فإن بعض الشياطين يتشبه ليضل ويفسد، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدللها مجنونا، فرجعت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبرته بمقالة ورقة، فنزل قوله تعالى: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (1).

ولكنها أصرت عليه أن يذهب إلى ورقة، ففعل، وصدقه ورقة، فذاع قول ورقة و تصديقه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فشق ذلك على الملأ من قومه (2).

4- إن خديجة طلبت منه أن يخبرها حين يأتيه الملك ففعل، فأمرته أن يجلس إلى شقها الأيمن؛ ففعل، فلم يذهب الملك، فأجلسته في حجرها، فلم يذهب، فتحسرت فشالت خمارها، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجرها، فذهب الملك، فقالت: ما هذا بشيطان، إن هذا لملك يا ابن عم، فاثبت و ابشر.

ص: 10

1- الآيتان 1 و 2 من سورة القلم.

2- البداية والنهاية ج 3 ص 14-15 وراجع: الأوائل لأبي هلال العسكري ج 1 ص 146.

وفي رواية: أنها أدخلت رسول الله بين جلدها ودرعها، وأخرجت رأسه من جيبيها؛ فذهب جبرئيل «عليه السلام» عند ذلك (1).

وفي رواية: أن ذلك كان بإشارة ورقة (2).

5-في رواية: إن ورقة قال لخديجة: إسألني من هذا الذي يأتيه، فإن كان ميكائيل، فقد أتاه بالخفض والدعة واللين وإن كان جبرئيل، فقد أتاه بالقتل والسبي؛ فسألته، فقال: جبرئيل، فضربت خديجة جبهتها (3).

6-وفي رواية: أنه لما أتاه الوحي قال:

« . إن الأبعد-يعني نفسه-لشاعر أو مجنون، لا تحدّث بها قريش عني أبدا، لأعمدن إلى حالق من الجبل؛ فلاطرحن نفسي منه، فلاقتلنها، ولأستريحن» .

قال: فخرجت أريد ذلك حتى إذا كان في وسط جبل سمع صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله.

ثم تستمر الرواية حتى تذكر: أنه ذكر لخديجة: أن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت: أعينك بالله من ذلك، ثم التقت بورقة؛ فأرسل إليه بالثبات،

ص: 11

1- البداية و النهاية ج 3 ص 15-16، و سيرة ابن هشام ج 1 ص 255، و الطبري ج 2 ص 50 و تاريخ الخميس ج 1 ص 283، و السيرة الحلبية ج 1 ص 251، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 84.

2- السيرة الحلبية ج 1 ص 252.

3- تاريخ يعقوبي ط صادر ج 2 ص 23.

ثم التقى به في الطواف، فجرى له معه ما جرى (1).

وعند السهيلي وغيره: أن خديجة سألت ورقة، وعداسا، ونسطورا، عن أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» (2).

7- وفي رواية: أن عداسا أعطاهما كتابا لتضعه على النبي «صلى الله عليه وآله»؛ فإن كان مجنونا شفي، وإلا لم يضره شيئا، فلما عادت إليه بالكتاب وجدت معه جبرئيل يقرئه الآيات من سورة القلم، ففرحت، وأخذته إلى عداس، فكشف عداس عن ظهره؛ فوجد خاتم النبوة بين كتفيه إلخ. (3).

ويروي البعض: أنه «صلى الله عليه وآله» لما أخبرها بجبرئيل كتبت إلى بحيرا الراهب، وقيل: سافرت بنفسها إليه لتسأله عن الأمر (4).

8- وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» حين ذهب ليردّي من شواهد الجبال، كان إذا ارتقى بذروة جبل، تبدّى له جبرئيل، ويخاطبه بالرسالة، فيسكن جأشه، وتطمئن نفسه (5).

9- ويروون أيضا: أنه كان «صلى الله عليه وآله» قبل النبوة يتعرض للرعدة، وتغميض العينين، وتردد الوجه، ولما يشبه الإغماء، ويغط كغطيط البكر (6).

ص: 12

1- تاريخ الطبري ج 2 ص 49-50.

2- الروض الأنف ج 1 ص 273، والأوائل لأبي هلال العسكري ج 1 ص 146.

3- تاريخ الخميس ج 1 ص 284، والسيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 83، والسيرة الحلبية ج 1 ص 243-244.

4- السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 83 والسيرة الحلبية ج 1 ص 244.

5- المصنف ج 5 ص 323.

6- السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 84، والسيرة الحلبية ج 1 ص 252.

10- وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» عاد إلى أهله مسرورا موقنا: أنه قد رأى أمرا عظيما، فلما دخل على خديجة قال: أريتك الذي كنت حدثتك: أني رأيته في المنام؛ فإن جبرئيل استعلن إلي، أرسله إلي ربي عز وجل، وأخبرها بالذي جاءه من الله، وما يسمع منه، فقالت له: أبشر، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا، وأقبل الذي جاءك من أمر الله، فإنه حق، وأبشر؛ فإنك رسول الله حقا.

ثم انطلقت إلى عداس النصراني، غلام عتبة بن ربيعة من أهل نينوى، فسألته عن جبرئيل؛ فتعجب من ذكر جبرئيل بتلك الأرض، ثم أخبرها بأنه أمين الله بينه وبين الأنبياء «عليهم السلام»، ثم جاءت إلى ورقة إلخ. (1).

هذا غيض من فيض، مما قيل ويقال حول ما جرى حين بدء الوحي، و كلفيته و ملابساته، من روايات، و أقاويل متضاربة و متناقضة.

ولنتقل الآن إلى الإشارة إلى بعض ما لنا من مناقشات في تلك الأراجيف المتقدمة، متوخين الإيجاز و الاختصار مهما أمكن فنقول:

مناقشة روايات بدء الوحي:

إننا في مجال بيان ما في تلك الروايات من خلل و خلل، لا نستطيع أن نستوعب كل ما فيها من نقاط ضعف؛ لأن استيعاب ذلك -كما يبدو- يحتاج إلى وقت طويل، بل إلى مؤلف مستقل. . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، لأننا نريد أن نسهم بدورنا في الذب عن مقام النبوة الأقدس،

ص: 13

ولو بشكل محدود و مقتضب، و ما نريد أن نشير إليه هنا هو:

أولاً: من حيث السند، و حيث إن العمدة في ذلك هو ما ورد في الصحيحين وغيرهما، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، فنحن نكتفي بالإشارة الإجمالية إلى حال هؤلاء، فنقول:

ألف-الزهري: كان من أعوان الظالمين، و من الذين يركنون لهم (1)، و كان عاملاً لبني أمية (2) و يقول المحقق التستري: إنه كان كاتباً لهشام بن عبد الملك، و معلماً لأولاده (3).

وعده الثقفى من فقهاء الكوفة الذين خرجوا عن طاعة علي «عليه السلام»، و كانوا أهل عداوة له و بغض، و خذلوا عنه (4).

و جلس هو و عروة في مسجد المدينة فنادا من علي «عليه السلام»، فبلغ ذلك السجاد «عليه السلام»، فجاء حتى وقف عليهما.

فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك، فحكم لأبي على أيبك و أما أنت يا زهري؛ فلو كنت أنا و أنت بمكة لأريتك كنّ (5) أيبك (6).

ص: 14

1- راجع: سفينة البحار ج 1 ص 572 و 573 و معجم رجال الحديث ج 16 ص 182 عن ابن شهر آشوب.

2- كشف الغمة ج 2 ص 317.

3- راجع ترجمة الزهري في قاموس الرجال ج 6.

4- الغارات للثقفى ج 2 ص 558-560 و راجع: سفينة البحار ج 1 ص 572.

5- الكن: البيت.

6- شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 102، و الغارات للثقفى ج 2 ص 578، و البحار ج 46 ص 143 و راجع: سفينة البحار ج 1 ص 572.

ونحن لا نستطيع أن نثق بأعوان الظلمة، وبمبغضي علي «عليه السلام»، كيف وقد قال «صلى الله عليه وآله»: «من سب عليا فقد سبني» ؟ (1).

ب-عروة بن الزبير، عن عروة قال: أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب {رض}؛ فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء، فيتكلمون بالكلام، نعلم أن الحق غيره؛ فنصدقهم، ويقضون بالجور، فنقويهم، ونحسنه لهم؛ فكيف ترى في ذلك؟

فقال: يا بن أخي، كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» نعد هذا النفاق؛ فلا أدري كيف هو عندكم (2).

فعروة يعتبر أئمة الجور أئمتهم، وابن عمر يحكم عليه بالنفاق، وعده الإسكافي من التابعين، الذين كانوا يضعون أخبارا قبيحة في علي «عليه السلام» (3)، وكان يتألف الناس على روايته (4).

وروى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة، عن عائشة في علي «عليه السلام»، فسألته عنهما يوما.

ص: 15

-
- 1- مستدرك الحاكم ج 3 ص 121 وصححه الذهبي في تلخيص المستدرك هامش نفس الصفحة.
 - 2- سنن البيهقي ج 8 ص 165، وقريب منه ما في ص 164 من دون ذكر اسم {عروة} ومثله الترغيب والترهيب ج 4 ص 382 عن البخاري وإحياء علوم الدين ج 3 ص 159 وفي هامشه عن الطبراني و حياة الصحابة ج 2 ص 76.
 - 3- شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 63.
 - 4- صفة الصفوة ج 2 ص 85، وتهذيب التهذيب ج 7 ص 182.

فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما؟ إني لأتھمھما في بني هاشم (1).

و كان عروة إذا ذكر عليا نال منه (2)، و يصيبه الزمع؛ فيسبه، و يضرب إحدى يديه على الأخرى إلخ (3).

و بعد ذلك كله؛ فإنه لم يثبت سماع الزهري عنه، و لكن أهل الحديث اتفقوا على ذلك (4).

ج-أما عائشة: التي حاربت عليا و عادته، و التي يتھمها الزهري بأنها لا تؤمن في بني هاشم؛ فقد أرسلت هذه الرواية، و لم تبين لنا عمن روتها، فإنهم يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثة، و إن كنا نحن نناقش في ذلك (5).

و أخيرا، فإن لنا كلاما طويلا في بقية الأسانيد في الصحاح و غيرها لا مجال له هنا، و نكتفي بهذا القدر، لنشير إلى بقية ما في الرواية من هنات.

ثانيا: تناقض الروايات الظاهر لدى كل أحد، و يظهر ذلك بالملاحظة و المقارنة، و نكل ذلك إلى القارئ نفسه، و هذا يعطي أن هناك طائفة من الروايات مكذوبة لأن هذا الاختلاف لم يكن بالزيادة و النقيصة ليتمكن قبوله؛ على اعتبار أن أحد الرواة قد حفظ و لم يحفظ الراوي الآخر. . أو تعلق غرضه بهذا النحو من النقل، و ذاك بنحو آخر، و كذا لو كان التناقض

ص: 16

1- شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 64، و قاموس الرجال ج 6 ص 299.

2- الغارات ج 2 ص 576، و شرح النهج ج 4 ص 102.

3- قاموس الرجال ج 6 ص 300.

4- تهذيب التهذيب ج 9 ص 450.

5- سيأتي ذلك إن شاء الله في فصل: حتى بيعة العقبة.

في مورد واحد مثلاً، فلربما يمكن الاعتذار عن ذلك بأن من الممكن وقوع الاشتباه غير العمدي من أحد النقلة.

ولكن الأمر هنا أبعد من ذلك، فإن التناقض والاختلاف إن لم يكن في كل ما تضمنته تلك الروايات من نقاط، ففي جلها مما يعني أن ثمة تعمدًا للوضع والجعل، وقديماً قيل: «لا حافظة لكذب» .

هذا كله، مع غض النظر عن المناقضة بين هذه الروايات وبين الرواية التي يذكرها البخاري نفسه في أول كتابه بعد هذه الرواية مباشرة من أن أول ما نزل عليه «صلى الله عليه وآله» هو سورة المدثر، ويلاحظ أنه ليس في تلك الرواية ذكر لأي شيء من تلك الأمور الغريبة والعجيبة التي تضمنتها رواية عائشة السابقة عليها؛ فإن عدم ذكرها لشيء من ذلك يورث الشك والريب، ويشير أكثر من سؤال عن السبب في إهمال التعرض لذلك.

ثالثاً: إن رواية الصحاح، بل وسائر الروايات تذكر:

أن جبرئيل قد أخذ النبي «صلى الله عليه وآله» فغطه، أي عصره وحبس نفسه أو خنقه حتى بلغ منه الجهد، أو حتى ظن أنه الموت، ثم أرسله، وأمره بالقراءة؛ فأخبره النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه لا يعرفها، فلم يقنع منه، بل عاد فغطه، ثم أرسله، وهكذا ثلاث مرات.

ولنا على هذا الكلام العديد من الأسئلة.

فإننا لا نعرف ما هو المبرر لذلك كله؟

وكيف جاز لجبرئيل أن يروع النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وأن يؤذيه بالعصر والخنق، إلى حد أنه «صلى الله عليه وآله» يظن أنه الموت، يفعل به ذلك، وهو يراه عاجزاً عن القيام بما يأمره به ولا يرحمه، ولا يلين له!!

ص: 17

ولماذا يفعل به ذلك ثلاث مرات، لا أكثر ولا أقل؟! .

ولماذا صدقه في الثالثة، ولا يصدقه في المرة الأولى؟ أو الثانية؟!

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد كذب عليه أولاً، فكيف بقي أهلاً للنبوّة؟! وإذا كان قد صدقه فلماذا لم يقتنع جبرئيل بكلامه، و عاد فخنقه حتى ليظن أنه الموت؟! .

وأيضاً، هل جاء جبرئيل إليه بكتاب ليقرأه؛ إذ إن قوله «صلى الله عليه وآله» : «ما أنا بقارئ» إنما يصح لو كان «صلى الله عليه وآله» قد فهم أن جبرئيل يأمره بالقراءة نفسها-لا بتعلم القراءة-كما ذكره السندي (1).

وإذا كان المراد: القراءة بمعنى التلاوة؛ فلماذا يطلب منه جبرئيل ذلك، قبل أن يتلو عليه شيئاً؟ . ثم لماذا يعاند هو ويرفض ذلك؟!

وبعد هذا كله، لماذا يستسلم النبي «صلى الله عليه وآله» لجبرائيل ليعذبه على هذا النحو الذي لا مبرر له؟

ثم لماذا يرجع مرعوباً خائفاً؟! ألم يكن باستطاعته أن يلطمه لطمّة يقلع بها عينه؟ كما فعل موسى بملك الموت من قبل؟! حيث إنه لما جاء ليقبض روحه، لطمه على عينه فقلعها، كما نص عليه البخاري، وكثير من المصادر الأخرى!! (2).

ص: 18

1- حاشية السندي على البخاري بهامشه ج 1 ص 3 ط سنة 1309 هـ.

2- البخاري ط سنة 1309 هـ ج 1 ص 152، أبواب الجنائز، و ج 2 ص 159 باب وفاة موسى عليه السلام، و صحيح مسلم ج 7 ص 100 باب فضائل موسى، و مسند أحمد ج 2 ص 315، و مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 11 ص 274، و سنن-

أم يعقل: أنه كان-و العياذ بالله-جباناً إلى هذا الحد؟! وكانت الشجاعة من مختصات نبي الله موسى وحده؟!!

وأخيراً، كيف يخاف نبينا هنا، والله تعالى يقول: يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (1).

قد ورد أن زرارة بن أعين سأل الإمام الصادق «عليه السلام»: كيف لم يخف رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزع به الشيطان؟

فقال: إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه (2).

إشارة:

هذا، و من المضحك المبكي هنا: أن نجد البعض يحاول أن يستدل بهذه الرواية على رأي يكذبه العقل و النقل، و بالذات يكذبه نص القرآن الكريم؛ فنراه يجعل ذلك دليلاً- على جواز التكليف بما لا يطاق (2)- كما هو مذهبهم- (3)- النسائي ج 4 ص 118، و تاريخ الطبري ج 1 ص 305، و البداية و النهاية ج 1 ص 317، و الغدير ج 11 ص 140 و 141 عن بعض من تقدم، و عن: مختصر تذكرة القرطبي للشعراني ص 29، و العرائس للثعلبي ص 139 و كشف الأستار عن مسند البزار، ج 1 ص 404 و مجمع الزوائد ج 8 ص 204.

ص: 19

1- الآية 10 من سورة النمل.

2- فتح الباري ج 8 ص 551، و إرشاد الساري ج 1 ص 63.

3- تفسير العياشي ج 2 ص 201 و البحار ج 18 ص 262.

الأمر الذي يصادم العقل و الفطرة، و يخالف القرآن، كما في قوله تعالى:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (1)، وقوله: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (2)، وقوله: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (3) وغير ذلك كثير.

رابعاً: حول ما يذكر من خوفه «صلى الله عليه وآله»، و دور زوجته و ورقة و غيرهما في بعث الطمأنينة في نفسه نذكر:

ألف: كيف يجوز إرسال نبي يجهل نبوة نفسه، و يحتاج في تحقيقها إلى الاستعانة بامرأة، أو نصراني؟ ألم تكن هي فضلاً عن ذلك النصراني أجدر بمقام النبوة من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟

و حتى لو قبلنا ذلك، فمن أين علم: أن تلك المرأة و ذلك الرجل قد صدقاه، و قالوا الحقيقة؟

و لماذا لم يستطع هو أن يدرك ما أدركته تلك المرأة، و ذلك النصراني؟!

أم يعقل أن يكون كلاهما أكبر عقلاً و أكثر معرفة بالله و تفضلاته منه؟! نعوذ بالله من الزلل في القول و العمل.

و إذا جاز أن يرتاب هو مع معاينته لما يأتيه من ربه، فكيف ينكر على من ارتاب من سائر الناس، مع عدم معاينتهم لشيء من ذلك؟! .

قال السندي: «مقتضى جواب خديجة، و الذهاب إلى ورقة: أن هذا كان

ص: 20

1- الآية 286 من سورة البقرة.

2- الآية 78 من سورة الحج.

3- الآية 185 من سورة البقرة.

منه على وجه الشك، و هو مشكل بأنه لما تم الوحي صار نبيا، فلا يمكن أن يكون شاكا بعد في نبوته، وفي كون الجائي عنده ملكا من الله، و كون المنزل عليه كلام رب العالمين»!! ثم حاول السندي توجيه ذلك بأنه «صلى الله عليه وآله» أراد اختبار خديجة، وأن يمهد لإعلامها بالأمر (1).

و هو توجيه عجيب، فإننا لم نعهد منه «صلى الله عليه وآله» اتباع مثل هذه الأساليب الملتوية في الوصول إلى مقاصده و نحن نجله «صلى الله عليه وآله» عن نسبة الكذب إليه على خديجة، معاذ الله، ثم معاذ الله!!.

ثم. . كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقي نفسه من شواهد الجبال، و غير ذلك مما تقدم مما ذكرته روايات الوحي؟!

و أيضا، كيف يبعث الله رجلا، لم يتعهد بالتربية و الإعداد، بحيث يستطيع أن يكون في مستوى الحدث العظيم الذي ينتظره؟!

نعم، كيف أهمله هكذا، حتى إنه حين بعثه ليدعو مذكورا خائفا، ظانا بنفسه الجنون، يريد أن يلقي بنفسه من شواهد الجبال، حتى كأنه طفل تائه، يملأ قلبه الهم، يحتاج إلى من يطمئنه، و يهديه، و يأخذ بيده، و لو امرأة أو أي إنسان عادي آخر؟!

هذا كله عدا عن أن ذلك يدل و العياذ بالله على ضعف إرادته، و ضالة شخصيته.

و أين ذهبت عن ذاكرته تلك الكرامات التي كان يواجهها، دون كل

ص: 21

أحد، كتسليم الشجر والحجارة عليه (1)، والرؤيا الصادقة، وغير ذلك مما ذكره المؤلفون والمؤرخون؟ !.

ب: قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ (2).

وقال تعالى: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِنُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (3).

وقال: قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي (4) وقال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (5).

إذن، فالنبوة، وتنزيل القرآن، ليسا إلا- لتثبيت المؤمنين، ولتثبيت فؤاد النبي «صلى الله عليه وآله»، وهذا يتنافى مع قولهم: إن نفسه الشريفة قد سكنت اعتمادا على قول نصراني، أو امرأة.

كما أن من الواضح: أنه لا حجة بينة في قول ورقة، أو خديجة، فكيف صح أن يقول: قل هذه سبيلي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي؟

خامسا: لا بد من الإشارة إلى بعض الكلام حول ورقة، ونسطور، وعداس، وبحيرا وغيرهم، ممن ذكرت أسماؤهم فيما تقدم، وعمدة الروايات

ص: 22

1- سيرة ابن هشام ج 1 ص 234-235.

2- الآية 32 من سورة الفرقان.

3- الآية 102 من سورة النحل.

4- الآية 57 من سورة الأنعام.

5- الآية 108 من سورة يوسف.

تتجه نحو ورقة، و تركز عليه، لا سيما وأنه هو الذي نص عليه البخاري، وغيره من المصادر الموثوقة لدى غير الشيعة.

ألف-أما نسطور، وبحيرا، فهما الراهبان اللذان تنسب إليهما القضية التي جرت للنبي «صلى الله عليه وآله» في صغره، حينما سافر مع أبي طالب إلى الشام، وبصرى حيث بشر نسطور أو بحيرا بنبوة النبي «صلى الله عليه وآله»، وأمر بإعادته «صلى الله عليه وآله» إلى مكة كما تقدم.

و إذا كان بحيرا أو نسطور في بصرى-وهي قصبة كورة حوران في الشام من أعمال دمشق-فإيرد السؤال: كيف سافرت خديجة من مكة إلى الشام هذه السفرة الطويلة؟ أو متى كتبت إليه فأجابها؟

مع أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» بعث في أول يوم، فأسلم علي و خديجة «عليهما السلام» في اليوم الثاني، وصليا معه مسلمين مؤمنين بنبوته (1).

و هل كان في ذلك الزمان طائرات؟ أو أنها سافرت على بساط الريح، أو طويت لها الأرض؟! ولا ندري، فلعلهما قد انتقلا ليسكننا قرب مكة، لتتمكن خديجة من استشارتهما في الوقت المناسب، ثم لا يعود يسمع لهما ذكر أصلا، لأن مهمتهما قد انتهت {!!!} .

ص: 23

1- مستدرك الحاكم ج 3 ص 112 و تلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة و فرائد السمطين ج 1 ص 243، و الاستيعاب {مطبوع بهامش الإصابة} ج 3 ص 32 و المناقب للخوارزمي ص 21 و الجامع الصحيح ج 5 ص 640 و تيسير الوصول ج 2 ص 147.

ب-وعداس، أليس هو الذي أسلم على يد النبي «صلى الله عليه وآله» في الطائف بعد عشر سنين من البعثة أي بعد وفاة أبي طالب «عليه السلام»؟ و تروى القصة بنحو يدل أن عداسا لم يكن يعرف النبي «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك [\(1\)](#) ولا سمع به.

كما أن الروايات تنص على أن جوابه هو نفس جواب ورقة، وعلى أنه كان-كورقة-راهبا، كبير السن، قد وقع حاجباه على عينيه، وقد ثقل سمعه إلخ. وهذه الأوصاف يشاركه فيها غيره ممن سألتهم خديجة ما عدا ثقل السمع، الذي عوض عنه ورقة المسكين بالعمى..

و احتمال أن يكون عداس هذا غير ذاك، ليس له ما يؤيده، أو يشير إليه.

ويبقى هنا سؤال أخير، وهو: أنه كيف لم يسمع بإسلام هؤلاء: بحيرا، وعداس، ونسطور، من حين بعثته «صلى الله عليه وآله»، مع معرفتهم بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بعث، و مع أن سند نبوته قد تلقاه «صلى الله عليه وآله» منهم، حسب نص الروايات المتقدمة؟.

كما أن رواية عداس تقول: إنه لما عادت خديجة من عند عداس، إذا بجبرئيل يقرئ النبي «صلى الله عليه وآله» سورة القلم، وهذا مخالف لما يذكره المفسرون:

من أن هذه السورة إنما نزلت حينما وصف المشركون النبي «صلى الله

ص: 24

1- سيأتي ذلك في هذا الكتاب في فصل: الهجرة إلى الطائف.

عليه وآله» بأنه مجنون (1)، وواضح: أن هذا لم يحصل إلا بعد انتهاء فترة الدعوة السرية، وحينما صدع بما يؤمر به، كما هو معلوم.

ج-أما ورقة: فإنهم بالإضافة إلى ما ينسبونه إليه من دور هام في تثبيت نبوة نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»، نجدهم يذكرون: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال عن ورقة كلاما يدل على أنه في الجنة، ولكنهم اختلفوا في نص ذلك الكلام.

ففي رواية أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «لا تسبوا ورقة فإنني رأيت له جنة، أو جنتين. .» أو «رأيت في ثياب بيض» .

وفي أخرى: «لقد رأيت القس-يعني ورقة-في الجنة عليه ثياب الحرير» .

وفي الثالثة: «أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس» .

وفي رابعة: «قد رأيت فرايت عليه ثيابا بيضا، وأحسبه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض» (2).

وعده ابن منددة في الصحابة، وعده الزين العراقي على: أنه أول من

ص: 25

1- الدر المنثور ج 6 ص 250، والسيرة الحلبية ج 1 ص 244.

2- راجع تلکم النصوص في مستدرک الحاكم ج 2 ص 609 و تلخیصہ للذهبي هامش نفسه الصفحة، و صحاحه على شرط الشيخين، و سيرة مغلطاي ص 15 عن الحاكم، و المصنف ج 5 ص 324، و نسب قريش لمصعب الزبيري ص 207، و البداية و النهاية ج 3 ص 9، و الروض الأنف ج 1 ص 275، و السيرة الحلبية ج 1 ص 250، و أسد الغابة ج 5 ص 89، و الإصابة ج 3 ص 635، و غير ذلك.

أسلم، و مال إليه البلقيني (1).

و تقدم في الروايات حول بدء الوحي، التي هي موضع المناقشة: أنه صدق النبي «صلى الله عليه وآله»، وعرفه أنه نبي، و وعده النصر، ثم لم ينشب أن توفي.

هذا ما قيل عنه، و لكننا نجد في مقابل ذلك: 1- إن ابن عساكر يقول: «لا أعرف أحدا قال: إنه أسلم» (2).

2- و ابن الجوزي يقول إنه: «آخر من مات في الفترة، و دفن في الحجون، فلم يكن مسلما». و كذا قال غيره (3).

3- و ابن عباس يقول: «مات على نصرانيته» (4).

4- لقد مات على نصرانيته، مع أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، فكيف يدخل الجنة إذا؟ و يدل على أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، ما رواه غير واحد، من أنه كان يمر ببلال و هو يعذب، و نهاهم عنه فلم ينتهوا؛ فقال: و الله، لئن قتلتموه لأتخذن قبره حنانا (5) و تعذيب بلال إنما كان بعد

ص: 26

1- شرح بهجة المحافل ج 1 ص 74، و إرشاد الساري ج 1 ص 67.

2- الإصابة ج 3 ص 633.

3- الإصابة ج 3 ص 634، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 83-84 و السيرة الحلبية ج 1 ص 250.

4- السيرة الحلبية ج 1 ص 250، و الإصابة ج 3 ص 634.

5- حلية الأولياء ج 1 ص 148، و نسب قريش لمصعب ص 208، و إرشاد الساري ج 1 ص 67، و فتح الباري ج 1 ص 26، عن ابن

إسحاق، و ج 8 ص 554، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 84 و 125، و السيرة الحلبية ج 1 ص 252، و الإصابة ج 3-

الإعلان بالدعوة كما هو معروف.

وكيف يصح قول البعض: إنه مات بعد النبوة وقبل الرسالة؟! (1).

وقد أسلم علي و خديجة، و صلّيا ثاني يوم البعثة، بدعوة منه «صلى الله عليه وآله»، فلماذا بقي ورقة على نصرانيته هذه السنين المتعددة؟.

هذا، عدا عن أن البعض قد استنتج مما رواه البخاري وغيره، من أن سورة المدثر كانت أول ما نزل عليه «صلى الله عليه وآله»، وبالذات من قوله: قُمْ فَأَنْذِرْ -استنتج-: أن البعثة كانت مقترنة بالنبوة (2).

5-قال في الإمتاع وغيره: إن ورقة قد توفي في السنة الرابعة للمبعث أو بعد تتابع الوحي (3).

6-نقل عن الواقدي: أنه توفي بعد الأمر بالقتال (4)-و كان ذلك بعد الهجرة، و عليه فكيف يكون ورقة في الجنة عليه ثياب السندس أو الحرير؟! -و كيف يكون هو في الجنة، و أبو طالب حامي الإسلام و الدين في ضحضاح من نار؟! .

و بعد ذلك كله، فإننا لم نفهم سبب تردد النبي «صلى الله عليه وآله» في

(5) ص 634، و نهاية ابن الأثير ج 1 ص 266، و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 492.

ص: 27

1- السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 84 وغيره.

2- السيرة الحلبيه ج 1 ص 251.

3- السيرة الحلبيه ج 1 ص 250 و 252 عن كتاب الخميس عن الصحيحين، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 84.

4- إرشاد الساري ج 1 ص 67.

أن يكون له جنة أو جنتان، و لا نفهم أيضا، لماذا قال:

وأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض، أم لعله نسي أنه قد قال: إنه رآه في الجنة عليه ثياب السندس أو الحرير؟! أو أن النبي نفسه «صلى الله عليه وآله» قد ترقى و تدرج في التعرف على ما لورقة من مقام؟! أم أن ورقة نفسه قد ترقى في مدارج القرب والرفى؟! .

وأخيرا، فإننا لا ندري بعد ورود تلك الأقوال فيه لماذا لم يحكم المسلمون جميعا بأنه أول من أسلم، لا علي ولا خديجة، ولا غيرهما؟! و لماذا لا يعدونه من جملة الصحابة؟! .

وكيف يقولون: إنه توفي و هو على نصرانيته، ثم كيف يدخل هذا النصراني الجنة؟! .

كانت تلك بعض الأسئلة التي تحتاج إلى جواب. وأنى؟! .

و ثمة أسئلة أخرى:

هذا غيظ من فيض مما يرد على تلك الروايات، وبقي فيها الكثير من الأسئلة، التي تحتاج إلى جواب:

فمثلا: حول ذهاب الملك حينما كشفت خديجة قناعها، وأدخلته «صلى الله عليه وآله» بين درعها و جلدتها.

يرد سؤال: هل كان الحجاب في ذلك الوقت مفروضا تلتزم به النساء؟ ، وكيف ذلك؟ و هم يقولون: إن الحجاب قد فرض في المدينة بعد الهجرة؟ و بعد وفاة خديجة «عليها السلام» بسنوات؟! فكيف إذن أدركت خديجة أن الملك يذهب إذا كانت بلا قناع؟! .

وأيضا هل الملك مكلف بعدم النظر إلى نساء البشر؟! وهل للملك شهوة كشهوة الإنسان لا بد من الاحتراس منه لأجلها؟ ومن أين عرفت خديجة كل ذلك؟! .

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع والمفيد.

ومن الطعن في النبوة أيضا:

وبالمناسبة، فإن كل ما تقدم لم يفهم، بل زادوا عليه قولهم: إنه قد كان للنبي «صلى الله عليه وآله» عدو من شياطين الجن يسمى الأبيض، كان يأتيه في صورة جبرئيل، ولعله هو الشيطان الذي أعانه الله عليه فأسلم - كما يقولون (1).

وشيطانه هذا الذي أسلم كان يجري منه مجرى الدم (2).

وكان يدعو الله بأن يخسأ شيطانه؛ فلما أسلم ذلك الشيطان ترك ذلك (3).

وروا أنه عرض للنبي «صلى الله عليه وآله» في صلاته قال: فأخذت

ص: 29

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 253، وراجع: إحياء علوم الدين ج 3 ص 171 وفي هامشه عن مسلم، والغدير ج 11 ص 91 عنه، و المواهب اللدنية ج 1 ص 202، و مشكل الآثار ج 1 ص 30، و راجع حياة الصحابة ج 2 ص 712 عن مسلم وعن المشكاة ص 280 و راجع: المحجة البيضاء ج 5 ص 302-303.

2- مشكل الآثار ج 1 ص 30.

3- المصدر السابق.

بحلقه فخنقته فإني لأجد برد لسانه على ظهر كفي (1).

ويروون أيضا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد صلى بهم الفجر، فجعل يهوي بيديه قدامه، وهو في الصلاة؛ وذلك لأن الشيطان كان يلقي عليه النار؛ ليفتنه عن الصلاة (2).

ونقول:

ونحن لا نشك في أن هذا كله من وضع أعداء الدين؛ بهدف فسخ المجال أمام التشكيك في النبوة، وفي الدين الحق، وقد أخذه بعض المسلمين -لربما- بسلامة نية، وحسن طوية، وبلا تدبر أو تأمل، سامحهم الله، وعفا عنهم.

والغريب في الأمر: أننا نجدهم في مقابل ذلك يروون عنه «صلى الله عليه وآله» قوله لعمر:

«و الذي نفسي بيده ما أتيك الشيطان قط سالكا فجاء، إلا سلك فجاء غير فجك» (3)، وقوله له: «إن الشيطان ليخاف أو ليفرق منك يا

ص: 30

-
- 1- مسند أبي يعلى، ج 1 ص 506 و 360 و مسند أبي عوانة ج 2 ص 143 و السنن الكبرى ج 2 ص 264 و مسند أحمد ج 2 ص 298 و أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه، وثمة مصادر كثيرة أخرى وراجع الغدير ج 8 ص 95.
 - 2- المصنف ج 2 ص 24، وراجع: البخاري ط سنة 1309 هـ ج 1 ص 137، و ج 2 ص 143.
 - 3- صحيح مسلم ج 7 ص 115، و البخاري ط سنة 1309 هـ ج 2 ص 144 و 188، و مسند أحمد ج 1 ص 171 و 182 و 187. و الرياض النضرة ج 2 ص 299 و شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 178 و الغدير ج 8 ص 94.

عمر» (1) وقوله: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه» (2).

وعن مجاهد: كنا نتحدث، أو نحدث: أن الشياطين كانت مصفدة في إمارة عمر، فلما أصيب بثت (3).

وصارع عمر الشيطان مرات، وفي كل مرة يصصره عمر (4).

هذا عمر! وهذه حالة الشيطان معه! وذلك هو نبي الإسلام الأعظم «صلى الله عليه وآله»، و تلك هي حالته مع الشيطان عند هؤلاء الذين تروق لهم مثل هذه الترهات، ويتقبلونها من أعداء الإسلام، والمتاجرين به بسذاجة هي إلى الغباء أقرب.

فهم يقولون هذا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أنهم يدعون: أن الملائكة قد أجرت له «صلى الله عليه وآله»، خمس عمليات جراحية في صدره، لكي تخلصه من حظ الشيطان، كما في الحديث المزعوم عن شق صدره الشريف.

ولربما يكون الدافع لدى بعضهم أن يجد لأبي بكر الذي قال حين

ص: 31

1- صحيح الترمذي كتاب 46 باب 17 وفيض القدير عنه وعن أحمد وابن حبان وراجع تاريخ عمر ص 35 والغدير ج 8 ص 96.

2- عن فيض القدير ج 2 ص 352 عن الطبراني وابن مندة، وأبي نعيم، والإصابة ج 4 ص 326 عنهم.

3- منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج 4 ص 385-386، عن ابن عساكر و حياة الصحابة ج 3 ص 647 عن المنتخب.

4- حياة الصحابة ج 3 ص 646 عن مجمع الزوائد ج 7 ص 71 عن الطبراني وصحح بعض طرقه، وعن أبي نعيم في الدلائل ص 131.

إن له شيطاناً يعتريه أن يجد له نظيراً، ولكن من مستوى لا يداني ولا يجارى؛ فوقع اختياره على النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، ليكون هو ذلك النظير؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ما هو الصحيح في قضية بدء الوحي؟! !

والذي نطمئن إليه هو أنه قد أوحى إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في غار حراء فرجع إلى أهله مستبشراً مسروراً بما أكرمه الله به، مطمئناً إلى المهمة التي أوكلت إليه-كما يروي ابن إسحاق، وأشارت إليه الرواية الأخيرة التي تقدمت عند ذكر نصوص الروايات-وإن كان قد زيد فيها ما لا يصح-فشاركه أهله في السرور، وأسلموا، وقد روي هذا المعنى عن أهل البيت «عليهم السلام» .

فعن زرارة أنه سأل الإمام الصادق «عليه السلام»: كيف لم يخف رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يأتيه من قبل الله: أن يكون مما ينزع به الشيطان؟ .

فقال: إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله، مثل الذي يراه بعينه (1).

وسئل «عليه السلام»: كيف علمت الرسل أنها رسل؟

قال: كشف عنهم الغطاء (2).

ص: 32

1- التمهيد في علوم القرآن ج 1 ص 49 عن العياشي ج 2 ص 201، والبحار ج 18 ص 262.

2- التمهيد ج 1 ص 50، والبحار ج 11 ص 56.

وقال الطبرسي: «إن الله لا- يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة، والآيات البينة، الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفزع، ولا يفرق» (1).

وقال عياض: «لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك، ويلبس عليه الأمر، لا في أول الرسالة ولا بعدها، والاعتماد في ذلك على دليل المعجزة، بل لا- يشك النبي أن ما يأتيه من الله هو الملك، ورسوله الحقيقي، إما بعلم ضروري يخلقه الله له، أو ببرهان جلي يظهره الله لديه؛ لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا، لا مبدل لكلمات الله» (2).

لماذا الكذب والإفتعال إذن؟ !

وبعد كل ما تقدم؛ فإننا نرى أن افتعال تلك الأكاذيب يعود لأسباب، أهمها:

1- أن حديث الوحي هو من أهم الأمور التي يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين وتعاليمه، وله أهمية قصوى في إقناع الإنسان بضرورة الاعتماد في التشريع، والسلوك، والاعتقاد، والإخبارات الغيبية، وكل المعارف والمفاهيم عن الكون، وعن الحياة، على الرسل والأنبياء، والأئمة والأوصياء «عليهم السلام»، وله أهمية كبرى في إقناعه بعصمة ذلك الرسول، وصحة كل مواقفه وسلوكه، وأقواله وأفعاله.

فإذا أمكن أن يتطرق الشك في نفسه إلى الوحي، على اعتبار أنه إذا لم

ص: 33

1- مجمع البيان ج 10 ص 384، والتمهيد ج 1 ص 50 عنه.

2- التمهيد ج 1 ص 50 عن رسالة الشفاء ص 112.

يستطع النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه أن يفرق بين الملاك والشیطان، و الوسوسة، و الحقيقة، و هو یعاین و یشاهد؛ فإن غیره و هو لا یتیسر له الاطلاع الحسی على شیء من ذلك یمکن أولی بالشک، و عدم الاعتماد.

و قد نقل الحجة البلاغی أن بعض أهل الكتاب قد نقض على المسلمین بذلك فقال:

«الشیطان قرین محمد، و تشبث بنقله عن بعض المفسرین قولهم: إنه کان لرسول الله عدو من شیاطین الجن، کان یأتیه بصورة جبرئیل، و إنه یمسى الأبيض» (1).

و بعد هذا، فإننا نستطیع أن نعرف سر محاولات أعداء الإسلام الدائبة للتشکیک فی اتصال نبینا الأعظم «صلى الله عليه وآله» بالله تعالى، فافتعلوا الكثير مما رأوه مناسبا لذلك، من الوقائع و الأحداث التي رافقت الوحي فی مراحلہ الأولى، أو حرفوه و حوروه حسب أهوائهم، و خططهم، و مذاهبهم، على اعتبار أنها فترة بعيدة نسبیا عن تناول الأیدی عادة.

فلما فشلوا فی ذلك حاولوا ادعاء أن ما جاء به نبینا «صلى الله عليه وآله» کان نتیجة عبقریته و نبوغه، و عمق تفکیره، و معرفته بطرق استغلال الظروف، و انتهاز الفرص، و لیس لأجل اتصاله بالمبدأ الأعلى تبارک و تعالى.

و هكذا، فإننا نستطیع أن نتهم ید أهل الكتاب فی موضوع الأحداث غیر المعقولة، التي تنسب زورا و بهتاناً إلى مقام نبینا الأعظم «صلى الله عليه

ص: 34

1- الهدی إلى دین المصطفى ج 1 ص 169 عن کتاب الهدایة فی الرد على إظهار الحق، و السیف الحمیدی ج 3 ص 5.

وآله» حين بعثته، ولا أقل من تشجيعهم لمثل هذه الترهات.

2- كما أنه لا بد أن يحتاج نبينا «صلى الله عليه وآله» إليهم لإمضاء صك نبوته، و تصديق وحيه، ويكون مدينا لهم، وعلى كل مسلم أن يعترف بفضلهم، و بعمق وسعة اطلاعهم، و معرفتهم بأمور لا يمكن أن تعرف إلا من قبلهم؛ فكان اختراع هذا الدور لورقة، و عداس، و بحيرا، و ناصح، و نسطور، و كلهم من أهل الكتاب!!.

3- و أما سؤال: لماذا اختص نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» بكل تلك المصاعب و الأهوال، و بهذه المعاملة السيئة من جبرئيل، حتى لقد صرح البعض: بأنه لم ينقل عن أي من الأنبياء «عليهم السلام» السابقين: أنه تعرض لمثل ذلك عند ابتداء الوحي، حتى عد ذلك من خصائص نبينا «صلى الله عليه وآله» (1).

إن هذا السؤال لا يبقى له وقع، إذا لاحظنا: أن بعض الأمور و الأحوال غير المعقولة، قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، حتى أصبحت جزء من التاريخ، و الفقه، و العقائد و الخ. . و ذلك من أجل أن يكون لنبي المسلمين نفس الحالات التي تذكر لغيره من الأنبياء في كتب أهل الكتاب.

و إذن، فليس غريبا أن نجد ملامح هذه القصة موجودة في العهدين، فقد جاء في الكتابين اللذين يطلق عليهما اسما التوراة و الإنجيل:

أن دانيال خاف و خر على وجهه، و زكريا اضطرب، و وقع عليه الخوف،

ص: 35

1- بهجة المحافل ج 1 ص 62، و فتح الباري ج 8 ص 552، و إرشاد الساري ج 1 ص 63، و السيرة الحلبية ج 1 ص 242.

و يوحنا سقط في رؤياه كميته، و عيسى تغيرت هيئة وجهه، و بطرس حصلت له غيبوبة و إغماء، و هكذا الحال بالنسبة ليعقوب و إبراهيم و غيرهم (1).

و لكن ذلك لا يعني: أننا ننكر ثقل الوحي عليه «صلى الله عليه و آله»: فإن ذلك بحث آخر (2)، و لكننا ننكر اضطرابه و خوفه «صلى الله عليه و آله»، حتى أراد أن يتردى من شواهد الجبال، و خاف على نفسه الجنون، و ننكر ما فعله به جبرئيل، حسب ما ذكرته الروايات المتقدمة، فإن الظاهر أن ذلك قد تسرب من قبل أهل الكتاب إلى المحدثين الأتقياء.

أوقفل: الأغبياء! الأشقياء، كما هو الحال في كثير من نظائر المقام، حسبما يظهر للناقد البصير، و المتتبع الخبير.

4- إنك تجد في العهدين أن الشيطان يتصرف بالأنبياء و غيرهم حتى بابن الإله بزعمهم فيقولون:

إن الروح أصعد المسيح إلى البرية أربعين يوما ليحرب من قبل إبليس، فأصعده الشيطان إلى جبل عال، و أراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان، و قال له: أعطيك هذا السلطان كله و اسجد لي إلخ. (3).

ص: 36

1- راجع في ذلك كله: الهدى إلى دين المصطفى، للحجة البلاغي ج 1 ص 14.

2- وقوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا يرى المحقق السيد مهدي الروحاني أن معناه: أن مهمة دعوة الناس إلى الحق، و ترك عاداتهم و ما هم عليه حتى يزيههم، من أثقل الأمور و أصعبها.

3- إنجيل متى الإصحاح 4 الفقرة 3-13 و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 170 عنه.

وقال في موضع آخر: ولما أكمل إبليس كل تجربة {أي مع المسيح} فارقه إلى حين (1).

ويقول بولس الرسول: ولئلا أرتفع بفراط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني؛ لئلا أرتفع؛ من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني (2).

وفي موضع آخر: لذلك أردنا أن نأتي أنا وبولس مرة و مرتين، وإنما عاقنا الشيطان (3).

كما أن الإنجيل يذكر: أن المسيح قد عبر عن بطرس بأنه شيطان (4)، إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه (5).

5- وعدا عن ذلك كله، فإننا لا نستبعد: أن يكون الهدف من جعل تلك الترهات، هو الحط من كرامة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، والطعن في قدسيته ومقامه في نفوس الناس، وتصويره لهم على أنه رجل عادي مبتذل، ولا أدل على ذلك من احتياجه إلى أبسط الناس حتى النساء ليرشده إلى طريق الهدى، ويدله على الحق؛ مما يدل على أنه قاصر محتاج باستمرار إلى مساعدة الآخرين؛ الذين هم أحسن تصرفا وأكثر تعقلا منه.

ص: 37

1- الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 171 عن إنجيل لوقا 13.

2- كورنتوش الثانية الإصحاح 12 فقرة 7-9.

3- تسالونيكي الأولى الإصحاح الثاني فقرة 18 و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 172 عنه.

4- إنجيل متى الإصحاح 16 فقرة 23، و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 171.

5- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 169-173.

وقد أشرنا في تمهيد الكتاب إلى بعض ما يمكن أن يقال في ذلك، وقلنا: إن الظاهر هو أن تلك خطة السياسيين، الذين يريدون أن يرغموا أنوف بني هاشم، ويبرّونهم سياسياً، من أمثال:

معاوية الذي أقسم على أن يدفن ذكر النبي «صلى الله عليه وآله»، و مع معاوية سائر الأمويين وأعوانهم.

و من أمثال عبد الله بن الزبير، الذي قطع الصلاة على النبي «صلى الله عليه وآله» مدة طويلة، لأن له أهيل سوء إذا ذكر شمخت أنافهم (1).

6- لقد كان الزبيريون يواجهون وينافسون الأمويين، ويعادون الهاشميين، ويحسدونهم على ما لهم من شرف وسؤدد.

وإذا لاحظنا: نصوص الرواية المتقدمة لقضية ورقة بن نوفل، فإن عمدة روااتها هم من الزبيريين و حزبهم، كعروة بن الزبير، الذي اصطنعه معاوية ليضع أخباراً قبيحة في علي.

وكإسماعيل بن حكيم-مولى آل الزبير.

وكذلك وهب بن كيسان.

ثم أم المؤمنين عائشة خالة عبد الله بن الزبير.

ثم لاحظنا في المقابل: أن خديجة هي بنت خويلد بن أسد، و ورقة هو ابن نوفل بن أسد، و الزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد، فتكون النسبة بين الجميع

ص: 38

1- تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على حلف الفضول فراجع.

واضحة المعالم (1)- إذا لاحظنا ذلك كله- فإننا نستطيع أن نعرف:

أنه كان لا بد أن يكون لأقارب عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، و من ثم للزبيريين بشكل عام، دور حاسم في انبعاث الإسلام، إذ لو لا هم لقتل النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، أو على الأقل لم يستطع أن يكتشف نبوة نفسه!!

و إذا كان للزبيريين هذا التاريخ المجيد، فليس للأمويين أن يفخروا عليهم بخلافة عثمان، وليس للهاشميين أن يفخروا بمواقف أبي طالب، وولده علي أمير المؤمنين «عليه السلام» .

وإذن، فلا بد من دعوى: أن ورقة قد تنصر، وأنه كان يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء، إلى آخر ما قيل و يقال في ذلك.

النتيجة:

وهكذا فإن النتيجة تكون هي: أن الأمويين يستفيدون من افتعال القصة على هذا النحو، و يحققون أعز أهدافهم وأغلاها، كما أن الزبيريين أيضا يستفيدون منها، أما أهل الكتاب فيكون لهم منها حصة الأسد.

وبذلك ينعقد الإجماع من قبل مسلمة أهل الكتاب، الذين لم يسلموا ولكنهم استسلموا، إلى جانب منافقي هذه الأمة و طلائعها، و طلاب الدنيا، فأدخلوا في الإسلام من إسرائيليات أولئك، و ترهات هؤلاء كل غريبة،

ص: 39

1- لكن من الواضح: أن كون ورقة هو ابن عم خديجة؛ يبعد كون ورقة شيخا كبيرا، قد وقع حاجباه على عينيه، كما تزعم النصوص المتقدمة.

ونسبوا إلى نبي الإسلام كل عجيبة، بعد أن نجحوا في إبعاد أهل البيت «عليهم السلام» عن موقعهم الذي جعله الله سبحانه لهم، ليحتل القصاصون و أذئاب الحكام محلهم.

و كانت هذه الجريمة النكراء حينما التقت المصالح و الأهواء، و اجتمعت على هذا الأمر، فلماذا لا يدلي كل بدلوه؟ أو كيف لا تشجع أمثال هذه الترهات و الأباطيل؟ ! .

عصمنا الله من الزلل، في القول و العمل.

ص: 40

أول من أسلم:

إن أول من أسلم، واتبع وصدق، وآزر وناصر، هو أمير المؤمنين، وإمام المتقين، علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين.

وأورد العلامة الأميني في كتابه القيم (1): أقوالا- عن العشرات من كبار الصحابة، والتابعين، وغيرهم من الأعلام، وعن العشرات من المصادر غير الشيعية، تؤيد وتؤكد على أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو أول الأمة إسلاما.

و من هؤلاء الأعلام:

1-علي «عليه السلام» نفسه.

2-الإمام الحسن «عليه السلام» .

3-الإمام الباقر «عليه السلام» .

ص: 43

1- راجع: الغدير ج 3 ص 95 و 96 و 99 و 224-236 و ج 10 ص 156 و 158 و 164 و 168 و 290 و 322 و ج 9 ص 115 و 122 و راجع دلائل الصدق، والأوائل للطبراني ص 78-79.

- 4-عمر بن الخطاب.
- 5-سلمان الفارسي.
- 6-أنس بن مالك.
- 7-ابن عباس.
- 8-أبو ذر.
- 9-المقداد بن عمرو.
- 10-خباب بن الارت.
- 11-جابر بن عبد الله الأنصاري.
- 12-أبو سعيد الخدري.
- 13-حذيفة بن اليمان.
- 14-عبد الله بن مسعود.
- 15-أبو أيوب الأنصاري.
- 16-خزيمة بن ثابت «ذو الشهادتين» .
- 17-عمرو بن العاص.
- 18-سعد بن أبي وقاص.
- 19-زيد بن أرقم.
- 20-محمد بن أبي بكر.
- 21-جرير بن عبد الله البجلي.
- 22-بريدة الأسلمي.

- 23-عفيف الكندي.
- 24-أورافع.
- 25-أورام.
- 26-هاشم المرقال.
- 27-عبد الله بن حجل.
- 28-أورعمة «بشير بن محصن» .
- 29-عبد الله بن خباب بن الأرت.
- 30-عبد الله بن بريدة.
- 31-مالك الأشتر.
- 32-عدي بن حاتم.
- 33-محمد بن الحنفية.
- 34-طارق بن شهاب الأحسي.
- 35-عبد الله بن هاشم المرقال.
- 36-عمرو بن الحمق.
- 37-سعيد بن قيس الهمداني.
- 38-عبد الله بن أبي سفيان.
- 39-كعب بن زهير.
- 40-ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب.
- 41-الفضل بن أبي لهب.

42-أبو الأسود الدؤلي.

43-جندب بن زهير.

44-مالك بن عباد.

45-زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي.

46-النجاشي بن الحارث بن كعب.

47-عبد الله بن حكيم.

48-عبد الرحمن بن حنبل.

49-عامر الشعبي.

50-الحسن البصري.

51-قتادة.

52-ابن شهاب الزهري.

53-محمد بن المكندر.

54-أبو حازم سلمة بن دينار.

55-ربيعة بن عبد الرحمن.

56-محمد بن السائب الكلبي.

57-جنيد بن عبد الرحمن.

58-محمد بن إسحاق.

59-الوليد بن جابر.

ص: 46

وزاد العسقلاني:

60-عبد الله بن فضالة المزني.

61-عمر بن مرة الجهني (1).

بعض ما جاء في سبق علي عليه السلام إلى الإسلام:

هذا كله، عدا عن الكثير من الروايات الواردة عن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وكلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، و عدا عن كلمات الصحابة والتابعين وأشعارهم، بل لقد ادعى البعض الإجماع عليه (2).

و لعل حصر ذلك متعذر على أي باحث و متتبع، ولذا فلا محيص لنا عن الإكتفاء بأمثلة قصيرة لتكون عنوانا وإشارة لغيرها من الكثير الطيب الذي لم نذكره، ونحيل القارئ إلى ما كتبه العلامة الأميني (3) فليراجعه إن أراد.

فإنهم يقولون:

لقد بعث النبي «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين، وأسلم علي «عليه السلام» يوم الثلاثاء (4).

و مما ورد عن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بسند صحيح قوله:

ص: 47

1- الإصابة ج 2 ص 357-358.

2- راجع: الصواعق المحرقة الفصل الأول، الباب التاسع، و معرفة علوم الحديث للحاكم ص 22.

3- راجع: الغدير ج 3 ص 220-243 و ج 10 ص 158-162.

4- راجع: الأوائل ج 1 ص 195.

أولكم ورودا علي الحوض، أولكم إسلاما علي بن أبي طالب (1).

وعنه «صلى الله عليه وآله»: إنه لأول أصحابي إسلاما، أو أقدم أمتي سلما (2).

وعنه أنه أخذ بيد علي «عليه السلام»، فقال: هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصفحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر (3).

وعنه «صلى الله عليه وآله»: هذا أول من آمن بي، وصدقني، وصلى معي (4).

ص: 48

1- مستدرك الحاكم ج 3 ص 136 وصححه، و تاريخ بغداد للخطيب ج 2 ص 81، والاستيعاب هامش الإصابة ج 3 ص 28 و شرح النهج للمعتزلي و السيرة الحلبية، و السيرة النبوية لدحلان، و مناقب الخوارزمي، و الغدير ج 3 ص 220 عنهم فراجعهم، و الأحاد و المثاني، مخطوط في مكتبة كوپرلي رقم 235.

2- الغدير ج 3 ص 95-96 عن: مسند أحمد ج 5 ص 26 و الاستيعاب ج 3 ص 36، و الرياض النضرة، و مجمع الزوائد، و المرقاة، و كنز العمال، و السيرة النبوية لدحلان، و السيرة الحلبية، و ليراجع: مستدرك الحاكم ج 3، و المنمق، و جمع الجوامع و مجمع الزوائد ج 9 ص 102 عن الطبراني عن ابن إسحاق، و قال: هو مرسل صحيح الإسناد، و أخرجه الطبراني و أحمد قال الهيثمي ج 9 ص 101 و فيه خالد بن طهمان وثقه أبو حاتم و بقية رجاله ثقات.

3- الغدير ج 2 ص 313 عن الطبراني و البيهقي، و العدني، و مجمع الزوائد و كفاية الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتي في حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبي بكر بالصديق المزيّد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج 1 ص 39.

4- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 225.

وعنه «صلى الله عليه وآله»: إن أول من صلى معي علي (1).

تصريحات أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك:

وعلي نفسه يصرح في كثير من المناسبات بذلك؛ فيقول عن نفسه: إنه لم يسبقه أحد في الصلاة مع رسول الله، وإنه أول من أسلم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإنه الصديق الأكبر «عليه السلام»، وإنه لا يعرف أحدا في هذه الأمة عبد الله قبله غير النبي «صلى الله عليه وآله»، وإنه صلى قبل أن يصلي الناس سبع سنين (2).

ولعل المراد التعبد مع النبي «صلى الله عليه وآله» قبل البعثة بسنتين، أو خمس سنين؛ حيث بدأت إرهاصات النبوة، ثم يضم إليها ثلاث أو خمس سنين فترة الدعوة الاختيارية غير المفروضة بعد البعثة، أو لعله عبد الله حقا مع رسول الله قبل البعثة سبع سنين إذا كان قد أسلم «عليه السلام» وهو ابن اثني عشر سنة أو حتى عشر سنين، حيث كان الرسول «صلى الله عليه وآله» يتعبد قبل البعثة وكان «صلى الله عليه وآله» على دين الحنيفية، فكان علي «عليه السلام» يعبد الله معه «صلى الله عليه وآله».

إلا أن يكون الصحيح في الرواية هو ما ذكره ابن بطريق أنه «صلى الله عليه وآله» قال: صلت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين (3).

ومهما يكن من أمر، فإن الكلمات الدالة على هذا الأمر كثيرة، كما أنه

ص: 49

1- الغدير ج 3 ص 220 عن فرائد السمطين باب 47 بأربعة طرق.

2- مصادر ذلك ستأتي بعد الهامش التالي.

3- كشف الغمة للإربلي ج 1 ص 334.

«عليه السلام» قد كتب هو نفسه بهذا الأمر إلى معاوية، وردده في كلماته الكثيرة المتضافرة (1).

دليل آخر:

وإن احتجاجة «عليه السلام» بأنه أول من أسلم، واحتجاج أصحابه من الصحابة والتابعين بهذه الكثرة العجيبة على خصومهم في صفين وغيرهما واهتمامهم الواضح بهذا الأمر ليدل على ذلك دلالة واضحة.

ولم نجد أحدا من أعدائه «عليه السلام» حاول إنكار ذلك، أو التشكيك فيه، أو طرح اسم رجل آخر على أنه هو صاحب هذه الفضيلة دونه، رغم توفر الدواعي لذلك، ورغم أن الطرف المقابل لا يتورع حتى عن الاختلاق والكذب على الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، بل على

ص: 50

1- راجع هذه النصوص كلها عن أمير المؤمنين «عليه السلام» في الغدير ج 3 ص 213 و 221 و 222 و ج 10 ص 158-164 و ج 2 ص 25-30 و 314 عن: شرح النهج ج 1 ص 503 و 404 و 283 و ج 2 ص 102 و أبي داود بإسناد صحيح، و تاريخ بغداد للخطيب ج 4 ص 224، و مجمع الزوائد ج 9 ص 102 عن أبي يعلى، وأحمد، والبزار والطبراني في الأوسط، وفرائد السمطين باب 48، والأوائل ج 1 ص 195 و وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص 355 و 360 و 132 و 100 و 168 و جمهرة الخطب ج 1 ص 178 و 542 و 428 و جمهرة الرسائل ج 1 ص 542، و مروج الذهب ج 2 ص 59، و تذكرة سبط ابن الجوزي ص 115، و مطالب السؤل ص 11، و المحاسن و المساوي ج 1 ص 36 و تاريخ القرمانى هامش الكامل ج 1 ص 218 و ثمة مصادر أخرى في الغدير ج 10 ص 322 فراجع.

فلو أنهم عرفوا: أن كذبتهم هذه تجوز على أحد لكانوا لها من المبادرين، و لكن التسالم على هذا الأمر كان بحيث لا يمكنهم معه التوسل بأية حيلة، فكل ذلك يدل على أن ذلك قد كان أمرا مسلما به و مجمعا عليه، و لا يمكن إنكاره لأحد.

و كشاهد على هذا التسالم نذكر هنا حادثة واحدة فقط، جرت لسعد بن أبي وقاص، الذي كان منحرفا عن علي «عليه السلام»، -كما سيأتي في معركة أحد إن شاء الله تعالى- و نترك ما عداها و هو كثير جدا، و هذه الحادثة هي أنه:

سمع رجلا يشتم عليا، فوقف عليه و قرره بقوله: يا هذا، على ما تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله «صلى الله عليه و آله» ؟ ألم يكن أعلم الناس؟ الخ. . . (1).

كما أن المقداد كان يتعجب من قريش لدفعها هذا الأمر عن أول المؤمنين إسلاما، يعني عليا «عليه السلام» (2).

خاتمة المطاف:

و أظن أن ما ذكرناه كاف و واف في هذا المجال، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعة إلى الكتب المعدة لذلك.

ص: 51

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 500، و صححه هو و الذهبي في تلخيصه هامش نفس الصفحة، و حياة الصحابة ج 2 ص 514-515.

2- الغدير ج 9 ص 115 عن اليعقوبي ج 2 ص 140.

وبعد هذا، فلا يصغى لقول النواصب والحاقدين، الذين يهتمون في طمس فضائله «عليه السلام» بكل وسيلة، ولو عن طريق الدجل و التزوير، و منهم ابن كثير، الذي قال: «وقد ورد في أنه أول من أسلم أحاديث كثيرة، لا يصح منها شيء» (1).

لا يا بن كثير: لقد تجنيت على الحقيقة وعلى التاريخ كل التجني، ولم تستطع أن تكتفم ما يعتلج في صدرك من إحن، فجرّك ذلك إلى المكابرة، وإلى إنكار ما يكاد يلحق بالضروريات.

فإن الروايات الصحيحة والصريحة الدالة على هذا الأمر كثيرة وكثيرة جدا، كما يعلم بالمراجعة (2).

القول بأن خديجة أول من أسلم:

ونجد في مقابل ذلك قولاً آخر مفاده: أن خديجة كانت هي السبابة إلى الإسلام وأنها أول مخلوق آمن به، بل لقد ادعى البعض الإجماع على هذا القول (3).

ولكنه قول مردود، لأن العديد من الروايات عن النبي «صلى الله عليه

ص: 52

1- البداية والنهاية ج 7 ص 335.

2- راجع الغدير ج 3 وإحقاق الحق، قسم الملحقات، وغير ذلك.

3- راجع: السيرة الحلبية ج 1 ص 267، وفي تهذيب الأسماء واللغات ج 2 ص 182 نقل عن الثعلبي الاتفاق عليه، وقال ابن الأثير: إنها أول خلق الله إسلاماً بإجماع المسلمين. راجع السيرة النبوية لدحان ج 1 ص 90 وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 148 و الأوائل للطبراني ص 80.

وآله»، وعن علي «عليه السلام»، وعن الصحابة والتابعين تعبر بأن عليا «عليه السلام» أول من صلى، أو أول من آمن، أو أول الأمة أو الناس إسلاما (1)، ولا يمكن أن يكون المقصود بالأمة أو الناس خصوص الرجال بناء على هذا القول، ولا خصوص الصبيان، بناء على قول آخر يأتي.

أبو بكر، وسبقه إلى الإسلام:

وبعد كل ما تقدم نعرف: أن ادعاء سبق غير أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الإسلام قد جاء متأخرا عن عهد الخلفاء الأربعة، ووضع بعد وفاة أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولربما يكون قد حصل ذلك حينما كتب معاوية إلى الأقطار يأمرهم أن لا يدعوا فضيلة لعلي إلا ويأتوه بمثلها لغيره من الصحابة (2).

و من هنا، فإننا نعتقد: بأن القول بأولية إسلام أبي بكر، و المروي عن:

1- ابن عباس.

2- الشعبي.

3- أبي ذر.

ص: 53

-
- 1- راجع: السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 91، و السيرة الحلبية ج 1 ص 268 و 275 و مناقب المغازلي، و مناقب الخوارزمي، ص 18-20 و الغدير ج 3 ص 220-236 و ج 10 ص 168 و 29 و 322 و ج 9 ص 392 تجد الكثير من التصريحات بذلك و كذا في تاريخ بغداد ج 4 ص 233 و حلية الأولياء ج 1 ص 66 و تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 407.
- 2- راجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ص 72 حتى ص 74.

4- عمرو بن عبسة.

5- إبراهيم النخعي.

6- حسان بن ثابت، الذي يروى عنه قوله:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر و ما فعلا

خير البرية أتقاها و أعدلها إلا النبي و أوفاهما بما حصلا

و الثاني الصادق المحمود مشهدهو أول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حميدا، لأمر الله متبعابهدي صاحبه الماضي و ما انتقلا (1)

نعم، إننا نعتقد: أن ذلك كله موضوع في وقت متأخر، تزلفا للأمويين، كما أن شعر حسان هذا لا يبعد أن يكون منحولا، إذ لا يمكن أن يبادر إلى مخالفة ما كان متسالما عليه بين الأمة، ولا سيما الصحابة منهم.

كما أننا نلاحظ: أن البيتين الأخيرين فيهما حشو ظاهر، وليس لهما صياغة منسجمة (2).

ولربما يقال: إنهما بعيدان عن نفس حسان، وعن شاعريته، وعن سبكه، و طريقتة و مما يدل على عدم صحة ذلك بالإضافة إلى ما تقدم:

أولا: إنه قد تقدم: أن ابن عباس، و الشعبي، و أبا ذر الذين روي عنهم القول بأولية أبي بكر هم أنفسهم يقولون:

ص: 54

1- ديوان حسان ص 29 ط أوروبا.

2- فليلاحظ مثلا: كلمة منهم في البيت الثالث وقوله في الرابع: {متبعا بهدي} . وقوله: و ما انتقلا إلى غير ذلك من وجوه الضعف في السبك و الصياغة.

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو أول من أسلم، ويقول الإسكافي (1):

إن حديثهم في علي أقوى سندا، وأشهر من الحديث الآخر المنسوب إليهم في أبي بكر.

وأما رواية أبي ذر، وعمرو بن عبسة، فهي مضطربة، لأنها تذكر:

أن أبا ذر، وعمرو بن عبسة كلاهما ربيع الإسلام، وأن بلالا أسلم قبل أبي بكر، ولا تذكر عليا «عليه السلام»، ولا خديجة، وهذا يعني: أن بلالا قد أسلم قبل خديجة وعلي؛ مع أن العكس هو الصحيح، فإذا كانت خديجة «رحمها الله» وعلي «عليه السلام» وبلال، وعمرو بن عبسة قد أسلموا أولا؛ فأين يكون إسلام أبي بكر بعد هذا؟!

ثانيا: إن عائشة نفسها تعترف بأن أباهما كان رابعا في الإسلام، وقد سبقه إلى ذلك خديجة، وزيد بن حارثة، وعلي «عليه السلام» (2).

ثالثا: قد تقدم: أننا لم نجد أحدا يعترض على الصحابة، ولا على التابعين، ولا على أمير المؤمنين «عليه السلام» في احتجاجاتهم المتعددة على معاوية وغيره بأن عليا «عليه السلام» هو أول الأمة إسلاما-لم نجد أحدا يعترض، ويقول: بل أبو بكر هو الأول.

وما روي من ذلك: من أن أبا بكر قد احتج به، فقد فنده العلامة الأميني في الغدير وأثبت أنه غير صحيح فليراجع (3).

ص: 55

1- راجع، الغدير، وشرح النهج للمعتزلي ج 13، وآخر كتاب العثمانية.

2- راجع: الأوائل ج 1 ص 202 وراجع ص 206.

3- راجع: الغدير ج 7 ص 91-94 و 224 فما بعدها.

فإلى متى يدخرون هذه الحجة؟! ولماذا يدخرونها؟!

بل إننا لم نجد أبا بكر، ولا أحدا من أنصاره و محبيه يحتج له بأنه أول من أسلم، رغم احتياجاتهم الشديدة إلى ذلك، ولا سيما في السقيفة؛ حيث لم يجدوا ما يحتجون به من فضائله إلا كونه كبير السن، وصاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الغار- كما احتج به صاحبه عمر، وغيره ثمة (1)- وستأتي الإشارة إلى احتياجاتهم تلك حين الحديث عن قضية الغار إن شاء الله تعالى.

هذا كله، عدا عن تصريح البعض بأن أبا بكر كان رابع أو خامس من أسلم (2).

وعدا عن قول أمير المؤمنين علي «عليه السلام»: أنا الصديق الأكبر، أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر (3).

وعدا عن الرواية التي تقول: إن العباس قد أخبر عفيفا بأنه لم يسلم سوى خديجة وعلي، فلو أن عفيفا أسلم حينئذ كان في الإسلام ثانيا (4).

رابعا: إننا نقول: إن إسلام أبي بكر قد تأخر عن البعثة عدة سنوات

ص: 56

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 66، و سنن البيهقي ج 8 ص 153 و الغدير ج 5 ص 369 و ج 7 ص 92 و ج 10 ص 7 و 13 عن عدد كبير من المصادر، و كنز العمال ج 8 ص 139 عن ابن أبي شيبة، و عن الكنز أيضا ج 3 ص 140 و لسوف نذكر طائفة من المصادر حين الكلام عن قضية الغار.

2- راجع: سير أعلام النبلاء ج 1 ص 216.

3- ستأتي مصادر ذلك في أواخر الجزء الثاني من هذا الكتاب.

4- راجع: لسان الميزان ج 1 ص 395 وغير ذلك.

و يدل على ذلك- ونحن نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم- الأمور التالية:

ألف- ما قالوه من أنه لما أسلم سماه النبي «صلى الله عليه وآله» صديقا (1) مع أن تسميته هذه- كما يدعون- إنما كانت بعد الإسراء حين صدقه أبو بكر و كذبتة قریش (2).

أو حين الهجرة في الغار {و كلاهما لا يصح أيضا كما سيأتي في حديث الغار إن شاء الله تعالى} .

و هم يدعون: أن الإسراء كان بعد البعثة باثنتي عشرة سنة و إن كنا نحن نعتقد بخلاف ذلك.

و أنه كان في السنة الثانية أو الثالثة، كما سيأتي في الفصل الآتي.

ب- يروي البعض: أنه أسلم و آمن بعد الإسراء و المعراج فسمي يومئذ ب «الصديق» (3) مع قولهم: أن الإسراء و المعراج كان قبل الهجرة بقليل -كما سنرى-.

ج- لقد روى الطبري- بسند صحيح كما يقول الأميني (4)- عن محمد بن سعيد، قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاما؟

فقال: لا، و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين (5).

ص: 57

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 273، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 8.

2- السيرة الحلبية ج 1 ص 273.

3- مجمع الزوائد ج 1 ص 76 عن الطبراني في الكبير.

4- الغدير ج 3 ص 240.

5- تاريخ الطبري ج 2 ص 60 و البداية و النهاية ج 3 ص 28 و التعجب للكراچكي ص 34.

و هذا يعني: أنه قد أسلم بعد انتهاء الفترة الاختيارية للدعوة، وبعد خروجه «صلى الله عليه وآله» من دار الأرقم، لأنهم قد خرجوا بعد أن تكاملوا أربعين رجلاً، كما يقولون، وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى، حين الكلام حول إسلام عمر بن الخطاب.

د- ولسوف نذكر إن شاء الله في أواخر حديث الغار: أن أبا قحافة يذكر: أن ابن مسعود قد أسلم هو وجماعة قبل إسلام أبي بكر، وابن مسعود قد أسلم قبل إسلام عمر كما ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات.

هـ- لقد ورد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بعث وأبو بكر غائب في اليمن، قال أبو بكر، فقدمت مكة، وقد بعث النبي «صلى الله عليه وآله» فجاءني صناديد قريش، إلى أن قال:

«فقالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب، وأجل النوائب، يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي ولولا أنت-أو: ولولا انتظارك-ما انتظرنا به؛ فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية» (1)، والذي عند أبي هلال، عن الشعبي، عن أشياخه، منهم جرير، في خبر طويل هو: «قال أبو بكر: فلما قدمت مكة استبشروا، وظنوا أنه فتح عليهم بقدومي فتح، واجتمعوا إلي، وشكوا أبا طالب، وقالوا: لولا تعرضه دونه لما انتظرنا به.

قلت: و من تبعه على مخالفة دينكم؟

ص: 58

1- الصواعق المحرقة ص 148 ط سنة 1324 هـ. و السيرة الحلبية ج 1 ص 275، و السيرة النبوية لدحان ج 1 ص 89، و تاريخ الخميس ج 1 ص 287 و تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 32 و أسد الغابة ج 3 ص 208.

قالوا: بنو أبي طالب» (1).

ولكن لنا تحفظ على هذا النص الذي يعطي لأبي بكر منزلة كبيرة في قريش، وهي منزلة لا يؤيد التاريخ أن أبا بكر كان قد بلغها أصلاً، كما سنشير إليه في موضعه.

و-وعن ابن إسحاق، قال: إن أبا بكر لقي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد، من تركك آلهتنا، و تسفيهك عقولنا، و تكفيرك آباءنا إلخ. ثم ذكر إسلام أبي بكر (2).

وإن كنا نشك في صحة هذا النص الأخير، إذ أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يعبد تلك الآلهة قط، فما معنى سؤاله عن ذلك؟!

إلا إذا قلنا إنه لم يكن يتجاهر برفضها، فصح أن يسأله عن ذلك.

ويؤيد ذلك ما رواه المقدسي، قال: «إسلام أبي بكر-زعم بعض الرواة: أنه كان في تجارة له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة، وأمره باتباعه، فلما رجع سمع رسول الله يدعو إلى الله، فجاء وأسلم» (3).

ويؤيد ذلك أيضاً قولهم: إن أبا بكر قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: فقدت من مجالس قومك، و اتهموك بالعيب لآبائها و أمهاتها فدعاه «صلى

ص: 59

1- الأوائل للعسكري ج 1 ص 194.

2- دلائل النبوة للبيهقي ج 1 ص 416-417 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 432-433 و سيرة ابن إسحاق ص 139.

3- البدء و التاريخ ج 5 ص 77.

اللّٰه عليه وآله» إلى الإسلام فأسلم (1).

فكل ذلك يدل على أن إسلام أبي بكر كان بعد الفترة السرية وبتعبير أدق بعد {فترة الدعوة الاختيارية، وغير المفروضة} التي استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

وبعد أن أُنذر عشيرته الأقربين، وبعد أن أمر بالصدع بالأمر، ودعوة الناس عامة.

وبعد تكفيره للأبّاء والأمّهات.

وبعد عرض قريش على أبي طالب أن يقنع ولده بالعدول عن هذا الأمر.

وبعد عرضهم عليه ولدا آخر على أن يخلي بينه وبينهم.

وبعد وقوع المواجهة بين قريش وبينه، ثم قيام أبي طالب دونه، و لو لا انتظارهم لأبي بكر ما انتظروا به، و كل ذلك يدل على أن إسلامه قد تأخر إلى السنة الرابعة أو الخامسة إن لم يكن بعد ذلك أيضا؛ فقد قال أبو القاسم الكوفي:

إن أبا بكر قد أسلم بعد سبع سنين من البعثة (2).

ولربما يكون ذلك صحيحا أو قريبا من الصحيح، إذا أخذنا بالروايات المتقدمة الدالة على أنه قد أسلم بعد اشتداد المواجهة بين الرسول و بين المشركين، وقيام أبي طالب دونه، وبعد أكثر من خمسين رجلا، فلربما يكون

ص: 60

1- البداية و النهاية ج 3 ص 29-30 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 439.

2- الاستغاثة ج 2 ص 31.

المراد بالخمسين هو خصوص من أسلم بعد الإعلان بالدعوة، أو بعد الهجرة إلى الحبشة.

وهكذا يتضح: أن القول بأن أبا بكر هو أول من أسلم لا يمكن إلا أن يكون من القول الجزاف، والدعوى الفارغة، و من المختلقات التي افتعلت في وقت متأخر.

طريق جمع فاشل:

وقال البعض: الأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، و من الصبيان علي، و من النساء خديجة، و من الموالى زيد بن حارثة، و من العبيد بلال (1).

وهو كلام فارغ، بعد أن ثبتت أولية علي «عليه السلام» على كل أحد.

وقولهم: إنه أول من أسلم من الصبيان عجيب، و ذلك لما يلي:

1- إنه قد جاء عنه «عليه السلام»، و عن غيره القول: بأنه أول رجل أسلم (2)، مما يعني أنه كان حينئذ رجلاً بالغاً.

وقد قلنا: إنه قد أسلم وعمره عشر سنوات أو اثنتا عشرة سنة.

و من الواضح: أن الرجولية و البلوغ لا ينحصر بالسن، فإن عمرو بن

ص: 61

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 275، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 90 و نزهة المجالس ج 2 ص 147 و البداية و النهاية ج 3 ص 17 و 26 و 29.

2- وفي سيرة ابن إسحاق ص 138: أول الرجال إسلاماً، و في مصادر أخرى: أول أصحابي إسلاماً: راجع السيرة الحلبية ج 1 ص 268.

العاص- كما يقولون- كان يكبر ولده عبد الله باثنتي عشرة سنة فقط (1)، و الراشد بالله قد وطئ جارية و هو ابن تسع سنين، فحملت منه كما يدعون (2).

كما أن ثمة أقوالا كثيرة في سن علي «عليه السلام» حين إسلامه، وقد رأينا الحافظ عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والكليني، والحسن البصري، والإسكافي وغيرهم كثير، يذكرون في سن علي رقما يتراوح ما بين 12 سنة إلى 16 سنة، وبعضهم يتجاوز ذلك أيضا؛ كما تقدم بيانه في مبحث ولادته «عليه السلام» .

2- قد ذكر غير واحد: أن البلوغ قد حدد بعد الهجرة، أي في غزوة الخندق، في قضية رد ابن عمر وقبوله في الغزو، أما قبل ذلك فقد كان المعتمد هو التمييز والإدراك (3)، وعليه يدور مدار التكليف، والدعوة إلى الإسلام والإيمان وعدمه.

و لولا أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان في مستوى الإسلام والإيمان، لم يقدم النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» على دعوته إلى الإسلام، ثم قبوله منه، وإلا لكان ذلك سفها، ولا يمكن صدور السفه من الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» .

ص: 62

1- المعارف لابن قتيبة ص 125 ط دار إحياء التراث العربي سنة 1390 هـ.

2- السيرة الحلبية ج 1 ص 269.

3- راجع إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 149 و السيرة الحلبية ج 1 ص 269 و الكنز المدفون ص 256-257 عن البيهقي.

3- بل إننا نستطيع أن نستفيد من دعوته إلى الإسلام وهو صبي امتيازاً له خاصاً، يؤهله لأن يكون هو الوصي له «صلى الله عليه وآله»، أو ليس قد تكلم عيسى في المهد صبياً، ويحيى أيضاً قد أوتي الحكم صبياً كما نص عليه القرآن؟

4- وأيضاً، لو كان الأمر كما ذكره؛ فلا يبقى معنى لقول النبي «صلى الله عليه وآله» عنه: إنه أول من أسلم، أو: أولكم إسلاماً؛ فإن معنى ذلك هو أن أوليته بالنسبة إلى النساء والرجال والعبيد والأحرار على حد سواء.

5- وأخيراً، فإن هذا الورع المصطنع لم يوجد إلا عند هؤلاء المتأخرين، ولم نجد أحداً واجه احتجاج أمير المؤمنين والصحابه والتابعين بحجة من هذا القبيل، ولعله لم يكن لديهم ورع يبلغ ورع هؤلاء الغيارى على أبي بكر وعلى فضائله!!.

هدف الورعين {!!} من الجمع بين الروايات.

ونستطيع أن نرجح: أن هدف أولئك الورعين من هذا الجمع بين الروايات هو إظهار:

أن إسلام غير علي «عليه السلام» كان أفضل من إسلامه، لأن إسلام غيره كان عن تدبر وتعقل، ونظر وتبصر، أما أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد كان إسلامه عن طيش وتقليد، كما هو شأن الصبيان كما ذكره الجاحظ (1).

ولا نريد أن نقيض في الرد على هذه المزعة، فإن إسلام علي «عليه السلام» كان عن تدبر وتعقل، وعن تفكير وتأمل وقد أسلم استناداً إلى

ص: 63

فكره ورأيه، ولم يستشر حتى أباه رضوان الله تعالى عليه (1)، وقد أجاب الإسكافي وابن طاووس عن كلام الجاحظ بما فيه الكفاية، فليراجع (2).

تنبيه:

وبالمناسبة فإن من الملاحظ: أن عمر بن الخطاب كان يعتبر البلوغ بالشبر؛ فمن بلغ ستة أشبار أجرى عليه الأحكام، ومن نقص عنها ولو أنملة تركه، وكذلك كان رأي ابن الزبير أيضا (3).

وعلى ذلك جرى العباسيون من بعد، فقد أمر إبراهيم الإمام العباسي أبا مسلم الخراساني: أن يقتل في خراسان كل من يتهمه، إذا كان قد بلغ خمسة أشبار (4).

ونحن لا نريد التعليق على هذا، ونكل ذلك إلى القارئ نفسه؛ ليحكم حسبما يقتضيه ضميره ووجدانه.

ص: 64

1- الفصول المختارة ص 227.

2- راجع شرح النهج للمعتزلي ج 13 حينما يورد كلام الإسكافي وراجع أيضا: بناء المقالة الفاطمية، الصفحات الأولى من الكتاب، و البحار ج 38 ص 286.

3- المصنف ج 10 ص 178 وعن خصوص عمر راجع: الغدير ج 6 ص 171 عن كنز العمال ج 3 ص 116 عن ابن أبي شيبة وعبد الرزاق، و مسدد، وابن المنذر في الأوسط.

4- راجع حياة الإمام الرضا «عليه السلام» للمؤلف ص 122 عن: الطبري ط ليدن ج 9 ص 1974 و ج 10 ص 25، والكامل لابن الأثير ج 4 ص 295، و البداية و النهاية ج 10 ص 28 و 64 و الإمامة و السياسة ج 2 ص 114، و النزاع و الخصام للمقريزي ص 45، و العقد الفريد ط دار الكتاب ج 4 ص 479، و شرح النهج للمعتزلي ج 3 ص 267 و ضحى الإسلام ج 1 ص 32.

و جدير بالملاحظة هنا: أن البعض يذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: «أدعوك إلى ترك {أو الكفر ب} اللات والعزى» (1).

و نحن نجزم بعدم صحة هذا القول عنه «صلى الله عليه وآله»؛ إذ لم يسبق لعلي «عليه السلام» إيمان بها، ليدعوه «صلى الله عليه وآله» إلى تركها (2)، كيف وقد تربى في حجر الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، و تلقى التوحيد، و كل المكارم و الفضائل عنه «صلى الله عليه وآله» .

و لنقارن بين هذا و بين ما يذكره البعض عن أبي بكر من أنه لم يسجد لصنم قط (3)، رغم أنه كان حين أسلم قد بلغ الأربعين أو تجاوزها؟! فأبو بكر إذن قد ضارع النبي «صلى الله عليه وآله» في عدم السجود للأصنام.

و لكننا لا ندري لماذا ترك دين قومه؟ و كيف لم يشتهر هذا الأمر عنه، في زمن الصحابة و التابعين؟ و بقي هكذا مخفيا إلى زمان متأخر جدا، حتى اكتشفه هؤلاء؟

و كيف غفل عنه الصحابة و منافسوه منهم، و غفل عنه هو نفسه و أنصاره يوم السقيفة، فلم يحتج و لا احتجوا به على استحقاقه للخلافة، رغم أنهم احتجوا بكبر سنه، و ما شاكل ذلك، مما لا يجدي و لا يضمن و لا يغني من جوع؟! .

ص: 65

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 268، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 91.

2- الإمتاع للمقرئ ص 16.

3- السيرة النبوية لدحلان ط دار المعرفة ج 1 ص 39 و 92.

من أسلم بدعاية أبي بكر؟ !

ويذكرون: أن عددا من كبار الصحابة قد أسلموا على يد أبي بكر، واستجابة لدعوته، منهم:

«طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة الجراح، و خالد بن سعيد بن العاص، وأبو ذر، وعثمان بن عفان، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم» (1).

قال الجاحظ: «وقالت أسماء بنت أبي بكر: ما عرفت أبي إلا وهو يدين بالدين، ولقد رجع إلينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام، فما دمنا حتى أسلمنا، وأسلم أكثر جلسائه» (2).

و لكن ذلك كله محل شك و ريب و ذلك للأمور التالية:

1- إنه قد تقدم ما يدل على أن إسلام أبي بكر قد كان بعد الخروج من دار الأرقم، وبعد اشتداد الأمر بين النبي «صلى الله عليه وآله» و قريش، وقيام أبي طالب بدوره ينافح عنه و يكافح، وهؤلاء قد أسلم أكثرهم قبل ذلك، و ذلك لأنه «صلى الله عليه وآله» قبل نزول قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (3) لم يكن مأمورا بدعوة أحد، بل كان من يسلم إنما

ص: 66

1- راجع: البداية والنهاية ج 3 ص 29، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 94- و السيرة الحلبية ج 1 ص 276 و تهذيب الأسماء و اللغات ج 2 ص 182، و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 78.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 270 و عثمانية الجاحظ ص 31.

3- الآية 214 من سورة الشعراء.

يسلم باختياره.

ثم أمر «صلى الله عليه وآله» بدعوة عشيرته، ثم أمر بإنذار أم القرى ومن حولها، حتى انتهى الأمر بإنذار الناس كافة.

ولكنه «صلى الله عليه وآله» لما أسلم معه من أسلم وخشي حصول بعض الصدامات لهم مع قريش اختار دار الأرقم ليصلي أصحابه فيها، وبعد شهر أعلن بالأمر، فلم تكن هناك سرية في دار الأرقم بالمعنى الدقيق للكلمة.

و أما الذين أسلموا قبل المواجهة مع قريش، فنذكر منهم:

زيد بن حارثة الذي أسلم ثانيا، وفي نفس الوقت أسلم خالد بن سعيد بن العاص، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن عبسة، وعتبة بن غزوان، ومصعب بن عمير (1) أما الأرقم بن أبي الأرقم فكان سابعا (2)، وقصة إسلام أبي ذر معروفة، وكان إسلامه على يد النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، وعلي «عليه السلام» هو الواسطة، وسيأتي ذلك بعد صفحات يسيرة.

و من الأولين أيضا:

جعفر بن أبي طالب، وبلاسل، وخباب بن الأرت، والزبير بن العوام، وكل هؤلاء أسلم قبل أبي بكر -على حد تعبير الإسكافي في نقض العثمانية (3).

ص: 67

1- تاريخ يعقوبي ج 2 ص 232 و سيرة ابن هشام ج 1 ص 264 وغير ذلك.

2- الإصابة، ترجمة الأرقم ج 1 ص 28.

3- شرح النهج ج 13 ص 224، و العثمانية في أواخرها حيث ينقل كلام الإسكافي ص 286 والغدير ج 3 ص 241.

و يرى المقدسي: أن الزبير أسلم رابعاً، أو خامساً.

2-وعدا عما تقدم، فإن أبا اليقظان خالد بن سعيد بن العاص، كان هو نفسه يزعم: أنه أسلم قبل أبي بكر (1).

وعليه فلا يصغى لما حكاه البيهقي من أنه رأى في منامه النار، ثم لقي أبا بكر فأخذه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأسلم (2) فإن أبا اليقظان نفسه يكذب ذلك وينكره، وهو أعرف بنفسه من كل أحد.

و أما عثمان فقد اشترط لإسلامه أن يزوجه الرسول «صلى الله عليه وآله» رقية، ففعل، فأسلم (3) فأين هي دعوة أبي بكر له، و الحالة هذه؟ !

و يروي المدائني عن عمر بن عثمان: أن عثمان قال: إنه دخل على خالته أروى بنت عبد المطلب يعودها، فدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل ينظر إليه، وقد ظهر من شأنه يومئذ شيء؛ فجري له معه «صلى الله عليه وآله» حديث، وقرأ عليه «صلى الله عليه وآله» بعض الآيات، ثم قام «صلى الله عليه وآله» فخرج.

قال عثمان: فخرجت خلفه فأدركته، و أسلمت (4).

ص: 68

1- البدء و التاريخ ج 5 ص 96.

2- مستدرک الحاكم ج 3 ص 248، و البداية و النهاية ج 3 ص 32 و طبقات ابن سعد ج 4 ص 67-68 و الاستيعاب ج 1 ص 401-442 و الإصابة ج 1 ص 406 و مع ذلك فإن الرواية لا تدل على أنه أسلم بدعوة أبي بكر بل هي في ضد ذلك أظهر.

3- مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 22.

4- الاستيعاب ج 4 ص 225.

فإذا أخذنا بهذه الرواية أيضا لم يكن لأبي بكر في إسلام عثمان يد ولا نصيب.

و أما سعد بن أبي وقاص ف «كان سبب إسلامه: أنه رأى في المنام قال: كأني في ظلام، فأضاء قمر، فاتبعته، فإذا أنا بزيد وعلي قد سبقاني إليه، وروي: فإذا أنا بزيد وأبي بكر، قال: ثم بلغني: أن رسول الله يدعو إلى الإسلام مستخفيا، فلقيته بأجياد، فأسلمت، ورجعت إلى أمي الخ. » (1).

وعن إسلام طلحة يقولون: إنه كان في بصرى، فسمع خبر خروج نبي اسمه أحمد في ذلك الشهر من راهب، فلما قدم مكة سمع الناس يقولون: تنبى محمد بن عبد الله، فأتى إلى أبي بكر، فسأله فأخبره، ثم أدخله على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأسلم، فأخذهما نوفل بن خويلد وقرنهما بحبل، فسميا القرينين (2).

ولكن هذه الرواية كما ترى، لا تدل على أنه أسلم بدعوة أبي بكر إياه، بل هي في خلاف ذلك أظهر كما هو واضح، كما أنهم يذكرون رواية أخرى مفادها:

أن طلحة ذهب بنفسه إلى رسول الله فأسلم (3)، و أما أن أبا بكر و طلحة قد سميا القرينين فسيأتي أنه لا يصح أيضا؛ وذلك ضعف آخر في هذه الرواية.

ص: 69

1- البدء والتاريخ ج 5 ص 84-85.

2- مستدرك الحاكم ج 3 ص 369، و البدء والتاريخ ج 5 ص 82 و البداية والنهاية ج 3 ص 29 و دلائل النبوة للبيهقي ج 1 ص 419.

3- البدء والتاريخ ج 5 ص 82.

بل لقد كَذَّب علي «عليه السلام» أن يكون أحد من قريش قد عَذَّب كما سنرى فكيف يكون طلحة و أبو بكر قد عذَّبَا، و قرن أحدهما إلى الآخر؟ !

3- يقول الإسكافي هنا ما ملخصه:

إن أبا بكر قد عجز عن إدخال أبيه، مع أنه معه في بيت واحد، و ابنه الوحيد عبد الرحمن في الإسلام، و بقيا على شركهما إلى عام الفتح، و كذا الحال في أخته أم فروة، و زوجته نملة-أو قتيلة- بنت عبد العزى، التي فارقها حين نزل قوله تعالى: **وَلَا تُنْسِي كُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ (1)**، بعد الهجرة بعدة سنين.

و يمضي الإسكافي هنا فيقول: كيف استطاع أبو بكر أن يهيمن على سعد، و الزبير، و طلحة، و عبد الرحمن و غيرهم و هم ليسوا من أترابه، و لا من جلسائه، و لا كان له معهم صداقة أو مودة، و لم يستطع أن يقنع عتبة و شيبة ابني ربيعة، و هما من جلسائه، بل و أكبر منه سنا، و يأئسان إلى حديثه و طرائفه-كما يزعم أنصاره-؟ ! و ما له لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام، و هو الذي أدبه و علمه، و عرفه أنساب العرب، و قريش و طرائفها و أخبارها كما يدَّعون؟ !.

و كيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب الدخول في الإسلام في تلك الفترة، و كان صديقه و أقرب الناس شبها به، و بحالاته، و لئن رجعت إلى الإنصاف لتعلمن بأن إسلام هؤلاء لم يكن إلا بدعاء النبي «صلى الله عليه

ص: 70

1- الآية 10 من سورة الممتحنة.

وآله» وعلى يديه (1).

4-وأما ما تقدم نقله عن أسماء، فهو يقتضي أن تكون أسماء وأهل بيت أبي بكر أسبق الناس إلى الإسلام، وقد عد ابن هشام ممن أسلم في الفترة الأولى من الدعوة بحيث يعدّ من السابقين الأول أسماء وعائشة ابنتا أبي بكر (2)، وعند النووي وغيره: أن عائشة قد أسلمت بعد ثمانية عشر إنسانا وأختها أسماء أسلمت بعد سبعة عشر (3).

ولكن قد فات هؤلاء: أن كل ما تقدم يكذب هذا الذي ذكره هنا.

أضف إلى ذلك: أن عمر أسماء كان حين البعثة أربع سنين على أبعد التقدير، أما عمر عائشة فنحن نقول: إنها أيضا كان عمرها قريبا من هذا (4).

ص: 71

1- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 271 عن الإسكافي، ولا يردّ على الإسكافي بامرأة نوح وولده؛ حيث لم يكونا مؤمنين، فإن الإسكافي يريد أن يقول: إن المستفاد من القرائن العامة هو أن أبا بكر لم يكن يملك المؤهلات والكفاءات التي تعطيه القدرة على أن يقنع أحدا بالدخول في الإسلام.

2- سيرة ابن هشام ج 1 ص 271.

3- تهذيب الأسماء واللغات ج 2 ص 329 و 351 عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن إسحاق، والإصابة ج 4 ص 229 بالنسبة لأسماء فقط.

4- وعد المقدسي عائشة مع الذين أسلموا في السنوات الأولى من البعثة في الفترة السرية قبل أن يدخل «صلى الله عليه وآله» دار الأرقم وقال: إنها كانت صغيرة فراجع البدء والتاريخ ج 4 ص 146.

و لكن نفس أولئك يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثة بخمس سنين (1)، فكيف تكونان قد أسلمتا بعد ثمانية عشر إنساناً؟ مع أن الفترة السرية أوقفل الدعوة الاختيارية، وعدم الإعلان، قد انتهت بإسلام أربعين؟!

و أما جلساؤه وأهل بيته فقد تكلمنا عنهم، ولم يبق إلا ولده محمد، وهو إنما ولد بعد مبعث النبي «صلى الله عليه وآله» بثلاث وعشرين سنة، أي قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بقليل.

سر التأكيد على دور أبي بكر:

و أما سر التأكيد على دور أبي بكر فقد أوضحه لنا الجاحظ، حين قال:

«و لذلك قالوا: إن من أسلم بدعاء أبي بكر أكثر ممن أسلموا بالسيف، و لم يذهبوا في ذلك إلى العدد، بل عنوا الكثرة في القدر، لأنه أسلم على يديه خمسة من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافة، وهم أكفاء علي «عليه السلام» و منازعوه في الرياسة و الإمامة، فهؤلاء أكثر من جميع الناس» (2).

نعم يا جاحظ: لقد تجاوز أبو بكر كل التوقعات، حتى لقد برز النبي نفسه، و لم يستطع و هو الرسول الأعظم أن يجاريه في تلك الفضائل المجعولة-كما قدمنا-و لا ندري لماذا غلط جبرئيل و نزل عليه دونه!.

و حسبنا هنا ما ذكرناه حول هذا الموضوع؛ فإن استقصاء الكلام فيه يحتاج إلى جهد مضمّن و وقت طويل.

ص: 72

1- سيأتي بعض الكلام في ذلك، في فصل: حتى بيعة العقبة.

2- العثمانية للجاحظ ص 31-32 و شرح النهج ج 13 ص 270-271.

هل عمير بن أبي وقاص من السابقين؟ !

ويذكر ابن هشام هنا: أن عمير بن أبي وقاص كان من جملة السابقين إلى الإسلام (1).

ولكن ذلك لا يصح؛ لأنهم يقولون: إن عميرا قد قتل في بدر، وله ستة عشر عاما، فيكون عمره حين البعثة سنة واحدة (2)؛ فكيف يكون من السابقين إذن؟ !

إسلام أبي قحافة:

وفي رواية: أنه لما نبئ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو ابن أربعين سنة، صدقه أبو بكر وهو ابن ثمان و ثلاثين سنة، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، قال: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ (3).

واستجاب الله له فأسلم والداه وأولاده كلهم.

ولكن هذه الرواية لا تصح، وذلك.

أولا: لما تقدم من أن أبا بكر إنما أسلم بعد عدة سنوات من البعثة، وكان عمره حينئذ حوالي خمس وأربعين سنة.

ص: 73

1- سيرة ابن هشام ج 1 ص 272.

2- تهذيب الأسماء واللغات ج 2 ص 39 والإصابة ج 3 ص 36.

3- الآية 19 من سورة النمل، فتح القدير ج 5 ص 118 والغدير ج 7 ص 327 عنه وعن الكشف ج 3 ص 99، وتفسير القرطبي ج 2 ص 193-194 والرياض النضرة ج 1 ص 47، ومرواة الأصول ص 121، وتفسير الخازن ج 4 ص 132، وتفسير النسفي بهامشه ج 4 ص 132.

ثانيا: إن أبا قحافة إنما أسلم سنة ثمان عام الفتح (1) وأم أبي بكر أسلمت -كما قالوا- سنة ست من البعثة (2)، وأولاد أبي بكر حالهم معلوم، حتى إن أحدهم قد طلب مبارزة أبيه-أبي بكر- يوم أحد أو بدر، كما سيأتي، فكيف يقول: إنه قد أنعم الله عليه وعلى والديه بعد النبوة بسنتين، ويطلب من الله أن يوفقه لشكر هذه النعمة؟! .

ثالثا: إن الآية المذكورة هي التي في سورة الأحقاف رقم 15، لأنها هي التي ذكرت الأربعين سنة، دون الآية التي في سورة النمل رقم 19. وعلى هذا نقول: الأحقاف قد نزلت في المدينة، لا في مكة، وإسلام أبي بكر كان في مكة قبل عدة سنوات.

الدعوة في مراحلها التي اجتازتها:

ويرى البعض: أن الدعوة قد مرت بمراحل أربع:

الأولى: المرحلة السرية، واستمرت ثلاث أو خمس سنوات.

الثانية: الإعلان بالدعوة إلى الله بالقول فقط، دون اللجوء إلى العنف، واستمرت حتى الهجرة.

الثالثة: مرحلة الدفاع عن الدعوة بالسيف، واستمرت إلى صلح الحديبية.

الرابعة: قتال كل من وقف في سبيل الإسلام، من الوثنيين والمشركين،

ص: 74

1- أسد الغابة ج 5 ص 275 والاستيعاب { مطبوع بهامش الإصابة } ج 4 ص 162 وقاموس الرجال ج 10 ص 166 عن المعارف لابن قتيبة.

2- راجع الغدير ج 7 ص 324.

وغيرهم، وهو ما استقر عليه أمر الدعوة و حكم الجهاد (1).

المرحلة السرية:

ولكننا لا نوافق على استعمال مصطلح «الفترة السرية» هنا إذ إن الظاهر هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن حينما بعث مأمورا بدعوة عموم الناس كما قدمنا، ولكنه كان يعرض هذا الدين بصورة طوعية وعفوية، وبدون أن يوجه الأنظار إلى ذلك، فكان هناك أفراد يسلمون تباعا.

وقد كان هذا الأسلوب في تلك الفترة ضروريا من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة، حتى لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها، حيث لا بد من إيجاد ثلة من المؤمنين، ومن مختلف القبائل يحملون هذه العقيدة ويدافعون عنها، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعة والحاسمة من قبل أعدائهم الأشرار.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن لا تهدر الطاقات، وتذهب الجهود سدى، وينتهي الأمر إلى تمزق، وتوزع في الثلة المؤمنة، ثم إلى ضياع مدمر.

وأيضا؛ فقد كانت هذه الفترة بمثابة إعداد نفسي، وتربية عقيدية وروحية لتلك الصفوة المؤمنة بربها، وبرسالة نبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله»، تمكنهم من الصمود في وجه التحديات التي تنتظرهم.

وإذا كان «صلى الله عليه وآله» يريد: أن يقود عملية تغيير شاملة، فلا بد له من إتاحة الفرصة لتهيئة وإعداد القوى التي تستطيع أن تحقق هدفا

ص: 75

كبيراً كهذا، و تتمكن من الحفاظ و الاحتفاظ بالوجود الفعال و المؤثر في بقاء ذلك الهدف.

النبي صلى الله عليه و آله في دار الأرقم:

قال المؤرخون: و لما صار عدد المسلمين ثلاثين رجلاً-كما قيل-و صار بعض المسلمين يخرجون إلى الشعاب و الجبال خارج مكة لأداء الفرائض، و إقامة الشعائر، و صار بعض المشركين يترصدونهم، و يتعمدون إيذاءهم، و حصلت صدامات فردية لهم معهم، و منها أنه كما يقولون:

خرج جماعة من المسلمين إلى شعاب مكة للصلاة، فظهر عليهم نفر من قريش كانوا يرصدونهم، و يتبعون آثارهم، و هم يصلون؛ فناكروهم، و عابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص-و العهدة على الراوي-يومئذ رجلاً من المشركين بلحى بعير، فشجّه، فكان أول دم أهرق في الإسلام (1).

و لكن قد قال الزبير {أي ابن بكار} : و طليب أول من دمي مشركاً في الإسلام؛ بسبب النبي «صلى الله عليه و آله» فإنه سمع عوف بن صبرة السهمي يشتم النبي «صلى الله عليه و آله»، فأخذ له لحى جمل، فضربه فشجّه الخ. (2).

و مرة أخرى تعقب مشركان مسلمين خرجاً للصلاة في أحد الشعاب،

ص: 76

1- تاريخ الطبري ج 2 ص 62 و سيرة ابن هشام ج 1 ص 282، و البداية و النهاية ج 3 ص 37، و السيرة الحلبية ج 1 ص 283، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 99.

2- الإصابة ج 2 ص 233.

فهذه الحوادث الجزئية-على ما يظهر-قد دفعت بالنبي «صلى الله عليه وآله» إلى اختيار دار الأرقم (2)، الواقعة على الصفا لجعلها مركزا لدعوته، ومحلا- لاجتماع أصحابه به، ثم الابتعاد عن أنظار المشركين في عبادتهم وشعائهم، بدلا من الخروج إلى الشعب من أجل الصلاة.

فكانت هذه الدار هي مركز حركته ونشاطاته وبقي فيها شهرا (3) ولم يخرج منها حتى تكامل المسلمون أربعين رجلا كما قيل (4)، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، وحينئذ خرج «صلى الله عليه وآله» ليعلم دعوته، وليبدأ مرحلة جديدة هي أصعب مرحلة، وأخطرها، وأكثر عنفا، و أشد بلاء.

هذا، ولكن بعض المحققين (5) يحتفل أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد دخل دار الأرقم مرة أو مرات، ولكن يد السياسة قد طورت هذا الأمر؛ لتكون دار الأرقم في مقابل شعب أبي طالب، بل يدعون: أنها دعيت دار

ص: 77

-
- 1- أنساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 117.
 - 2- أسلم سبع سبعة، أو بعد عشرة كما في الإصابة ج 1 ص 28 والاستيعاب هامش الإصابة ج 1 ص 107.
 - 3- وقيل: أربع سنين. راجع السيرة الحلبية ج 1 ص 283 والسيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 99.
 - 4- الإصابة ج 1 ص 28 والسيرة الحلبية ج 1 ص 285 والسيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 99 والاستيعاب هامش الإصابة ج 1 ص 108.
 - 5- هو العلامة السيد مهدي الروحاني رحمه الله.

لكننا في المقابل لا نرى أن دار الأرقم كانت لها هذه الأهمية، ولا هذا الدور، ولذلك تجد ابن إسحاق و هو من نعرف- لا يشير إلى دار الأرقم لا من قريب ولا من بعيد- كما أن البلاذري يذكرها بصورة عابرة، دون أية أهمية.

والذي يهتم بدار الأرقم و يبرزها على أنها مفصل تاريخي هو الواقدي بالدرجة الأولى، فلعل المسلمين ترددوا على هذه الدار مرات، فعظمت السياسة ذلك و طورته، حتى دعت هذه الدار دار الإسلام، للتعظيم على شعب أبي طالب حسبما تقدم، وذلك عن منطق السياسة الذي عرفناه و ألفناه غير بعيد.

قريش لا تهتم لمرحلة ما قبل الإعلان:

كان المشركون قد عرفوا بتنبؤ النبي «صلى الله عليه وآله» من أول الأمر، ولكنهم لم يهتموا كثيرا بالأمر-بادئ ذي بدء-ربما لأنهم اعتبروا أن القضية ليست بذات أهمية كبيرة؛ إلا من وجهة قبلية بالدرجة الأولى، ولكنهم ظلوا يتنسمون الأخبار، ويستطلعونها و كانوا يقولون: إن فتى عبد المطلب ليكلم من السماء.

إسلام أبي ذر رحمه الله:

وفي هذه الفترة كان إسلام أبي ذر «رحمه الله» الذي كان رابع، أو

ص: 78

خامس من أسلم (1)، حيث إنه سمع بمبعث النبي «صلى الله عليه وآله» فأرسل أخاه ليستقصي له الخبر، فرجع إليه، ولم يشف له غليلا.

فذهب هو بنفسه إلى مكة؛ فكره أن يسأل عن النبي «صلى الله عليه وآله» علانية وراه علي «عليه السلام» مضطجعا في ناحية المسجد الحرام، فعرف أنه غريب، فاستضافه ثلاثة أيام لا يسأله عن شيء، ثم سأله أبو ذر عن النبي «صلى الله عليه وآله»، فأخذه إليه بصورة سرية؛ حيث أمره أن يتبعه، فإن رأى ما يخاف منه عطف كأنه يريد أن يقضي حاجة، أو يصلح نعله.

وبعد أن أسلم أبو ذر خرج إلى المسجد الحرام؛ فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقام إليه المشركون فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس؛ فأكب عليه، وقال: ويحكم، أستم تعلمون: أنه من غفار، وإنها طريق تجارتكم إلى الشام؟ فتركوه، و لكنه عاد في اليوم الثاني إلى مثل ذلك، فخلصه العباس (2).

ص: 79

1- دلائل النبوة للبيهقي ج 1 ص 458، طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 164، و حلية الأولياء ج 1 ص 157، و مستدرك الحاكم ج 3 ص 342، و الاستيعاب هامش الإصابة ج 1 ص 313، و الإصابة ج 4 ص 63، و أسد الغابة ج 5 ص 186، و الغدير ج 8 ص 308-309 عن بعض من تقدم وعن شرح الجامع الصغير للمناوي ج 5 ص 423.

2- هذا ملخص ما في البخاري ج 2 ص 206-207 ط سنة 1309 هـ و البداية والنهاية ج 3 ص 34، و حلية الأولياء ج 1 ص 159، و مستدرك الحاكم ج 3 ص 339، و الغدير ج 8 ص 309-310 عن بعض من تقدم وصحيح مسلم-

و ثمة نصوص أخرى لا مجال لذكرها هنا.

ولما ضرب أبو ذر جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، أما قريش فلا أدعهم حتى أثار منهم، ضربوني.

فخرج حتى أقام بعسفان، وكلما أقبلت غير لقريش، يحملون الطعام، ينفر بهم على ثنية غزال؛ فتلقي أحمالها؛ فجمعوا الحنط، ويقول أبو ذر لقومه: لا يمس أحد حبة حتى تقولوا: «لا إله إلا الله» .

فيقولون: «لا إله إلا الله»، و يأخذون الغرائر (1).

و حسب نص آخر: كان أبو ذر رجلا شجاعا يتفرد وحده بقطع الطريق، و يغير على الصرم (2) في عماية الصبح على ظهر فرسه، أو على قدميه كأنه السبع. .

إلى أن قال:

«فكان يعترض لعيرات قريش، فيقطعها، فيقول: لا أرد إليكم منها شيئا، حتى تشهدوا: أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله: فكان على ذلك حتى هاجر رسول الله، و مضى بدر، و أحد، ثم قدم فأقام بالمدينة» (3).

و أسلم على يده نصف قبيلته غفار، و وعده الباقر بأن يسلموا إذا قدم

(2) ج 7 ص 156 و الاستيعاب هامش الإصابة ج 4 ص 63 و دلائل النبوة لأبي نعيم ج 2 ص 86، و طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 161-162 و 164-165 و الإصابة ج 4 ص 63.

ص: 80

1- طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 164.

2- الصرمة: القطعة كم الإبل.

3- طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 163، و راجع تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 100.

النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة (1).

وكان أبو ذر يتأله في الجاهلية، ويقول: «لا إله إلا الله»، ولا يعبد الأصنام، ويقال: إنه صلى قبل مبعث النبي «صلى الله عليه وآله» عدة سنوات (2).

ما يستفاد من حديث إسلام أبي ذر:

أولاً: إن عدم عبادة أبي ذر للأصنام، ليس إلا من أجل منافرتها لحكم العقل، ولفطرة السليمة، حين لا تغطي على الإنسان أي من العوامل الخارجية التي تجعل على قلبه وبصره غشاوة.

ويلاحظ: أن القرآن ما زاد في مقاومته لعبادة الأصنام، والتوجيه إلى الله تعالى على أن نبه العقل، وأثاره، وأرشد إلى ما تقتضيه الفطرة السليمة في هذا المجال، وكل من يستعرض الآيات القرآنية يرى كيف أن القرآن يهتم في الإرجاع إلى الفطرة، وحكم العقل، ويعتبر أن لهما وحدهما الحق في الحكم في هذا المجال.

ثانياً: إن أسلوب علي «عليه السلام» في المحافظة على عنصر السرية، حتى لا يلتفت المشركون إلى طبيعة تحركاته وأهدافه، وأسلوبه في إيصاله أبا ذر إلى الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» -رغم أنه لا يزال فتى يافعا- إن دلّ على شيء؛ فإنما يدلّ على دراية وروية، وتبصر وتدبر بالأمر، مما

ص: 81

1- طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 163، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 100.

2- طبقات ابن سعد ج 4 ق 1 ص 163. ولا بأس بمراجعة ما كتبناه حول أبي ذر في مقال لنا في كتاب: دراسات وبحوث في التاريخ و الإسلام. و حلية الأولياء ج 1 ص 157.

يؤكد امتياز «عليه السلام» على غيره، ممن عاش و مارس الأمور.

كما أن اتكال أبي ذر رجل الحكمة و التبصر على دعوة علي «عليه السلام» له، و استجابته لدعوته و نزوله ضيفا عليه، يدل على أنه كان يرى في علي من الحكمة و الروية ما لا يراه في غيره، مهما كان فارق السن بينه و بين أولئك كبيراً.

و لقد كان «عليه السلام» يهدف إلى الحفاظ على أبي ذر من جهة، و على أن لا يلفت نظر المشركين إلى أنه يقوم بنشاط من أجل إدخال الناس في هذا الدين الجديد من جهة أخرى، و هذا الثاني هو الأهم بالنسبة إليه، فإنه لا يمكن أن يتخلى عن الدعوة في سبيل الشخص، و لكن الشخص هو الذي يضحي بنفسه و بكل ما لديه في سبيل الحفاظ على الدعوة و بقائها، و لكن هذه التضحية لا بد أن تكون في وقت الحاجة إليها، و حين يكون لا بد منها و لا غنى عنها، و إلا فلربما يكون ضررها أكثر من نفعها، أو على الأقل يكون هدراً لطاقات، و إتلافاً لقدرات ربما تكون الدعوة في يوم ما بأمس الحاجة إليها.

ثالثاً: ما فعلته قريش بأبي ذر لم يكن بسبب أن المواجهة كانت قد وقعت بينها و بين النبي «صلى الله عليه و آله» ؛ فإن هذه المواجهة لم تكن حصلت حينئذ، و إنما رأيت في تصرف أبي ذر هذا تحدياً لها، و اعتداء على شرفها، و كبريائها، و لا يقصد منه إلا تحقيرها و إذلالها، من دون مبرر ظاهر تراه و تتعقله لتصرف كهذا سواء، و لعلها أرادت من بطشها بهذا الرجل الغريب و الوحيد ردع الآخرين، و إرهابهم، و منعهم من الإقبال على الدخول في الإسلام، أو من التظاهر به.

رابعاً: إنتقام أبي ذر من قريش على ذلك النحوقد أثر فيها نفسياً، وروحياً إلى حد بعيد، وعرفها:

أنها لا يمكن أن تتعامل مع الآخرين، كما يحلو لها، وعلى حسب ما تشتهي، لأن الآخرين يملكون من الوسائل الفعالة للضغط عليها ما لا تجد معه حيلة، ولا تستطيع سبيلاً.

خامساً: إن نجاح أبي ذر في دعوته قومه من قبيلتي غفار وأسلم، حتى إنه يستغل تشوقهم للحصول على غرائر الحنطة لطرح الخيار النهائي عليهم -إن نجاحه هذا- ليدل على أنه كان بعيد الهممة والنظر عاقلاً ليبياً أريباً، يدرك أهداف الرسالة السماوية الحقة التي اعتنقها خير إدراك، ويدرك واجباته تجاهها، ثم هو ينفذ مهمته، ويقوم بواجباته على النحو الأكمل والأفضل.

سادساً: إن محاولات أبي ذر الجادة للتعرف على صدق النبي «صلى الله عليه وآله» في دعواه، وإرساله أخاه أولاً، ثم ذهابه هو بنفسه، وبقاءه ثلاثة أيام يبحث عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، إنما كانت بدافع ذاتي ينبع من داخله، يدفعه إلى البحث عن الحق، والعمل من أجله، وفي سبيله.

وهذا يؤيد القول: بأن العقل هو الذي يحكم ويدفع إلى تعلم ما ينفع، وما يضر، للالتزام بذلك، والابتعاد عن هذا. بل هو أمر فطري مغروس في فطرة الإنسان وطبيعته وسجيته، حتى إنك تجد الطفل الذي يحس بألم النار ليس فقط لا يحاول بعد ذلك الاقتراب منها، وإنما هو يجهد بكل ما أوتي من قوة وحول في الابتعاد عنها.

سابعاً: إن موقف علي «عليه السلام» من أبي ذر ليعكس لنا: أن هذا

الفتى اليفع و الناشئ كان يعتز بنفسه، و يثق بها، فيدعو أبا ذر ليكون ضيفه ثلاثة أيام، ثم هو يساعده على الوصول إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بشكل ذكي و حذر، ثم هو يتركه ثلاثة أيام لا يسأله عن أمره حتى لا يشعر هذا الضيف بأن مضيفه ربما يكون قد ضاق به ذرعا، أو ملّ وجوده؛ و ليكون قد أتاح له الفرصة ليستأنس في هذا البلد الذي يراه غريبا عليه، و يألفه، و يرتاح إليه نفسيا، كما ارتاح جسديا؛ و ليكون أنفذ بصيرة، و أكثر اطمينانا في بيان حاجته التي جاء من أجلها.

ثامنا: إن جهر أبي ذر بإسلامه، و تعريضه نفسه للضرب و الإهانة من قبل المشركين، إنما يعكس لنا مدى اعتزاز أبي ذر بإسلامه هذا، و مدى استعداداه للتضحية في سبيله، ثم هو يعكس مدى حنق قريش و رعوتها في مواجهة الدعوة إلى الله تعالى، حتى إنها تنسى: أن من تبطش به ربما يكون في المستقبل سببا في عرقلة تجارتها إلى الشام، و مضايقتها اقتصاديا.

نعم، تنسى ذلك، و تهجم عليه لتضربه، ثم ترتد عنه لا بدافع إنساني، و لا عن قناعة فكرية، و إنما لدوافع اقتصادية دنيوية، تعكس أنانيتها، و مستوى تفكيرها أولا- و أخيرا، و لا شيء أخطر على الإنسان من الأنانية التي ربما تضع على عينيه غشاوة؛ فلا يبصر الحق الأبلج، و لا يهتدي سواء السبيل.

تاسعا: لعل أبا ذر قد أراد كسر شوكة أعداء الإسلام، و فتح ثغرة في هذا الجبروت، ثم كسر حاجز الخوف لدى المسلمين، ليتشجعوا على مواجهة الأخطار، و ضرب المثل الحي لهم في مجال التضحية من أجل الدين و الحق، كما أن ذلك لسوف يؤثر على من يميلون إلى هذا الدين و يتعاطفون

مع المسلمين، ويشير إعجابهم بصورة كبيرة.

وأخيرا، فلسوف نرى: أن ثمة محاولات لنسبة موقف أبي ذر الشجاع والجريء والفذ هذا تجاه قريش إلى غيره من الصحابة، كأبي بكر تارة، وعمر أخرى.

ولكن كل ذلك لا يمكن أن يصح، كما سنذكره حين الحديث عن إسلام عمر، وهجرة أبي بكر.

ص: 85

إشارة

الفصل الأول: الإسراء والمعراج

الفصل الثاني: إنذار العشيرة

الفصل الثالث: حتى الهجرة إلي الحبشة

الفصل الرابع: هجرة الحبشة

الفصل الخامس: حتى الشعب

الفصل السادس: في شعب أبي طالب عليه السّلام

الفصل السابع: أبو طالب عليه السّلام

ص: 87

بعد بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»، وفي أثناء المرحلة السرية، التي استمرت ثلاث، أو خمس سنوات، كان-على الأرجح-الإسراء و المعراج: الإسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم.

و المعراج من هناك إلى السماء، الذي وردت به أخبار كثيرة.

و حيث إن التفاصيل الدقيقة لهاتين القضيتين يصعب الجزم في كثير منها إلا بعد البحث الطويل و العميق.

ذلك لأن هذه القضية، و جزئياتها قد تعرضت على مر الزمان للتلاعب و التزويد فيها، من قبل الرواة و القصاصين، ثم من قبل أعداء الإسلام؛ بهدف تشويه هذا الدين، و إظهاره على أنه يحوي الغرائب و العجائب، و الأساطير و الخرافات، لأسباب شخصية، و سياسية و غيرها.

و لم يسلم من مكائد هؤلاء حتى رموز الإسلام، و حفظته و أئمة المسلمين أيضا.

و قد حذر الإمام الرضا «عليه السلام» من هؤلاء-حسبما روي عنه- حيث قال لابن أبي محمود: «إن مخالفتنا وضعوا أخبارا في فضائلنا و جعلوها على أقسام ثلاثة:

أحدها: الغلو.

وثانيها: التقصير في أمرنا.

وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا.

فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا.

وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا.

وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل: **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** (1).

وبعد ما تقدم، فإن التعرض لبحث التفاصيل الدقيقة لقضية الإسراء والمعراج يحتاج إلى توفر تام، وتأليف مستقل؛ ولذا فنحن لا نستطيع في هذه الفرصة المتوفرة لنا أن نعطي تصورا دقيقا عنه.

وعلى هذا، فسوف نكتفي بالإشارة إلى بعض الجوانب التي رأينا أن من المناسب التعرض لها؛ فنقول:

متى كان الإسراء والمعراج؟ !

إن المشهور هو: أن الإسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة بمدة وجيزة؛ فبعضهم قال: ستة أشهر.

وبعضهم قال: في السنة الثانية عشرة للبعثة، أو في الحادية عشرة أو في العاشرة.

ص: 92

1- الآية 108 من سورة الأنعام، راجع: البحار ج 26 ص 239 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 304.

وقيل: بعد الهجرة (1).

وفي مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنه كان في السنة الثانية من البعثة (2)، وقيل: في الخامسة، وقيل في الثالثة-وهو الأرجح عندنا-و لعل ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنه ذكر الإسراء في أول البعثة كما ذكره عنه ابن كثير (3).

وقال مغلطاي، بعد أن ذكر بعض الأقوال: «وقيل: كان بعد النبوة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف عام.

وقال عياض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهرا» (4).

وقال ملا علي القاري: «وذكر النووي: أن معظم السلف، و جمهور المحدثين والفقهاء على أن الإسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهرا» (5).

وقال ابن شهر آشوب: «ثم فرضت الصلوات الخمس بعد إسرائه في السنة التاسعة من نبوته» (6).

فإن قوله: «في السنة التاسعة» راجع إلى فرض الصلوات، وقد ظهر من

ص: 93

1- راجع: السيرة الحلبية، وتاريخ الخميس، وغير ذلك.

2- البحار ج 18 ص 319 عن العدد، ونقل ذلك عن الزهري في عدة مصادر.

3- البداية والنهاية ج 3 ص 108.

4- سيرة مغلطاي ص 27.

5- شرح الشفاء للقاري ج 1 ص 222.

6- المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 43.

كلامه: أن فرضهما كان بعد الإسراء والمعراج، ولكنه لم يبين لنا تاريخه بالسنة ولا باليوم والشهر.

وقال الديار بكري: «فأما سنة الإسراء، فقال الزهري: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين.

حكاه القاضي عياض، ورجحه القرطبي، والنووي.

وقيل: قبل الهجرة بسنة إلخ» (1).

الأدلة على المختار:

و أما ما يدل على أن الإسراء قد كان في السنوات الأولى من المبعث؛ فعدا عن الأقوال المتقدمة، ولا سيما ما ذكره الزهري والنووي، نشير إلى الأمور التالية:

1- ما روي عن ابن عباس أن ذلك كان بعد البعثة بستين (2) وابن عباس كان أقرب إلى زمن الرسول، وأعرف بسيرته من هؤلاء المؤرخين، فإذا ثبت النص عنه قدم على أقوال هؤلاء.

و لربما لا يكون هذا مخالفا لما تقدم عن الزهري وغيره، إذا كان ابن عباس لا يحسب الثلاث سنوات الأولى، على اعتبار: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما أمر بإنذار الناس بعدها.

2- قد ورد عن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن الإسراء قد كان

ص: 94

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 307.

2- البحار ج 18 ص 319 و 381 عن المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 177، و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 26، حيث ذكر ذلك بعد المبعث، وقبل الإنذار.

بعد ثلاث سنين من مبعثه (1)، وهذا هو الأصح والمعتمد.

3- ويدل على ذلك بشكل قاطع ما روي عن: ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والإمام الصادق «عليه السلام»، وعمر بن الخطاب، وعائشة، من أنه «صلى الله عليه وآله» - حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيده النساء، فاطمة «عليها السلام» - قال لها: نعم يا عائشة، لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبى، فلما نزلت وقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة؛ ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها (2).

و معلوم مما سبق: أن فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات؛ فالإسراء والمعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، ولعله قبل ذلك بستين.

ص: 95

1- البحار ج 18 ص 379 عن الخرائج والجراح.

2- تاريخ بغداد ج 5 ص 87، والمواهب اللدنية ج 2 ص 29، ومقتل الحسين للخوارزمي ص 63/64 و ذخائر العقبى ص 36، وميزان الاعتدال ج 2 ص 297 و 160، ومستدرک الحاكم ج 3 ص 165، وتلخيصه للذهبي، ومجمع الزوائد ج 9 ص 202، و ينابيع المودة ص 97، ونزهة المجالس ج 2 ص 179، و مناقب المغازلي ص 358 و البحار ج 18 ص 315 و 350 و 364، و نور الأبصار ص 44 و 45 و علل الشرائع ص 72، و تفسير القمي و نظم درر السمطين ص 176 و محاضرة الأوائل ص 88 و ملحقات إحقاق الحق للمرعشي ج 10 ص 1-11 عن بعض من تقدم، وعن: أرجح المطالب ص 239، و وسيلة المآل ص 78/79، و إعراب ثلاثين سورة ص 120، و كنز العمال ج 14 ص 97 و ج 3 ص 94، و مفتاح النجا ص 98 مخطوط و أخبار الدول ص 87 و عن ميزان الاعتدال ج 1 ص 38 و 253 و ج 2 ص 26 و 84 و الدر المنثور ج 4 ص 153 عن الطبراني و الحاكم.

حتى أذن الله لتلك النطفة بالظهور، والاستقرار في موضعها.

4- إن سورة الإسراء قد نزلت في أوائل البعثة، ويدل على ذلك:

أ- ما رواه البخاري وغيره، من أن قوله تعالى في سورة الإسراء: **وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا (1)** قد نزل بمكة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» مختلف.

وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن؛ فإذا سمع المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به إلخ (2).

و معلوم: أن اختفاء النبي «صلى الله عليه وآله» في دار الأرقم إنما كان في أوائل البعثة، والمقصود بالاختفاء هو التخفي عن أعين المشركين حين الصلاة.

وأجاب المحقق الروحاني على ذلك، بأن من الممكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» حينئذ مختفيا في شعب أبي طالب.

فلا تدل هذه الرواية على أن الإسراء كان في أول البعثة.

ولكن، لنا أن نناقشه بأن الداعي إلى دخولهم الشعب لم يكن هو التخفي في الصلاة وتلاوة القرآن، وإنما اضطرتهم المشركون إلى دخوله، وحاصروهم فيه، فالتعبير بالاختفاء يدل على أن ذلك قد كان في أوائل البعثة.

ص: 96

1- الآية 110 من سورة الإسراء.

2- صحيح البخاري طبع سنة 1309 هـ ج 3 ص 99، والدر المنثور ج 4 ص 206 عنه وعن: مسلم وأحمد والترمذي، والنسائي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والطبراني والبيهقي.

ووجود هجوم في سورة الإسراء على عقائد المشركين لا يضر إذا كانت السورة قد نزلت في أوائل البعثة.

ب- ما ذكره البعض في مقال له (1) من أن سورة الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور (2) وسورة الحجر قد نزلت في المرحلة السرية.

وفيها جاء قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (3).

الأمر الذي تسبب عنه الجهر بالدعوة وإظهارها.

وإيراد المحقق الروحاني هنا: بأن في السورة ما يدل على وجود الصدام بين النبي «صلى الله عليه وآله» والمشركين.

وهذا الصدام إنما حصل بعد الاختفاء في دار الأرقم، وبعد الإعلان بالدعوة.

يجاب عنه بما تقدم: من أن من غير البعيد أن تكون هذه السورة قد نزلت تدريجاً؛ فبدأ نزولها في أول البعثة.

ثم أكملت في فترة التحدي والمجابهة بين النبي «صلى الله عليه وآله» والمشركين.

ويدل على قدم نزولها أيضاً: قول ابن مسعود عن سور الإسراء، والكهف، ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي (4).

ص: 97

1- راجع: مجلة الوعي الإسلامي المغربية عدد 163 ص 56.

2- راجع: الإتيان ج 1 ص 11، و تاريخ القرآن للزنجاني ص 37.

3- الآية 94 من سورة الحجر.

4- صحيح البخاري ج 3 ط سنة 1309 ص 96 و الدر المنثور ج 4 ص 136 عنه وعن ابن الضريس و ابن مردويه.

وابن مسعود ممن هاجر إلى الحبشة، ورجع منها، والنبي «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى بدر (1).

إلا أن يقال: إن ابن مسعود إنما هاجر إلى الحبشة بعد الطائف، أي في الهجرة الثانية، لا في الأولى؛ فلاحظ؛ فإن ذلك لا يلائم قوله: إنهن من العتاق الأول.

5- إن سورة النجم-التي يذكرون أنها تذكر المعراج في آياتها-قد نزلت هي الأخرى في أوائل البعثة؛ فإنها نزلت بعد اثنتين أو ثلاث و عشرين سورة، ونزل بعدها أربع وستون سورة في مكة (2).

وسياتي في قصة الغرائق المكذوبة أو المحرفة: أنهم يقولون: إنها إنما نزلت بعد الهجرة إلى الحبشة بثلاثة أشهر، والهجرة إلى الحبشة إنما كانت في السنة الخامسة.

بل لقد قيل: إن سورة النجم هي أول سورة أعلن النبي «صلى الله عليه وآله» بقراءتها؛ فقرأها على المؤمنين والمشركين جميعاً (3).

والنقاش في كون آيات سورة النجم ناظرة إلى المعراج، يمكن تجاوزه، وعدم القبول به كما سياتي إن شاء الله تعالى.

6- ويؤيد كون هذه القضية قد حصلت في أوائل البعثة، أنه حين عرج

ص: 98

1- فتح الباري ج 7 ص 145.

2- راجع الإقنان ج 1 ص 10-11 و 25.

3- تفسير الميزان مجلد 19 ص 26.

به «صلى الله عليه وآله» صار الملائكة يسألون: أوقد أرسل إليه؟ (1).

فإن هذا يشير إلى أن ذلك إنما كان في أول بعثته «صلى الله عليه وآله» لا بعد عشرة أو اثنتي عشرة سنة، فإن أمره «صلى الله عليه وآله» كان قد اشتهر في أهل السماوات حينئذ.

بل يمكن أن يكون قد اشتهر ذلك منذ الأيام الأولى من البعثة.

7- ما يدل على أن الإسراء قد كان قبل وفاة أبي طالب: فإن بعض الروايات تذكر أن أبا طالب «عليه السلام» قد افتقده ليلته، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فذهب إلى المسجد، ومعه الهاشميون، فسل سيفه عند الحجر، وأمر الهاشميين بإظهار السيوف التي معهم، ثم التفت إلى قريش، وقال: لو لم أره ما بقي منكم عين تطرف.

فقلت قريش: لقد ركبت منا عظيماً (2).

8- ما روي من أن جبرئيل قال للنبي «صلى الله عليه وآله» حين رجوعه: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام (3).

9- وعن عمر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: ثم رجعت إلى

ص: 99

1- مجمع الزوائد ج 1 ص 69/70 عن البزار و المواهب اللدنية ج 2 ص 6، و تاريخ الخميس ج 1 ص 310.

2- مناقب ابن شهر آشوب ج 1 ص 180، و البحار ج 18 ص 384.

3- البحار ج 18 ص 385 عن العياشي، عن زرارة، و حمران بن أعين، و محمد بن مسلم، عن الباقر «عليه السلام» .

خديجة، و ما تحولت عن جانبها (1).

فكل ذلك يدل على أن هذا الحدث قد كان قبل وفاة شيخ الأبطح، و أم المؤمنين خديجة «رحمها الله» و هما قد توفيا في السنة العاشرة من بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»، فكيف يكون الإسراء و المعراج قد حصل في الحادية عشرة أو الثانية عشرة أو بعدها؟ ! .

تسمية أبي بكر بالصديق

إنه إذا تأكد لنا: أن الإسراء و المعراج كان في السنة الثالثة من البعثة، أي قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلاً؛ فإننا نعرف: أن الإسراء كان قبل إسلام أبي بكر بمدة طويلة؛ لأنه كما تقدم قد أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، بل إنما أسلم حوالي السنة الخامسة من البعثة، بل في السابعة أي بعد وقوع المواجهة بين قريش و بين النبي «صلى الله عليه وآله» أو بعد الهجرة إلى الحبشة فهو أول من أسلم بعد هذه المواجهة أو الهجرة-على الظاهر.

و إذا كان الإسراء قد حصل قبل إسلامه بمدة طويلة، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا، من أنه قد سمي صديقاً حينما صدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قضية الإسراء (2)، و لا- لما يذكرونه من أن ملكاً كان يكلم رسول الله حين المعراج بصوت أبي بكر (3) و قد صرح الحفاظ بكذب طائفة

ص: 100

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 315.

2- تاريخ الخميس ج 1 ص 315، و المواهب اللدنية ج 2 ص 40 و مستدرک الحاكم، و ابن إسحاق.

3- المواهب اللدنية ج 2 ص 29 و 30، و راجع الدر المنثور ج 4 ص 155 و راجع ص 154.

من تلك الروايات (1).

و الصحيح: هو أنه قد كلمه بصوت علي «عليه السلام» (2).

وبذلك يظهر حال سائر ما يذكر هنا لهذا الرجل من فضائل و مواقف تنسب إليه في السنوات الثلاث الأولى من البعثة.

وبعد ما تقدم نقول: جاء في الشفاء عن أبي حمراء قال:

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيده بعلي «عليه السلام» (3).

الإسراء و المعراج في اليقظة أو في المنام؟ !

يرى البعض: أن الإسراء قد كان بالروح فقط، في عالم الرؤيا، ويحتجون بما عن عائشة: ما فقدت جسد رسول الله «صلى الله عليه وآله» (4).

وعن معاوية: إنها رؤيا صالحة (5).

ص: 101

1- راجع: الغدير ج 5 ص 303 و 324 و 325 فإنه قد نقل هذه الروايات و تكذيبها عن: ميزان الاعتدال ج 1 ص 370، و لسان الميزان ج 5 ص 235، و تهذيب التهذيب ج 5 ص 138، و السيوطي في الموضوعات، و ابن حبان، و ابن عدي.

2- المناقب للخوارزمي ص 37 و ينابيع المودة ص 83.

3- تاريخ الخميس ج 1 ص 313.

4- تاريخ الخميس ج 1 ص 308، و المواهب اللدنية ج 2 ص 2، و البحار ج 18 ص 291 و في المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 177: أن الجهمية قالت بهذا.

5- البحار ج 18 ص 291 عن: المقاصد و شرحه، و راجع تاريخ الخميس ج 1 ص 308.

و حكي مثل ذلك عن الحسن البصري.

ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه الإمامية و معظم المسلمين من أن الإسراء إنما كان بالروح و الجسد معا.

أما المعراج فذهب الأكثر إلى أنه كان بالروح و الجسد و هو الصحيح أيضا.

و نحن نشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: بالنسبة لعائشة، قال القسطلاني: «و أجيب: بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة؛ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجاً، ولا في سن من يضبط، أو لم تكن ولدت بعد، على الخلاف في الإسراء متى كان» (1).

و أما معاوية فحالته معلوم مما ذكرناه في الجزء الأول: «المدخل لدراسة السيرة» .

ثانياً: قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (2) وقال في سورة النجم- إذا كانت الآيات ناظرة إلى المعراج، و يرجع الضمير فيها إلى النبي «صلى الله عليه و آله» لا إلى جبرئيل-: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (3).

فإن لفظ العبد إنما يطلق على الروح و الجسد معا، و لو كان مناما، لكان قال: بروح عبده، و إلى روح عبده.

ص: 102

1- المواهب اللدنية ج 2 ص 2.

2- الآية 1 من سورة الإسراء.

3- الآيتين 9 و 10 من سورة النجم.

كما أن قوله تعالى: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ظاهر في البصر الحقيقي أيضا (1).

أضف إلى ذلك: أن آية سورة الإسراء، وآيات سورة النجم واردة في مقام الامتنان.

وفيها ثناء على الله، وعجيب قدرته، وذلك لا يحسن، ولا يتم لمجرد رؤيا رآها النبي «صلى الله عليه وآله»؛ إذ ربما يرى غير النبي، و حتى الفاسق الفاجر رؤيا أعظم من ذلك.

هذا بالإضافة إلى أن الرؤيا عند عامة الناس لا تدل على عظيم قدرته تعالى، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الأوهام والخيالات، فيفوت الغرض المقصود من الإسراء والمعراج، كما هو ظاهر (2).

ثالثا: إنه لو كان الإسراء مجرد رؤيا صالحة؛ فلا يبقى فيه إعجاز؛ ولما أنكره المشركون والمعاندون، ولما ارتد ناس ممن كان قد أسلم، كما سنشير إليه.

رابعا: لو كان مجرد رؤيا، لم يخرج أبو طالب و الهاشميون في طلبه «صلى الله عليه وآله» .

و كان العباس يناديه حتى أجابه من بعض النواحي، حسبما ورد في بعض الروايات.

ص: 103

1- الآية 17 من سورة النجم، راجع هذا الاستدلال في: البحار ج 18 ص 286 عن الرازي، والمواهب اللدنية ج 2 ص 4، و تاريخ الخميس ج 1 ص 308.

2- راجع: تفسير الميزان ج 13 ص 24.

و أما لماذا ينكرون: أن يكون ذلك بالروح و الجسد معا؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلك، أو لأجل الحط من كرامة النبي «صلى الله عليه وآله» كما تقدم في المدخل لدراسة السيرة، أو لعدم قدرتهم على إقناع الناس بأمر مبهم كهذا.

الإسراء و المعراج في القرآن:

إنه لو صح التفريق بين الإسراء و المعراج، لقلنا:

إننا نؤمن بالإسراء استنادا إلى قوله تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا (1)**. فمحط النظر في الآية هو بيان الإسراء فقط.

لكن الحقيقة هي: أن المراد بالإسراء هو السير بالليل سواء كان سيرا صعوديا أو أفقيا، فالآية ناظرة إلى المعراج كما أظهرته الروايات التي ذكرت أن المسجد الأقصى في السماء، وقد شرحنا ذلك بشيء من التفصيل في كتابنا المسجد الأقصى أين؟! !

وبذلك يكون المعراج قد ذكر في القرآن صراحة، وقد يقال: إنه قد ذكر صراحة أيضا في آيات سورة النجم و هي قوله تعالى: **ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (2)**، إن قلنا إن الضمير فيها يرجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، لا إلى ذي المرة، الذي هو جبرئيل.

ص: 104

1- الآية 1 من سورة الإسراء.

2- الآيات 6 إلى 11 من سورة النجم.

مع ملاحظة: أن آية سورة بني إسرائيل تتحدث عن إسراء، و آيات سورة النجم تتحدث عن إسراء آخر بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» به سدره المنتهى، حيث رأى هناك جبرئيل على صورته الحقيقية.

وقد يقال: إن رجوع الضمير إلى جبرئيل «عليه السلام» في قوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ هو الظاهر، ويدل عليه رواية صحيحة السند، عالية الإسناد، عن الإمام الرضا «عليه السلام»: أنه كان المراد بقوله: مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ هو جبرئيل «عليه السلام» كما سنشير إليه.

والرواية تستشهد و تستدل بنص الآيات في السورة (1).

ويدل على ذلك أيضا ويفسره قوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (2) فراجع.

ويدل عليه: ما روي عن الإمام السجاد «عليه السلام» أنه قال في خطبته بالشام: «أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.». .

أضف إلى ذلك: أن كثرة الأخبار الواردة في المعراج، و حتى تواترها القطعي لا يبقى مجالا للشك في حصول المعراج؛ فنحن نؤمن به أيضا استنادا إلى ذلك.

و أما القول بوجود تعارض بين آية سورة الإسراء، وبين الروايات الدالة على المعراج، على اعتبار: أن الآية تدل على أن انتهاء السير كان في

ص: 105

1- راجع البرهان للبحراني ج 4 ص 248 و ستأتي الرواية تحت عنوان: لا تدركه الأبصار.

2- الآية 23 من سورة التكوين.

المسجد الأقصى، ولم يكن بعده سير، فلا يصح لأن هناك رحلتين مختلفتين من حيث الكيفية والقصد.

وقد كان انتهاء الرحلة الأولى في المسجد الأقصى، الذي هو في السماء كما دلت عليه الروايات، ولم يتعلق غرض في الآية ببيان الرحلة الثانية أصلاً، ثم جاءت الروايات لتبين الإسراء الذي تحدثت عنه آيات سورة النجم، والذي رأى فيه «صلى الله عليه وآله» عند سدره المنتهى جبرئيل على صورته الحقيقية.

توضيح:

إن الروايات تشير إلى أن المشركين قد صعب عليهم الإيمان بالمعراج، فاختار «صلى الله عليه وآله» أسلوب البيان لبعض الأمور التي يعرفونها عن طريق الحس ليكون التصديق به أيسر وأقرب.

ورغم ذلك فإنه: قد صعب عليهم التصديق به، بل واستهزؤوا وشنعوا عليه ما شاء لهم بغيهم وحنقهم.

رغم أنه قد أخبرهم بما جرى للقافلة التي رآها في طريقه، وبأنها قد أضلت بغيراً، وكسرت فيها ناقه حمراء في الوقت الفلاني، وبأن لهم صدقه في ذلك.

ورغم أنه «صلى الله عليه وآله» وصف لهم بيت المقدس وصفا دقيقاً، يعلمون صحته وصدقه، مع علمهم بعدم رؤيته «صلى الله عليه وآله» له فيما مضى.

وأيضا، إذا كان بعض ضعفاء المسلمين قد ارتدوا حين أخبرهم النبي «صلى الله عليه وآله» ببعض ذلك (1)، الذي هو من جملة المعجزات القاطعة، و البراهين الساطعة.

نعم، إذا كان ذلك كله، فكيف تكون الحال إذا أخبرهم بما هو أكثر غرابة وبعدا عن أذهانهم، و هو رحلته إلى السماوات العلى، و ما شاهد فيها من عجائب الصنع، و بديع الخلق؟! .

و لهذا، فإننا نرجح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد تدرج في إخبارهم بذلك كله، بحسب ما تقتضيه المصلحة، و متطلبات الدعوة إلى الله تعالى.

الداعية الحكيم:

و لعل مما تقدم يظهر: أنه إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، و من الضلالة إلى الهدى، فإن من الطبيعي أن يهتم في الحفاظ على الركيزة الإيمانية التي يحصل عليها، و أن لا يدخلها في أجواء ليس لها القدرة على استيعابها و لا على مواجهة أخطار الانحراف فيها.

و من الواضح: أنه إذا أخبرهم بقضية المعراج، مع عدم قدرتهم على التحمل و التفاعل معها و لا على تصورها، فإنهم إذا ارتدوا حينئذ

ص: 107

1- المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 328، و تفسير ابن كثير ج 3 ص 21، و أخرجه أبو نعيم، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج 4 ص 353 و حياة الصحابة ج 3 ص 73 عن بعض من تقدم، و تاريخ الخميس ج 1 ص 308 و 315، و المواهب اللدنية ج 2 ص 40.

فسيكونون معذورين، ولا سيما إذا كان التصديق بهذه القضية إنما يستند إلى المستوى الإيماني لديهم بالدرجة الأولى.

وأما إخبارهم بالأمور الحسية أو القريبة من الحس، فقد كان بالإمكان أن يؤدي الإخبار عنها نفس النتيجة المتوخاة، وهي الجهة الإعجازية ذات الطابع المعين مع إمكان الاستناد في مقام الإقناع بها إلى أدلة تقربها إلى الحس، وتجعل القبول بها أيسر وأسهل من تلك، ولا يعتمد فيها على المستوى الإيماني وحسب.

وإذا؛ فلا يبقى ثمة مبرر لارتداد هؤلاء، ولا لعناد أولئك.

ومن الواضح: أن كل هذا الكلام لا يمنع من كون سورة النجم ناظرة إلى المعراج، فإن الروايات تقول:

أنه «صلى الله عليه وآله» قد عرج به إلى السماوات أكثر من مرة، فأخبرهم «صلى الله عليه وآله» عن الإسراء في المرة الأولى، ثم بعد أن أصبحوا مؤهلين لتلقي هذه القضية، نزلت السورة وأخبرهم بالمعراج إلى السماوات.

لا تدركه الأبصار:

ويرى البعض، استناداً إلى قوله تعالى: أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. (1): أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رأى الله حين المعراج بعين رأسه، ورووا ذلك عن ابن عباس.

بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث

ص: 108

ابن عباس: بعينه رآه، رآه، حتى انقطع نفسه، يعني نفس أحمد (1).

ونحن لا نريد أن نفيض في الحديث حول الرؤية له تعالى، فلقد أثبت علماؤنا الأبرار، بما لا مجال معه للشك استحالة رؤيته تعالى، سواء في الدنيا، أو في الآخرة.

وقد فندوا أدلة المجسمة المثبتين للرؤية في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط بشكل علمي وقاطع. فمن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بمراجعة دلائل الصدق، وغيره من الكتب المعدة لذلك (2).

ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن الرواية عن ابن عباس غير ثابتة، فقد روي عنه أيضا خلافها (3).

وروي عن عائشة: أن مسروقاً قال لها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد «صلى الله عليه وآله» ربه؟

قالت: لقد قف شعري مما قلت..

إلى أن قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تدركه الأبصار الخ. (4).

ص: 109

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 314.

2- مثل: دلائل الصدق، وغيره من الكتب الباحثة في الشأن العقائدي.

3- راجع في الروايات الكثيرة عنه: الدر المنثور ج 6 ص 122-126.

4- المواهب اللدنية ج 2 ص 34 عن البخاري ومسلم، وتاريخ الخميس ج 1 ص 313، و الدر المنثور ج 6 ص 124 عن عبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير وابن المنذر، والحاكم وابن مردويه.

وعند مسلم: أنها أضافت: أنها سألت النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، فأخبرها: أنه لم يره، وإنما رأى جبرئيل (1).

و الروايات في أن المقصود بمن رآه نَزْلَةً أُخْرَى هو جبرئيل كثيرة جدا وكذلك الروايات التي تؤكد: على أنه «صلى الله عليه وآله» قد رأى الله بقلبه وفؤاده، لا بعينه وبصره، فإنها كثيرة أيضا (2).

وليس بين هاتين الطائفتين أي تناف أو تعارض. .

بل إن نفس الآيات ظاهرة-إن لم تكن صريحة-في أن المقصود هو جبرئيل، بيان ذلك باختصار: أن قوله تعالى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى يراد بشديد القوى هو جبرئيل «عليه السلام» ، ثم وصف جبرئيل، الذي وصفه الله بالقوة في قوله: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (3) بكونه ذا مرة، «أي شدة و حصافة في العقل و الرأي» (4)، وقوله: فَاسْتَوَى أَيُّ أَنْ ذَلِكَ الشَّدِيدِ، ذا المرة، استقام أو استولى، وهو بالأفق الأعلى.

وقوله: ثُمَّ دَنَا، أي النبي «صلى الله عليه وآله» ، فكان قاب قوسين أو أدنى من حجب النور، حيث رأى ملكوت السماوات، ثم تدلى «صلى الله

ص: 110

-
- 1- المواهب اللدنية ج 2 ص 35 عن مسلم.
 - 2- يكفي أن يرجع الطالب إلى الدر المنثور ج 6 ص 122-126 و تاريخ الخميس ج 1 ص 313 و 314 و المواهب اللدنية ج 2 ص 36 و 37 و غير ذلك من المصادر الكثيرة جدا.
 - 3- الآية 20 من سورة التكوين.
 - 4- احتمال بعض المحققين: أن يكون وصف الله تعالى لجبرئيل بالشدة في مقابل التابع من الجن الذي كان ضعيفا بحيث يستطيع الإنسان أن يتسلط عليه.

عليه وآله» فنظر تحته إلى ملكوت الأرض، فأوحى الله تعالى إلى عبده محمد «صلى الله عليه وآله» ما أوحى.

ورجوع الضمير إلى الله مع عدم سبق ذكره، لا ضير فيه لوضوحه، كما قال العلامة الطباطبائي، أو على أن يكون ضمائر فأوحى إلى عبده ما أوحى راجعة إلى الله تعالى.

ثم قال: ما كذب الفؤاد ما رأى.

والمري هو الآيات الكبرى، ومنها ما تقدم من الدنو، والتدلي، وكونه «صلى الله عليه وآله» بالأفق الأعلى، ورؤيته جبرئيل عند سدرة المنتهى، ثم تجاوزها «صلى الله عليه وآله» كما قلنا.

وليس في الآية ما يدل على أن الرؤية قد كانت لله تعالى.

ويدل على ما نقول قوله تعالى الآتي: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (1).

ثم قال تعالى: أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى (2) أي أتجادلونه في رؤيته جبرئيل على حقيقته العجيبة التي هي من آيات الله الكبرى، وهل هذا أمر نظري عقلي يصح الجدل والمراء فيه؟

وهل بإمكانه أن يكذب بصره ويقول: لا أراه؟ !

فإن الكفار كانوا ينكرون رؤيته الملك على حقيقته رغم أنهم ليس لديهم أي علم بهذا الأمر، كما لا سبيل لديهم إلى معرفته، ثم قال تعالى:

ص: 111

1- الآيتان 17 و 18 من سورة النجم.

2- الآية 12 من سورة النجم.

وَلَقَدْ رَآهُ، -و الضمير يرجع إلى ذلك الذي لا يزال يتحدث عنه- نَزَّلَهُ أُخْرَى، أي في نزول آخر، والذي كان ينزل عليه «صلى الله عليه و آله» هو جبرئيل، فإنه رآه و التقى معه على صورته في نزلة ثانية عند سدرة المنتهى.

وربما تكون النزلة لرسول الله «صلى الله عليه و آله»، فإنه بعد أن تجاوز سدرة المنتهى إلى حجب النور، ورأى العرش و ملكوت السماوات فإنه تدلى لكي يرى ملكوت الأرض حتى كان قاب قوسين أو أدنى فرأى جبرئيل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند سدرة المنتهى.

و يرى البعض: أنه لا بد أن تكون هذه الرؤية الثانية في الأرض، و إلا لوجب أن يقول: و لقد رآه نزلة أخرى، ثم عرج به إلى السماء، حتى انتهى إلى السدرة، فرآه عندها، و يبدو: أنه كان في الأرض-كما يراه بعض المحققين-شجرة سدر كان لقاء النبي «صلى الله عليه و آله» بجبرئيل عندها، و عند تلك السدرة توجد جنة المأوى، أي جنة و بستان يؤوى إليها، أو أن الجنة في الآخرة ستكون في تلك المنطقة.

و بعض المحققين يرى: أن المراد بالنزلة الدفعة، و أنه قد رأى جبرئيل بعد العروج عند سدرة المنتهى، و أن الجنة الحقيقية موجودة هناك.

و نقول:

إن هذا الكلام خلاف ظاهر التعبير بسدرة المنتهى، التي فسرت في الروايات بما ذكرناه. .

و تحقيق مكان الجنة ليس هنا محله.

و هكذا يتضح: أن هذه الآيات ناظرة إلى رؤية النبي «صلى الله عليه و آله» لجبرئيل على صورته الحقيقية مرتين في نزلتين، لجبرئيل أو للنبي

ص: 112

«صلى الله عليه وآله»، و جبرئيل في صورته الحقيقية هو من آيات الله الكبرى. .

و لأجل ذلك تجده تارة يتحدث عنه في صورة المفرد فيقول: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (1)، و تارة يتحدث عنه في ضمن آيات ربه فيقول: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (2). أو أنه «صلى الله عليه وآله» قد رأى جبرئيل في نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، ثم رأى هناك بعض الآيات الكبرى الأخرى.

و هذا هو ما أكدته الإمام الرضا «عليه السلام»، في رواية صحيحة السند عنه، جاء فيها: قال أبو قرة: إنا روينا: أن الله قسم الرؤية و الكلام بين نبين؛ فقسم الكلام لموسى، و لمحمد الرؤية.

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين، من الجن و الإنس: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ (3)، و لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (4)، و لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (5) أليس محمد «صلى الله عليه وآله» ؟

قال: بلى.

قال: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا، فيخبرهم: أنه جاء من عند الله،

ص: 113

1- الآية 17 من سورة النجم.

2- الآية 18 من سورة النجم.

3- الآية 103 من سورة الأنعام.

4- الآية 110 من سورة طه.

5- الآية 11 من سورة الشورى.

وأنه يدعوههم إلى الله بأمر الله، فيقول: لا- تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت علما، وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قرة: فإنه يقول: وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى؟

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأته عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى؛ فأيات الله غير الله، وقد قال الله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، فإذا رأته الأبصار؛ فقد أحاط به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟! .

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثلته شيء (1).

وفي الرواية دلالة على حجية ظواهر الكتاب، وعلى حجية السياق القرآني أيضا، صلوات الله وسلامه عليك يا أبا الحسن وعلى آبائك و أبنائك الطاهرين، فإنكم ما زلتم حصون الإسلام، والمدافعين عنه، والباذلين مهجكم في سبيله، فأنتم مصابيح الدجى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا.

ص: 114

1- أصول الكافي { ط سنة 1388 هـ. في إيران } ج 1 ص 74 و 75، والبرهان للبحراني ج 4 ص 248.

صريح القرآن: أن الإسراء كان من المسجد، وجاء في عدد من الروايات: أنه كان من بيت أم هاني (1) واحتمل السيد الطباطبائي أن يكون الإسراء حصل مرتين، إحداهما من بيت أم هاني (2).

ويحتمل أيضا التجوز، وإرادة مكة من «المسجد الحرام»، وهو إطلاق متعارف، قال تعالى: هَٰذَا بَالِغُ الْأَكْبَةِ (3) ويقال: هو يسكن في مشهد الرضا، مع أنه يسكن في البلد المحيطة به، وأطلق في الروايات مسجد الشجرة على ذي الحليفة، ومثل ذلك كثير، فإن من المتعارف أن يطلق على المكان الذي فيه شيء معروف اسم ذلك الشيء المعروف.

ويحتمل أيضا أن يكون «صلى الله عليه وآله» خرج تلك الليلة إلى المسجد من بيت أم هاني، ثم أسري به من المسجد.

موسى، وفرض الصلوات الخمس:

هذا، وقد جاء في بعض الروايات: أن الصلوات الخمس قد فرضت حين المعراج، وأنها فرضت أولا خمسين صلاة في اليوم، وحين عودة الرسول «صلى الله عليه وآله» التقى بموسى، فأشار عليه أن يرجع إلى الله، ويسأله التخفيف، لأن الأمة لا تطيق ذلك - كما لم تطقه بنو إسرائيل - فرجع، وطلب إلى الله التخفيف فخففها إلى أربعين، وعاد الرسول؛ فمر

ص: 115

1- السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 43.

2- تفسير الميزان ج 13 ص 31.

3- الآية 95 من سورة المائدة.

بموسى، فأشار عليه بطلب التخفيف، ففعل، فخففت إلى ثلاثين، ثم إلى عشرين، ثم إلى عشرة، ثم إلى خمسة، ثم استحيا الرسول «صلى الله عليه وآله» من المراجعة من جديد فاستقرت الصلوات على خمس (1).

وهذه الرواية وإن كانت قد وردت في بعض المصادر الشيعية أيضا، إلا أننا لا نستطيع قبولها، وقال عنها السيد المرتضى «رحمه الله»: «أما هذه الرواية فهي من طريق الآحاد، التي لا توجب علما، وهي مع ذلك مضعفة» (2).

و نحن هنا نشير إلى الأسئلة التالية:

لماذا يفرض الله على الأمة هذا العدد أولا، ثم يعود إلى تخفيفه بعد المراجعة، فإنه إن كانت المصلحة في الخمسين، فلا معنى للتخفيف، وإن كانت المصلحة في الخمس، فلماذا يفرض الخمسين، ثم الأربعين، ثم الثلاثين وهكذا؟! وفي بعض الروايات: أنه كان في كل مرة يحط عنه خمسا، حتى انتهى إلى خمس صلوات.

ص: 116

-
- 1- لقد وردت هذه الرواية في مختلف كتب الحديث و التاريخ عند غير الشيعة، ولذا فلا نرى حاجة لذكر مصادرها، فراجع على سبيل المثال: كشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 45، ووردت أيضا في كتب الإمامية رحمهم الله تعالى، و أعلى درجاتهم، فراجع: البحار ج 18 ص 330 و 335 و 348 و 349 و 350 و 408 عن: أمالي الصدوق ص 270 و 271 و 274 و 275، و توحيد الصدوق ص 167 و 168، و علل الشرائع ص 55 و 56، و الخصال ج 1 ص 129.
 - 2- تنزيه الأنبياء ص 121.

وقد أجاب بعض المحققين عن هذا بأن ما جرى هنا ما هو إلا نظير إضافة الرسول «صلى الله عليه وآله» الركعتين الأخيرتين في الرباعية من الصلاة اليومية؛ ونظير التكليف بعدم الفرار من الزحف، مع أنه علم أن فيكم ضعفاً، ونظير الرفث إلى النساء ليلة الصيام، فقد نسخت حرمة بعد وقوع المخالفات منهم؛ قال تعالى: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ (1).

ونقول:

إن ما ذكره-حفظه الله-لا يكفي لدفع ما ذكرناه، أما بالنسبة لتشريع الركعتين الأخيرتين في الرباعية من قبله «صلى الله عليه وآله»؛ فإن الله سبحانه قد فوض له ذلك حينما يعلم «صلى الله عليه وآله» بتحقيق مصلحته ومقتضيه في متن الواقع.

وأما بالنسبة لقوله تعالى: عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا (2)وَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ (3)فهو تحقق معلوم الله سبحانه في الخارج، أي أن الحكم السابق، وهو حرمة الفرار بملاحظة قلة العدد، وحرمة الرفث قد استمر وبقي إلى أن تجسد الضعف وحصل وحصلت الخيانة و تغير الموضوع، فنسخ الحكم الأول، وهو حرمة الرفث وحرمة الفرار، وليس المراد أن الله قد علم ذلك بعد جهله، والعياذ بالله.

ص: 117

1- الآية 187 من سورة البقرة.

2- الآية 66 من سورة الأنفال.

3- الآية 187 من سورة البقرة.

أما السيد المرتضى، فقد أجاب «رحمه الله» عن التساؤل الذي طرحناه فيما سبق بنحو آخر، و هو: أن من الممكن أن تكون المصلحة أولا تقتضي الخمسين، ثم تغيرت هذه المصلحة بسبب المراجعة، وأصبحت تقتضي الخمس (1).

ولكنه جواب منظور فيه؛ فإن النبي إذا كان يعلم: أن الله تعالى لا يشرع إلا وفق المصلحة، فإنه لا يبقى مجال لمراجعته أصلا؛ لأنه كأنه حينئذ يطلب تشريعا لا يوافق المصلحة.

ولو صحت المراجعة هنا، وأوجب تبدل المصلحة صحت في كل مورد، وأوجب ذلك أيضا، فلماذا كانت هنا، ولم تكن في سائر الموارد؟ .

كما أن تعليل موسى للتخفيف بعدم طاقة الأمة، كأنه يدل على أنه يعتقد: أن هذا التشريع يخالف المصلحة، وهذا محال بالنسبة إلى الله تعالى، ولا يمكن صدوره لا من موسى «عليه السلام» ولا من نبينا «صلى الله عليه وآله» .

قال صاحب المعالم: «المطالبة بصحة الرواية، مع أن فيها طعنا على الأنبياء بالإقدام على المراجعة في الأوامر المطلقة.». (2).

وسؤال آخر: كيف لم يعلم الله تعالى: أن الأمة لا تطيق ذلك، وعلم بذلك موسى؟ .

وسؤال آخر، و هو: ما المراد بعدم الإطاعة؟

ص: 118

1- تنزيه الأنبياء ص 121.

2- معالم الدين ص 208 مبحث النسخ.

فيرد عليه: أنه لا يمكن القول بجواز التكليف بما لا يطاق.

أو المراد به ما كان في مستوى العسر والحرَج، المنفي في الشرع الإسلامي، كما دلت عليه الروايات والآيات ولا سيما قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (1) وما جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (2) وغير ذلك من الآيات.

ومما ذكرناه يتضح: أنه لا يمكن أن يكون تعالى قد كلف بني إسرائيل ما لا يطيقون.

وأما قوله تعالى: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا (3).

فهو لا يدل على ذلك لعطف قوله: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا به (4) عليه؛ فيدل على أن المراد بالإصر هو ما يطاق، لا ما لا يطاق، ويمكن أن يكون المراد بالإصر: جزاء السيئات الثقيل والشاق، أو المبادرة بعذاب الاستيصال.

وأما طلبهم أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، فليس المراد أنه يحملهم ذلك في التكليف الابتدائي، لأن العقل لا يجيز ذلك، بل المراد ما لا طاقة

ص: 119

1- الآية 185 من سورة البقرة.

2- الآية 78 من سورة الحج.

3- الآية 286 من سورة البقرة.

4- الآية 286 من سورة البقرة.

لهم به، مما يتسبب عن المخالفة و هو العذاب الأليم، و العقاب العظيم.

و سؤال آخر هنا، و هو: هل نسي الله تعالى -و العياذ بالله من أمثال هذه التعابير و الأوهام- تلك التجربة الفاشلة مع بني إسرائيل، حتى أراد أن يكررها مع أمة محمد من جديد؟! .

و لعل هذه التجربة كانت هي عذر إبراهيم الذي مر عليه محمد «صلى الله عليه و آله» ذهابا و إيابا عشر مرات، أو عشرين (1) على اختلاف النقل.

و لكنه لم يسأله عن شيء، و لا أمره بشيء!! .

و إن كنا نستغرب عدم سؤاله عن سر هذه الجولات المتتالية ذهابا و إيابا!! .

و لماذا لم يلتفت نبينا الأعظم «صلى الله عليه و آله» إلى ثقل هذا التشريع على أمته، و التفت إليه نبي الله موسى؟

و لماذا بقي يغفل عن ذلك خمس مرات، بل ستا أو أكثر و لا يعرف: أن هذا ليس هو الحد المطلوب، حتى يضطر موسى لأن يرصد له الطريق باستمرار، و لولا لوقعت الأمة في الحرج و العسر؟ .

و لماذا لا ينزل الله العدد إلى الخمس مباشرة من دون أن يضطر الرسول إلى الصعود و النزول المتعب و المتواصل باستمرار؟! .

ص: 120

1- لأن إبراهيم حسب نص الرواية كان في السماء السابعة، و موسى كان في السادسة و كان موسى يرجع النبي إلى ربه، كي يسأله التخفيف، فيرجع ثم يعود إليه فيرجعه من جديد.

وبعد، فلا بد لنا من الإشارة هنا: إلى أن استبعاد الإسراء والمعراج؛ بدعوى عدم إمكان تصور أن تقطع تلك المسافات الشاسعة، التي تعد بآلاف الأميال في ليلة واحدة ذهاباً وإياباً- هذا الاستبعاد- في غير محله.

فقد حضر عرش بلقيس لدى سليمان من اليمن إلى بلاد الشام في أقل من لمح البصر، وكان عفريت من الجن قد تكفل بأن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه.

وأما بالنسبة لنا اليوم فقد أصبح التصديق بالإسراء والمعراج أكثر سهولة، والإقناع به أقرب منالاً، ولا سيما بعد أن تمكن هذا الإنسان العاجز المحدود من أن يصنع ما يمكنه من قطع 13 كيلومتراً في ثانية واحدة، ولربما يتضاعف ذلك عدة مرات في المستقبل، كما أنه قد اكتشف أن سرعة النور هي حوالي ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية (1)، بل يعتقد بعض العلماء: أن الموجات غير المرئية للجاذبية تستطيع أن تقطع العالم بلحظة واحدة من دون حاجة إلى الزمان.

وبعد كل هذا فإنه إذا كان قطع المسافات البعيدة بهذه السرعة المذهلة ليس مستحيلاً على هذا الإنسان المحدود، الذي بقي الأعوام الطوال يفكر ويستعد، ويجمع الخبرات والإمكانات، فهل يستحيل على خالق الإنسان والكون، ومبدعه أن يسري بعبدته الذي اصطفاه رسولاً للبشرية جمعاء، ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وإلى ملكوت السموات، ثم يعيده إلى مكانه الأول؟! .

ص: 121

إننا إذا أردنا معرفة الأهداف والحكم، والمعجزات، والتأثيرات العميقة للإسراء والمعراج، فلا بد لنا من دراسة كل نصوصه، وفقراته، و
مراحلته بدقة وعمق، بعد تحقيق الصحيح منها، وحيث إن ذلك غير متيسر بل هو متعذر علينا في ظروفنا الحاضرة، فإننا لا بد أن نكتفي
بالإشارة إلى الأمور التالية:

أولاً: إن حادثة الإسراء والمعراج معجزة كبرى خالدة، وسوف يبقى البشر إلى الأبد عاجزين عن مجاراتها، وإدراك أسرارها ولعل
إعجازها هذا أصبح أكثر وضوحاً في هذا القرن الواحد والعشرين، بعد أن تعرف هذا الإنسان على بعض أسرار الكون وعجائبه، و ما
يعترض سبيل النفوذ إلى السماوات من عقبات ومصاعب.

وإعجازها هذا إنما يكون بعد التسليم بنبوة النبي «صلى الله عليه وآله» عن طريق الخضوع لمعجزته الخالدة، وهي القرآن، أو اليقين
بصدقه «صلى الله عليه وآله» عن أي طريق آخر، بحيث يكون ذلك موجبا لليقين بصدق إخباراته كلها؛ فإذا أخبر «صلى الله عليه وآله»
بهذه الحادثة، فإن إخباره مساوق لليقين بوقوعها، وهي حينئذ تكون معجزة خالدة تتحدى هذا الإنسان على مدى التاريخ.

ثانياً: يلاحظ: أن هذه القضية قد حصلت بعد البعثة بقليل، وقد بين الله سبحانه الهدف من هذه الجولة الكونية؛ فقال في سورة الإسراء:
لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا (1).

ص: 122

وإذا كان الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» هو الأسوة والقدوة للإنسانية جمعاء، وإذا كانت مهمته هي حمل أعباء الرسالة إلى العالم بأسره، وإذا كان سوف يواجه من التحديات، ومن المصاعب والمشكلات ما هو بحجم هذه المهمة الكبرى، فإن من الطبيعي: أن يعدّه الله سبحانه إعداداً جيداً لذلك، وليكن المقصود من قصة الإسراء والمعراج هو أن يشاهد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» بعض آثار عظمة الله تعالى، في عملية تربوية رائعة، وعميق وترسيخ للطاقة الإيمانية فيه، وليعده لمواجهة التحديات الكبرى التي تنتظره، وتحمل المشاق والمصاعب والأذى التي لم يواجهها أحد قبله، ولا بعده، حتى لقد قال حسبما نقل «ما أؤذي نبي مثلاً أؤذيت» .

وعلى حسب نص السيوطي، والمنأوي، وغيرهما: «ما أؤذي أحد ما أؤذيت» (1) ولا سيما إذا عرفنا: أن عمق إدراك هذا النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» -وهو عقل الكل، وإمام الكل- لأخطار الانحرافات في المجتمعات، وانعكاساتها العميقة على الأجيال اللاحقة كان من شأنه أن يعصر نفسه ألماً من أجلهم، ويزيد في تأثره وعذاب روحه حتى لقد خاطبه الله تعالى بقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ (2).

وأيضاً، فإنه بالإسراء والمعراج يفتح قلبه وعقله ليكون أرحب من هذا

ص: 123

1- راجع: الجامع الصغير ج 2 ص 144 وكنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير ج 2 ص 83.

2- الآية 8 من سورة فاطر.

الكون، و يمنحه الرؤية الواضحة، و الوعي الأعظم في تعامله مع الأمور، و معالجته للمشكلات، و لا سيما إذا كان لا بد أن يتحمل مسؤولية قيادة الأمة و العالم بأسره.

و كذلك ليصل هذا النبي الأمي إلى درجة الشهود و العيان بالنسبة إلى ما أوحى إليه، و سمع به عن عظمة ملكوت الله سبحانه، و لينتقل من مرحلة السماع إلى مرحلة الرؤية و الشهود، ليزيد في المعرفة يقينا، و في الإيمان رسوخا.

ثالثا: لقد كان الإنسان-و لا سيما العربي آنذا-يعيش في نطاق ضيق، و ذهنية محدودة، و لا يستطيع أن يتصور أكثر من الأمور الحسية، أو القرية من الحس، التي كانت تحيط به، أو يلتمس آثارها عن قرب، و ذلك من قبيل الفرس، و السيف، و القمر، و النجوم، و الماء و الكلاء، و نحوها، و يشعر بالحب، و البغض و الشجاعة و غير ذلك.

فكان-و الحالة هذه-لا بد من فتح عيني هذا الإنسان على الكون الأرحب، الذي استخلفه الله فيه، لي طرح على نفسه الكثير من التساؤلات عنه، و يبعث الطموح فيه للتعرف عليه، و استكناه أسرار، و بعد ذلك إحياء الأمل و بث روح جديدة فيه، ليبدل المحاولة للخروج من هذا الجو الضيق الذي يرى نفسه فيه، و من ذلك الواقع المزري، الذي يعاني منه.

و هذا بالطبع ينسحب على كل أمة، و كل جيل، و إلى الأبد.

رابعا: و الأهم من ذلك: أن يلمس هذا الإنسان عظمة الله سبحانه، و يدرك بديع صنعه، و عظيم قدرته، من أجل أن يثق بنفسه و دينه، و يطمئن إلى أنه بإيمانه بالله، إنما يكون قد التجأ إلى ركن و ثيق لا يختار له إلا الأصلح،

ولا يريد له إلا الخير، قادر على كل شيء، ومحيط بكل الموجودات.

خامسا: وأخيرا، إنه يريد أن يتحدى الأجيال الآتية، ويخبر عما سيؤول إليه البحث العلمي-من التغلب على المصاعب الكونية، وغزو الفضاء-فكان هذا الغزو بما له من طابع إعجازي خالد هو الأسبق والأكثر غرابة وإبداعا؛ وليطمئن المؤمنون، وليربط الله على قلوبهم، ويزيدهم إيمانا كما قلنا.

الأذان:

ونحن نعتقد: أن الأذان قد شرع في مناسبة الإسراء والمعراج كما جاء في الخبر الصحيح، ولكنهم إنما يذكرون ذلك بعد الهجرة؛ فنحن نرجى الحديث عنه إلى هناك، إن شاء الله تعالى.

اليهود و المسجد في القرآن:

قال تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا، إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِّرًا، عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَعَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (1).

ص: 125

هذه الآيات الكريمة تتضمن:

أ-أحداثاً أربعة هامة، هي التالية:

1-إن بني إسرائيل سوف يفسدون في الأرض، وعلون علوا كبيرا، بعد أن كتب الله عليهم الجلاء، وضرب عليهم الذل والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله.

2-إن عبادا لله أولي بأس شديد سوف يحاربون الإسرائيليين، بعد فسادهم وعلوهم، ويطأون بلادهم، ويجوسون خلال ديارهم جزاء على بغيهم وفسادهم، ويدخلون المسجد أيضا.

3-إن بني إسرائيل سوف تكثر بعد ذلك أموالهم، وأولادهم، وذلك يحتاج إلى مدة طويلة نسبيا، وسوف يجهزون جيشا أعظم من جيش أولئك العباد، وتكون الكرة لهم عليهم.

4-ثم إنهم بعد أن يعودوا إلى الإفساد من جديد؛ في مهلة زمنية لا بأس بمقدارها يعود أولئك العباد إلى حربهم، ليسوؤوا وجوههم، و ليدخلوا المسجد، والظاهر أن المراد به المسجد الحرام، وليتبروا ما علوا تتبيرا.

و لم تبين الآية من هم هؤلاء الذين يصيبهم هذا التتير، فإن الظاهر هو أنهم قوم آخرون غير بني إسرائيل.

ب-إن حصول المرتين الأولى والثانية، يعني الإفساد الأول من بني إسرائيل ثم إرسال الله تعالى عبادا له عليهم، أمر حتمي، لقوله تعالى:

وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (1). وأما المرتان الأخيرتان فهما تتوقفان على اعتبار بني إسرائيل بما حصل، ثم اختيارهم أحد الأمرين.

فلأجل إبراز عنصر الاختيار هذا والتشكيك بصدوره منهم، عبر بـ «إن»: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ». لأنها تستعمل في مقام التردد والشك في صدور الإحسان منهم.

ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة:

ثم إنه بالنسبة للإفساد الثاني قد اختار التعبير بـ «إذا» كما استعمل نفس هذه الكلمة بالنسبة لإفسادهم الأول، وذلك لإفادة أن اختيارهم لطريق الشر أمر حتمي، ولا شك فيه لما يعلمه الله فيهم من خصائص، وطموحات.

ولكن جواب الشرط قد جاء بصيغة المضارع لإفادة حصول سوء الوجه لهم والتبير لعلو قوم آخرين بصورة تدريجية، ليكون ذلك أدعى في الإذلال، وأدل على المساءة، ولكن هذا المضارع إنما هو بملاحظة زمان تحقق الشرط في المستقبل.

ويلاحظ هنا: كثرة المؤكدات على صدور ذلك منهم؛ فلاحظ قوله تعالى: قَضَيْنَا الْمَشِيرَ إِلَى حَتْمِيَّةِ ذَلِكَ لَكُنْ لَا عَلَى سَبِيلِ الْجَبْرِ، وإنما على سبيل الإخبار بما هو حتمي الوقوع بحسب ما يعلمه الله من أحوالهم، ثم عبر بكلمة: فِي الْكِتَابِ المفيدة إلى نوع التأكيد أيضا.

ثم أتى بلام الابتداء في أكثر من مورد، فقال: لَتُفْسِدُنَّ وَلَتَعْلُنَّ.

ص: 127

ثم أتى بنون التوكيد، مشفوعة بإذا التي تستعمل في مقام الجزم بتحقيق الشرط.

وعقّب على ذلك باعتباره وعدا قد جاء بصيغة التحقق والوقوع، حيث قال: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ و لم يقل: وقت أو موعد و هو يقتضي الحصول و التحقق أيضا، ثم ألحقه بكلمة: بَعَثْنَا ، و لم يقل: «سنبعث» ، ليشير إلى أنه أمر حاصل لا محالة، فهو يخبر عن وقوعه.

ثم عاد فكرر كونه وعدا و لكن بصيغة تؤكد وقوعه و حصوله حيث قال: وَ كَانَ وَعْدًا ثم وصفه بقوله: مَفْعُولًا .

ونلاحظ أيضا أنه لم يزل يعبر ب: «أمددنا، بعثنا، جعلنا، رددنا» بصيغة الخبر عن أمر حاصل، وإظهارا للثقة بحصوله أيضا، فلاحظ الآيات.

ج-إن المستفاد من هذه الآيات هو: أن من سوف تجري لهم مع بني إسرائيل هذه الأحداث هم جماعة واحدة، يجوسون خلال ديار بني إسرائيل أولا، ثم ترد الكرة لبني إسرائيل عليهم، ثم يعودون هم إلى ضرب بني إسرائيل ضربة تسوء لها وجوهمهم، و يتبروا فيها ما علوا.

وذلك لأن الضمائر في: «جاسوا، وعليهم، و ليسوؤوا، و ليدخلوا، و دخلوه و ليتبروا» -كل هذه الضمائر ترجع إلى جماعة واحدة، عبر عنها بقوله تعالى: عِبَادًا لَّنَا ، و ليس غيره في الآيات يصلح مرجعا لهذه الضمائر-أصلا.

د-يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء العباد سوف يدخلون المسجد مرتين.

و الظاهر: أن المراد به هو المسجد الحرام، أما المسجد الأقصى الذي

حصل الإسراء إليه، والذي بارك الله حوله، فهو في السماء، وأن دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد في المرتين معا، أي بالقوة و القهر، والغلبة كما دخلوه أَوَّلَ مَرَّةٍ .

هـ- إنه تعالى بعد أن ذكر الأحداث الأربعة عاد فقال: وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا و هو لبيان قاعدة كلية، و سنة إلهية في مواجهة طغيان بني إسرائيل و فسادهم، و هو لا يدل على أن ذلك سوف يقع منهم، بعد تلك الأحداث الأربعة، بل إن ما سوف يقع جزما هو ما ذكر، و الظاهر: أن دولتهم تبقى، و لا يصيبهم في المرة الثانية سوى سوء الوجهه .

أما ما سواه فلا دليل على حدوثه، بل إن تعبيره ب «إن» الشرطية، الموضوعه للاستعمال في غير موارد الجزم لربما يشير إلى عدم الوقوع.

و الظاهر هو أن القضاء عليهم إنما يكون على يد الإمام الحجة «صلوات الله وسلامه عليه» .

و-إن المقصود ب: عِبَادًا لَنَا قوم مؤمنون، و ذلك لاقتضاء ظاهر قوله: بَعَثْنَا ، وقوله: عِبَادًا لَنَا (1) لأن البعث للبشر على غيرهم، و كلمة: عِبَادًا لَنَا ، لم يستعملا في القرآن-إلا ما شذ-إلا في مقام المدح و الثناء، و لا سيما مثل قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، و غير ذلك.

و لا أقل من أنه قصد به ما سوى الكافرين.

و لربما يشير إلى ذلك أيضا: أنه تعالى بعد أن ذكر انتصار عباده على بني

ص: 129

إسرائيل و ما سوف يحقق بني إسرائيل من سوء، وأنه جعل جهنم للكافرين حصيراً، عاد فأجمل كل ذلك على شكل قاعدة كلية، فبين: أن سنة الله هي أن يبشر عباده المؤمنين الذين يقفون المواقف الصالحة، ويدافعون عن دينه- كهؤلاء العباد الذين أرسلهم على بني إسرائيل- بأن لهم أجراً عظيماً، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة، و يفسدون في الأرض، و يعلنون علواً كبيراً، كما هو حال بني إسرائيل قد أعد لهم عذاباً أليماً، فقال:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (1).

ثم دخل في موضوع آخر.

و يرى العلامة المحقق البحاثة السيد الطباطبائي «رحمه الله»: أنه لا دليل في الكلام-أي في قوله تعالى: وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا- يدل على كون المبعوثين «مؤمنين»؛ إذ لا ضير في عد مجيئهم إلى بني إسرائيل، مع ما كان فيه من القتل الذريع، والأسر، والسبي، والنهب، و التخريب، بعثاً إلهياً؛ لأنه كان على سبيل المجازاة على إفسادهم في الأرض، و علوهم، و بغيهم بغير الحق؛ فما ظلمهم الله بيعث أعدائهم، و تأييدهم عليهم، و لكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم (2).

ص: 130

1- الآيتين 9 و 10 من سورة الإسراء.

2- تفسير الميزان ج 13 ص 39.

ونقول:

إننا لا نستطيع -بدورنا- أن نقبل:

أن الله تعالى يؤيد الظالمين والمجرمين بأي وجه، نعم، هو يخلي بينهم وبينهم، ووقف تأييداته لهم، وهذا غير تأييده لأولئك، وبعثهم على هؤلاء.

إلا أن يدعى أن المراد هو التسليط عليهم، وذلك بالتخلية فيما بينهم، ووقف التأييدات للفئة المؤمنة بسبب ما فعلته.

لكن يرد عليه: أن نسبة البعث والإمداد، ورد الكرة- والحالة هذه إلى الله سبحانه- تصبح غير ظاهرة، ولا مقبولة.

كما أننا قد أشرنا فيما سبق إلى وجود بعض القرائن المشيرة إلى إيمان المبعوثين.

فالأظهر هنا: هو أن أولئك العباد سوف يدفعهم أمر الله تعالى والتكليف الشرعي إلى القيام بذلك العمل؛ فيصح أن يقال: إن الله هو المحرك والباعث لهم.

هذا ما يستفاد من الآيات بشكل عام.

بقي الكلام في تطبيقها الخارجي؛ فهل حصل وتحقق مفادها كله في السابق؟ أو أنه لسوف يحصل ذلك كله في الآتي! . أو أن بعض ذلك قد حصل؟ . والبعض الآخر متوقع الحصول؟! .

أقوال الرواة والمفسرين:

لقد راجعنا عددا من كتب الحديث والتفسير، فوجدنا الروايات والأنظار مختلفة ومتباينة في ذلك. .

ونحن نذكر موجزا عن تلك الروايات والآراء بتلخيص منا، وذلك على النحو التالي:

- 1-عن ابن مسعود: إن الفساد الأول هو قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، ثم عادوا هم فغزوا النبط، فأصابوا منهم.
- 2-عن عطية العوفي: بعث الله عليهم أولا جالوت، ثم قتله طالوت على يد داود، ثم قتلوا يحيى؛ فبعث عليهم بخت نصر، وكذا عن ابن عباس.
- 3-عن علي: الفساد الأول قتل زكريا، والثاني قتل يحيى، مع عدم بيان من بعث عليهم في المرتين.
- 4-عن حذيفة: المرة الأولى بخت نصر، ثم ردهم كورش، ثم عادوا في المعاصي، فسلط عليهم ابطننا نحوس، ثم عادوا في المعاصي، فسلط عليهم ثالثا إسبيانوس.
- 5-عن ابن زيد: الأولى قتل زكريا ويحيى، فسلط عليهم سابور ذا الأكتاف الفارسي، من قبل زكريا، وبخت نصر من قبل يحيى.
- 6-عن مجاهد: إن ملك فارس بعث جندا إليهم ليتجسسوا أخبارهم ويسمعوا حديثهم، ثم رجعت فارس، ولم يكتر قتال، ونصرت عليهم بنو إسرائيل، ثم بعث عليهم ملك فارس بابل جيشا، أمر عليه بخت نصر؛ فدمروهم (1).

ص: 132

1- راجع هذه الروايات في الدر المنثور للسيوطي ج 4 ص 163-165 عن ابن جرير، وابن عساكر، وابن أبي حاتم، متفرقا، وراجع: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وفتح القدير، وغير ذلك من التفاسير، في تفسير الآيات في سورة الإسراء.

قال العلامة البحاثة المحقق الطباطبائي «رحمه الله»: «... و الذي يظهر من تاريخ اليهود: أن المبعوث أولا لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر، و بقي خرابا سبعين سنة، و المبعوث ثانيا هو قيصر الروم إسبينوس، سيّر إليهم وزيره طوطوز، فخرّب البيت، و أذل القوم قبل الميلاد بقرن تقريبا.

و ليس من البعيد: أن تكون الحادثتان هما المرادتان في الآيات؛ فإن الحوادث الأخرى لم تقن جمعهم، و لم تذهب بملكهم و استقلالهم بالمرّة، لكن نازلة بخت نصر ذهبت بجمعهم و سؤددهم إلى زمن كورش، ثم اجتمع شملهم بعد برهة، ثم غلب عليهم الروم، و أذهبت بقوتهم، و شوكتهم، فلم يزلوا على ذلك إلى زمن ظهور الإسلام» .

قال هذا «رحمه الله» بعد أن ذكر: أنه كالمسلّم: أن إحدى هاتين النكائيتين كانت على يد بخت نصر (1).

و لكنه عاد فأورد على نفسه بأن في الآيات إشعارا بأن المبعوث إلى بني إسرائيل هم قوم بأعيانهم في كلا المرتين.

و أجاب عن ذلك: بأنه مجرد إشعار؛ من دون تصريح.

و نقول:

إن الضمائر حسبما تقدم ليس لها مرجع في الكلام سوى قوله: عبّاداً لنا . و هذا يدل دلالة واضحة على وحدة القوم المرسلين على بني إسرائيل و ليس مجرد إشعار.

ص: 133

و مرادنا بالوحدة هو أن يكون لهم رابطة تجمعهم ككونهم فرسا، أو مسلمين مثلا، و يرد على كلامه «رحمه الله» ، و على جميع الروايات المتقدمة، عن الدر المنثور و غيره ما يلي:

1-إننا لم نجد لبني إسرائيل كرة على بخت نصر، و لا على سابور و لا غيرهما، بل إن كورش قد أرجعهم إلى بلادهم بعد حوالي مئة سنة من أسر بخت نصر لهم، مع أن الآية تكاد تكون صريحة بأن لبني إسرائيل كرة على أولئك العباد المبعوثين.

2-إن النبط لم يدخلوا المسجد الأقصى -حسب تفسيرهم- مرتين و كذلك بخت نصر، و قيصر، و غيرهم ممن ذكر جميعا، و قد أشارت الآية إلى أن المبعوثين سوف يدخلون المسجد مرتين.

3-إن جميع أولئك ما كانوا من المؤمنين، بل كانوا من الطغاة و المتجبرين.

4-إن بخت نصر كان قبل الميلاد بست مئة سنة تقريبا (1) و كان يحيى معاصرا للمسيح «عليه السلام» (2) فكيف ينتقم له بخت نصر؟ كما أن سابور متأخر عن بخت نصر، لا مقدم عليه كما في الرواية.

5-هذا كله عدا عن الإشكال في أسانيد تلكم الروايات (3).

ص: 134

1- تفسير الميزان ج 13 ص 44 و في تاريخ الخميس ج 1 ص 173: من وقت تخريب بخت نصر بيت المقدس إلى مولد يحيى أربع مئة و إحدى و ستون سنة.

2- راجع: قصص الأنبياء للنجار ص 369.

3- هذه النقاط أشار إليها الأخ العلامة الشيخ إبراهيم الأنصاري حفظه الله تعالى في مقاله، في مجلة الهادي.

6- إن إفسادهم في منطقة محدودة لا يعني كون ذلك هو المقصود من الآية التي تتحدث عن إفساد كبير، وعلو لهم في الأرض، ولا شك أنهم كانوا على مدى التاريخ أضعف من أن يكون لهم علو في الأرض كلها، بل وحتى على سابور، أو بخت نصر أو غيرهما، فضلا عن أن يكون لهم علو فرعون، أو نظير استكبار قوم عاد.

رأي آخر في الآيات:

ويحتمل البعض: أن الفساد الأول كان في منطقة الحجاز، فبعث الله النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم، وضربهم الضربة القاصمة، و كان دخول عمر إلى المسجد الأقصى، الذي يمثل دخول المسلمين، هو المعني في الآيات، وتبقى المرة الثانية ستأتي. كما ويحتمل أن تكون هي ضربة بخت نصر لهم هي الأولى، والثانية هي ضربة عمر لهم.

ولكن ذلك لا يمكن قبوله؛ لأن عمر حينما دخل المسجد الأقصى لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان تحت سيطرة النصارى، الذين استولوا عليه قبل ذلك بعقود من الزمن، وكانوا يجعلون الأقدار والأوساخ على «الصخرة»، التي هي قبلة اليهود، بل كانت المرأة ترسل بخرقة حيضها من بلاد الروم إلى بيت المقدس لتلقى على الصخرة، مبالغة في امتهائها، وإذلالا لليهود واحتقارا لهم (1).

كما أنه لا معنى لإرادة بخت نصر؛ ليكون هو بطل المرة الأولى، وذلك لما أشرنا إليه في النقاط الست الآتية الذكر.

ص: 135

1- تقدم ذلك في تمهيد الكتاب.

و ثمة رأي آخر يقول: إن الفساد الأول هو إنكارهم نبوة نبينا «صلى الله عليه وآله»، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، و اتفقوا مع المشركين ضده.

و إرسال عباد الله على هؤلاء المفسدين هو ما جرى في صدر الإسلام، فأرسل الله النبي «صلى الله عليه وآله» و المسلمين عليهم؛ فضربوهم في خيبر و قريظة؛ و قينقاع، و غير ذلك، و جاسوا خلال ديارهم، ثم دخل المسلمون المسجد الأقصى في زمن عمر.

و الفساد الثاني هو ما جرى و يجري منهم في فلسطين و لبنان، و المنطقة بشكل عام، في هذا القرن الرابع عشر، و لسوف يأتي المهدي «عجل الله فرجه الشريف» لينتقم منهم، و يدخل المسلمون المسجد، كما دخلوه أول مرة في عهد عمر.

و قد قرر بعض الأعلام هذا، و طبق الآيات عليه، على النحو التالي:

إنه ليس في الآيات ما يدل على أن الغلبة على اليهود، و غلبة اليهود على أولئك العباد تكون في مكان واحد محدد، و قوله تعالى: كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَشْعُرُ، بل يدل على أن قوله: فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، هو غير دخولهم المسجد، أي إنهما أمران متغايران، كما يدل على أن الجوس خلال الديار متقدم على دخولهم المسجد، و ذلك لمكان اللام في قوله: وَ لِيَدْخُلُوا التي هي لام العاقبة و قد تحقق ذلك في زمن عمر، كما أن عدم ذكر دخول العباد بيت المقدس حينما بعثهم أولا يدل على أن دخول المسجد لمّا يتحقق لهم عند ذلك.

و تدل الآية على أن دخول المسجد في الثانية يكون أشد على اليهود لقوله تعالى: وَ لِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا ، ففسادهم الثاني يكون في غلبتهم على البلاد المقدسة، وقتلهم المسلمين، وهذا ما يحصل في هذا العصر. و جزاؤهم سيكون عاجلا على يد أهل قم إن شاء الله تعالى، أو المهدي المنتظر «عجل الله تعالى فرجه»، أو بإمارته مع كون الجيش من أهل قم، والله العالم.

و نقول:

هذا رأي لا يمكن المساعدة عليه، لأن ما ذكر في تطبيق الآيات عليه مخالف لظاهرها.

فأولا: إنه حين دخل عمر بيت المقدس لم يكن هناك مسجد أصلا، فضلا عن أنه يسمى بالأقصى.

ثانيا: إن الظاهر: هو أن دخول المسجد سيكون عنوة وقهرا ورغما عن بني إسرائيل، و حينما دخل المسلمون بيت المقدس في عهد عمر لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان النصارى هم المسيطرين.

فلم يحارب المسلمون اليهود ليدخلوا المسجد بالرغم عنهم، هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن عمر قد دخل بيت المقدس صلحا وليس عنوة، و ظاهر الآية: هو أن الدخول سيكون عنوة، معه سوء الوجه، وفيه القهر و الغلبة على اليهود أنفسهم، لِيَسُوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا .

فإذا كان الدخول في إحدى المراتين عنوة فسيكون في الثانية كذلك، وقد دلت كلمة: بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا . على أن الدخول الأول سيكون عنوة إن كان المقصود هو الدخول في هذه المرة. .

ص: 137

ثالثاً: ما ذكر من أن اللام في وَلِيَدْخُلُوا تدل على أن الدخول سيتأخر عن الجوس خلال الديار، وأن التفريق بين الجوس خلال الديار، و دخول المسجد، يدل على ذلك أيضاً، وكذا عدم ذكر الدخول للمسجد في المرة الأولى.

إن هذا الذي ذكر، لا يدل على ذلك؛ لأن ظاهر الآيات: أنه قد اكتفى في المرة الأولى عن ذكر دخول المسجد، بذكر الجوس خلال الديار، لأنه مستبطن له ويكون في ضمنه، ثم أوضحه بقوله: كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وقوله: وَلِيَدْخُلُوا معطوف على لِيَسْؤُوا بالواو، التي لا تدل على الترتيب الزمني.

بل لعل ذكر دخول المسجد بين التتبير لما علوا، وبين سوء الوجوه للإشارة إلى أن دخول المسجد سيكون في وسط المعركة في المرة الثانية، وكذلك سيكون في المرة الأولى لقوله تعالى: كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

وإلا، فلو صح ما ذكره صاحب هذا الرأي، لوجب أن يكون الدخول الثاني للمسجد صلحا، لا عنوة، كما كان دخول عمر بن الخطاب في السابق، و حينئذ فلا يبقى معنى لذكر دخول المسجد فيما بين قوله: لِيَسْؤُوا وَجُوهَكُمْ ، وبين قوله: وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلُوا تَبِيراً .

ثالثاً: إنه لم يكن لليهود في زمن النبي «صلى الله عليه وآله» فساد في الأرض، وعلو كبير فيها، وإنما كانوا في محيط ضيق جدا محصورين في نواحي المدينة، وكانوا مقهورين من قبل الأوس والخزرج، ويمالثون مشركي مكة، و سائر القبائل في المنطقة، فلا يصح أن يقال: إن لهم عُلُوًّا كَبِيراً .

فضلا عن إضافة قوله: فِي الْأَرْضِ سواء قلنا: إن المراد: الأرض

المقدسة، يعني فلسطين، أو قلنا: بأن المراد الأرض مطلقاً أي معظمها، أو السيطرة على مراكز القوة والنفوذ فيها.

نقول هذا كله: مماثلة للمستدل فيما زعمه من أن المراد بالمسجد هو خصوص ما يسمى بالمسجد الأقصى، والموجود في بيت المقدس فعلاً.

و ثمة رأي آخر أيضا:

وهو أن الحروب التي جرت بين العرب وإسرائيل تمثل المراحل الثلاث الأولى، وبقيت المرحلة الأخيرة، التي أشارت إليها الآية بالقول: **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ**. . وهي سوف تأتي إن شاء الله تعالى (1).

وهذا أيضا رأي لا يمكن المساعدة عليه؛ لأن العرب الذين حاربوا إسرائيل لم يجسوا خلال ديار بني إسرائيل في حروبهم تلك، ولا دخلوا المسجد عنوة، بل إنهم ليسوا من عباد الله المؤمنين؛ لأنهم قد تخلوا عن دينهم، وجروا خلف شهواتهم، واستبدت بهم انحرافاتهم بشكل واضح لكل أحد.

ماذا تقول الروايات؟ !

لقد وردت بعض الروايات-التي ليس لها أسانيد معتبرة-تفيد:

أن الفساد الأول هو قتل علي، وطعن الحسن «عليهما السلام»، والعلو الكبير هو قتل الحسين، و وعد أولاهما نصر دمه «عليه السلام»، و المبعوثون أولا

ص: 139

1- هذا رأي الشيخ إبراهيم الأنصاري في مجلة الهادي.

هم قوم قبل خروج القائم، و كان وعدا مفعولا: خروج القائم «عليه السلام» .

و ثم رددنا لكم الكرة عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه (1).

وفي تفسير القمي:

الفساد الأول: فلان وفلان، و نقضهم العهد، و العلو الكبير: ما ادّعوه من الخلافة.

و وعد أولاهما: الجمل.

و جاسوا خلال الديار: طلبوكم، و قتلوكم.

و رددنا لكم الكرة: بنو أمية.

و وعد الآخرة: القائم «عليه السلام» .

و كما دخلوه أول مرة: رسول الله «صلى الله عليه و آله» .

و واضح: أن مفاد هذه الروايات ليس هو محط نظر الآيات صراحة، و إنما هي-إن صحت-من باب الإشارة إلى أن ما يجري لبني إسرائيل، يجري مثله لهذه الأمة أيضا؛ إذ من الواضح: أن ما ذكرناه في مفاد الآيات لا ينسجم مع ما جاء في هذه الروايات، كما يظهر بالملاحظة، و المقارنة.

الرأي الأمثل:

و إذ قد عرفنا معنى الآيات إجمالا، و عرفنا أن مفادها لم يحصل و لم يقع لبني إسرائيل بعد، لا في تاريخهم القديم، و لا الحديث، فإننا نعلم: أن مفادها سيقع في المستقبل، و مفادها هو:

ص: 140

1- راجع: البحار ج 51 ص 56 و تفسير البرهان، و تفسير نور الثقلين.

1-أن يفسد بنو إسرائيل في الأرض «و لتلاحظ كلمة في الأرض» ، فإنه لا يصدق ذلك على بلد أو قرية صغيرة في نواحي الحجاز مثلا، بل لا بد أن يكون فسادهم وعلوهم في الأرض المقدسة، أو في الأرض بصورة عامة، أو على الأقل في مراكز هامة، بحيث يرون أنفسهم لا غالب لهم، ولا شيء يقف في وجههم.

ثم يعلنون علوا كبيرا «و لتلاحظ هذه الجملة بدقة أيضا» .

2-أن يبعث الله عليهم عبادا له أتقياء مؤمنين، فيجوسون خلال ديارهم، ويدخلون المسجد، {و التعبير بالجوس لربما يشير إلى عدم المكث طويلا فيها} ؛ لأن الجوس هو الوطء مع الاستقصاء، وربما يكون هو الوطء الخفيف، و هو و طء خلال الديار أو فيما بينها من دون ثبات و تحكم فيها نفسها أو لعله إشارة إلى الدخول السري للمجاهدين.

3-ثم يمد الله بني إسرائيل بأموال و بنين، و يصير جيشهم أعظم، و يرد لهم الكرة على السابقين.

4-ثم يعود أولئك المؤمنون فيقومون بعمل تكون له ثلاث نتائج.

الأولى: سوء وجوه الإسرائيليين.

و الثانية: دخولهم المسجد الحرام من جديد، كما دخلوه أول مرة.

و الثالثة: أنهم يتبرون ما علاه قوم آخرون لم تحددهم الآية، و لم تذكر هويتهم، لكنهم معروفون بالاستكبار.

كل ذلك سوف يحصل في المستقبل، حسبما تفيد الآيات الكريمة، مع العلم بأنه لم يحصل من ذلك شيء في الماضي.

و يبقى أن نشير إلى المؤيدات التالية:

القميون يقاتلون الإسرائيليين:

و يؤيد ما تقدم: ما رواه المجلسي عن كتاب تاريخ قم، تأليف: الحسن بن محمد بن الحسن القمي:

«روى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبد الله «عليه السلام» جالسا؛ إذ قرأ هذه الآية: حتى (1) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟

فقال-ثلاث مرات-: هم والله أهل قم» (2).

و لقد قال هذا «عليه السلام» قبل أن تخلق إسرائيل بأكثر من اثني عشر قرناً، وفي حين لم يكن لليهود أية قوة في منطقة بيت المقدس.

وقوله «عليه السلام» هذا يعني: أن أهل قم باعتبارهم مسلمين، أوقادة للمسلمين هم الذين سوف يقودون الحرب ضد بني إسرائيل في المرة الأولى، وهم المعنيون بقوله: عباداً لنا وباقي الحديث يفهم من الآيات الكريمة؛ حيث تعود لإسرائيل الكرة عليهم بجيش أعظم، ثم يعود المسلمون بقيادة أهل قم أو بقيادة غيرهم {المهدي مثلاً} ليسوؤوا وجوه الإسرائيليين و ليدخلوا المسجد الحرام كما دخلوه أول مرة، و ليتبروا علوّ قوم معروفين بالاستكبار.

ص: 142

1- الموجود في القرآن: { فإذا } فعلل كلمة { حتى } من كلام الراوي.

2- البحار ج 60 ص 216.

و ثمة رواية ضعيفة أيضا تقول: «و تشب نار بالحطب الجزل من غربي الأرض، رافعة ذيلها، تدعوا يا ويلها لرحلة و مثلها؛ فإذا استدار الفلك، قلتم مات أو هلك بأي واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية:

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا» (1).

فهذه الرواية تشير إلى أن علو الإسرائيليين و كرتهم على عباداً لنا لسوف تكون بمعونة غربية، تمدهم بالمال و الجيوش حتى يصبحوا أكثر نفيرا و جندا.

و لسوف تكون حربا ضروسا و قاسية، كما يفهم من لحن الرواية المشار إليها، لو صحت.

الحروب الطويلة و الصعبة:

و هذه دولة الإسلام قد ظهرت، و هي بقيادة أهل قم، ولكنها تواجه الحروب المدمرة، و المؤامرات الصعبة من قبل قوى الاستكبار العالمي.

وقد جاء في الرواية المروية عن: علي بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأول «عليه السلام»، أنه قال:

«رجل من أهل قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، و لا يملون من الحرب، و لا يجبنون،

ص: 143

و على الله يتوكلون، و العاقبة للمتقين» (1).

و لربما يمكن أن نستفيد من قوله: «لا تزلهم الرياح العواصف»: أن دولة الإسلام هذه سوف تواجه مشكلات صعبة، لا يثبت أمامها الرجال العاديون.

و من قوله: «لا يملون من الحرب»: أنهم سوف يواجهون حروباً طويلة، يمل منها الإنسان العادي.

و لكنهم سوف يصمدون، و في النهاية سوف ينتصرون إن شاء الله، و ذلك لقوله: وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

الفلسطينيون و الأرض:

و الإسلام حين حث على الجهاد، فإنه ربط بأمرين، كل منهما له حضور في قضية اغتصاب فلسطين، و هما:

الأول: القتال في سبيل الله سبحانه، المتمثل بقتال من تجرأ على المقدسات، و استولى على بيت المقدس، أولى القبلتين. . و الذي يقدسه المسلمون عامة، و فيه محاريب الأنبياء، و باب حطة و ما إلى ذلك. .

الثاني: القتال في سبيل المستضعفين، فإن نفس الإستضعاف مرفوض بمنطق القرآن و الإسلام، بغض النظر عن الخسائر المادية، و غيرها. .

ص: 144

1- البحار ج 60 ص 216. و يلاحظ وجود بعض الاختلاف بين هذا النص و بين ما في الترجمة الفارسية لكتاب تاريخ قم، فلعل المترجم قد تصرف في العبارة، و لعل نسخة المجلسي تختلف عن النسخة المتداولة لكتاب تاريخ قم، فليلاحظ ذلك.

وقد أوجب الله على الناس القتال ضد من يستضعف الناس، ويقهرهم حتى لو لم يأخذ منهم أرضاً أو مالا، أو ما إلى ذلك.

وقد قال تعالى مشيراً إلى هذين الأمرين: وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ (1).

وقد أصبح التعدي على المقدسات، والاستضعاف للناس أكثر حضوراً وظهوراً فيما يجري على أرض فلسطين.

ولا بد من إبراز هذا وذاك في كل هذا النضال والجهاد ضد الغاصب المستكبر، ولا يصح تجاهل الجانب الإنساني في هذه القضية، لأن أية قضية إذا أفرغت من محتواها الإنساني؛ فإنها تفقد زخمها وقوتها، ورافدها العاطفي، وقد يصل الأمر بهذا الإنسان العادي إلى حد القول: بأنه لماذا يقاتل ويضحى؟ ما دام أن الأرض يمكن أن تباع وتشتري، ويقايض عليها، والإنسان وحده هو الأعلى والأعلى؛ فلماذا إذن تزهق النفوس والأرواح في سبيلها، ما دام يمكن الاستعاضة عنها بثمنها، ثم الاحتفاظ بهذا الإنسان ومواهبه وطاقاته لما هو أهم، و نفعه أعم؟ .

وحتى بالنسبة للمقدسات في بيت المقدس أيضاً، فقد تجد من يقول: ليكن لأنصاف الحلول فيه مجال، ولن يمانع الإسرائيليون من وصول المسلمين إلى مقدساتهم في كل حين، وممارسة عباداتهم فيه بحرية، إذا كانوا هم الحكماء.

نعم، يمكن أن يخطر كل هذا في ذهن الإنسان العادي.

ص: 145

ولربما يؤثر هذا الخاطر على تعامله مع أقدس قضية، فيما إذا فصل الجانب الإنساني والعاطفي والإسلامي عن الأرض، فيضعف الدافع لتحريرها.

وهناك الكارثة الحقيقية والخيانة والجريمة الكبرى، إذا، فلا بد أن تبقى المآسي والمظالم التي تعرض ويتعرض لها الشعب الفلسطيني ماثلة للعيان أمام المقاتل المسلم والمؤمن بعدالة قضيته، ليندفع إلى التضحية والفداء في سبيل قضيته المقدسة، بروح رضية، ونفس أبيّة، وليمتزج من ثم الوعي بالعاطفة، وكلاهما بالإيمان.

مع التأكيد على أنه ليس للمسؤولين والسياسيين أن يربطوا مصيرهم ومصير أمتهم بأولئك المنحرفين، ولا-أن يثقوا بهم، لأن أولئك المنحرفين سوف يدفعونهم في النهاية ثمنًا لمصالحهم، ويساومون عليهم وبهم.

ص: 146

إن من الواضح: أن أهداف الإسلام القصوى ليست هي مجرد تحقيق العدل، ولو بمفهومه الأوسع، إذ لو كان كذلك لم يبق معنى للأوامر الداعية إلى الجهاد والتضحية بالنفوس في سبيل الله والمستضعفين، إذ لماذا يتخلى هذا الشخص عن نفسه وعن حياته في حين يبقى الآخرون يتمتعون بالحياة، وبمباهجها ولذائدها؟! .

كما أنه لو كان العدل هو الهدف فلا يبقى معنى لمحبووية الإيثار على النفس و مطلوبيته له تعالى، ثم مدح من يفعل ذلك من الناس كما في قوله تعالى: [وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ \(1\)](#).

كما أنه لا معنى لنهي الإنسان عن الحقد والحسد، وغير ذلك مما لا يمكن تتبعه واستقصاؤه، فإن ذلك كله وسواه ليدل على أن الهدف ليس هو مجرد تحقيق العدل، وإنما هو فوق وأهم وأقدس من ذلك.

إنه تجسيد إنسانية الإنسان، وإظهار كنوزها، والارتقاء بهذا الإنسان إلى مستوى الجدارة الحقيقية لأن يمثل النموذج الذي يريده الله للإنسان

ص: 149

الكامل، وليس العدل وسواه من كمالات وفضائل إلا واحدا من تلك المراحل والوسائل الموصلة إلى ذلك الهدف المقدس والأسمى، الذي يستبطن في داخله: كل العدل، وكل الكمالات وكل الفضائل، وأخيرا كل السعادة، والفوز والنجاح.

هذا هو هدف الإسلام، وهذا ما يسعى إليه، ويعمل من أجل الوصول والحصول عليه، وليس أدل على ذلك من الآية الكريمة التي تحدد مهمة النبي الرسول، بأنه يعلم الناس الحكمة، ويطهرهم، ويزكيهم، بالإضافة إلى تبليغ رسالة الله لهم، قال تعالى:

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كُنَّا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (1).

وللاحظ: أيضا قوله تعالى: . . مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيبَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (2).

ومن يراجع الآيات القرآنية يجد الكثير الكثير مما يدل على ذلك دلالة واضحة، حتى إن ذلك لا يحتاج إلى أي بيان أو توضيح، ولا إلى المزيد من الدلالات والشواهد.

الحاجة إلى الوزير و الوصي:

وبعد أن عرفنا حقيقة هدف الإسلام، فإننا نعرف:

أن مهمته شاقة وعسيرة جدا لأنها تصطدم أولا وبالذات بالإنسان الفرد،

ص: 150

1- الآية 2 من سورة الجمعة.

2- الآية 6 من سورة المائدة.

حيث لا بد له من السيطرة على غرائزه وشهواته وطموحاته، ليوصلها ويستفيد منها في مجال بناء الشخصية الإنسانية المثالية والفضلى، كما أنها تهدف إلى التغيير الجذري في البنية الاجتماعية والسياسية وغيرها للمجتمع، ليقطع كل جذور الشر، ويستأصل كل عوامل الانحراف؛ ليغرس عوضاً عنها كل معاني الخير والصلاح، والبركة والفلاح.

نعم، إنها مهمة شاقة وعسيرة جداً، ولا أشق ولا أعسر منها، وهي تحتاج لإنجازها ثم إلى استمرارها إلى جهد هائل ومستمر، ما دام أن الإنسان يحمل في داخله عوامل التغيير والتحول، التي منحه الله إياها لتكون عوامل لبقائه وسعادته ولراحته، وأعطاه أيضاً وسائل ضبطها والهيمنة عليها وتوجيهها، ولكن تلك الوسائل كثيراً ما تضعف عن السيطرة على تلك العوامل.

ولسوف يبقى هذا الخطر قائماً، ما دام ذلك الصراع قائماً.

وإذا كان الصراع مستمراً باستمرار وجود الإنسان على مدى الزمان، وكان خطر الشذوذ والانحراف مستمراً أيضاً:

فإن الأنبياء «عليهم السلام» سيكونون بحاجة إلى مواصلة القيام بمهمة التربية والتزكية، وغرس الفضائل الإنسانية والأخلاقية في نفوس الناس، بالإضافة إلى الاستمرار في تلاوة الآيات القاهرة للعقل؛ والمرضية للوجدان، وبالإضافة إلى تعليم الشريعة والأحكام، ثم الإشراف على تطبيقها، والرقابة المستمرة على ذلك.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى الوزير والوصي، والنصير والأخ والولي، والخليفة للنبي «صلى الله عليه وآله»، فجاء تنصيب علي «عليه السلام» من

قبل الرسول الأكرم «صلوات الله عليه وآله» هو الحركة السليمة والطبيعية في خط الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه، وما يوم الدار، وما جرى من تنصيب علي «عليه السلام» فيه خليفة ووزيرا وصيا للرسول إلا واحدا من تلك المناسبات الكثيرة التي جرى فيها التأكيد على هذا الأمر، وترسيخه بصورة قوية وحاسمة.

فإلى حديث الدار فيما يلي من مطالب.

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ:

إنه بعد السنوات الثلاث الأولى، بدأت مرحلة جديدة وخطيرة وصعبة، هي مرحلة الدعوة العلنية إلى الله تعالى.

وقد بدأت أولا على نطاق ضيق نسبيا، حيث نزل عليه «صلى الله عليه وآله» قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (1) فيقول المؤرخون، {و النص للطبري} ما ملخصه: إنه لما نزلت هذه الآية دعا عليا «عليه السلام»؛ فأمره أن يصنع طعاما، ويدعوله بني عبد المطلب ليكلمهم، و يبلغهم ما أمر به.

فصنع علي «عليه السلام» صاعا من طعام، و جعل عليه رجل شاة، و ملأ عسا من لبن، ثم دعاهم، و هم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلا، أو ينقصونه، فيهم أعمام النبي «صلى الله عليه وآله»: أبو طالب، و حمزة و العباس، و أبو لهب؛ فأكلوا.

قال علي «عليه السلام»: فأكل القوم، حتى ما لهم بشيء من حاجة، و ما

ص: 152

أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم.

ثم قال: إسق القوم؛ فجئتهم بذلك العس؛ فشربوا منه حتى رويوا منه جميعا، وأيم الله، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يكلمهم بדרه أبو لهب فقال: لقدما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم الرسول «صلى الله عليه وآله» .

فأمر «صلى الله عليه وآله» عليا «عليه السلام» في اليوم الثاني: أن يفعل كما فعل آنفا، وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» : يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتهم به، إني قد جئتهم بخير الدنيا والآخرة.

وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصي، وخليفتي فيكم؟ .

قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي، ووصي، وخليفتي فيكم؛ فاسمعوا له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع.

وفي بعض نصوص الرواية: أنه لما قام علي «عليه السلام» فأجاب، أجلسه النبي «صلى الله عليه وآله» .

ثم أعاد الكلام، فأجابه علي، فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا، وأجاب علي «عليه السلام» ، فقال له «صلى الله عليه وآله» ذلك.

وعلى حسب نص الإسكافي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: هذا أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي.

وأنهم قالوا لأبي طالب: أطع ابنك، فقد أمره عليك (1).

ص: 154

1- راجع هذه القضية في: تاريخ الطبري ج 2 ص 63، ومختصر تاريخ أبي الفداء ج 2 ص 14 ط دار الفكر بيروت وشواهد التنزيل ج 1 ص 372 و 421 و كنز العمال الطبعة الثانية ج 15 ص 16 و 117 و 113 و 130 عن ابن إسحاق، وابن جرير وصححه، وأحمد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معافي الدلائل، وتاريخ ابن عساكر، ترجمه الإمام علي بتحقيق المحمودي ج 1 ص 87 و 88، وشرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 244 عن الإسكافي، وحياة محمد لهيكل الطبعة الأولى ص 286. وراجع: مسند أحمد ج 1 ص 159 وكفاية الطالب ص 205 عن الثعلبي ومنهاج السنة ج 4 ص 80 عن البغوي وابن أبي حاتم والواحدي والثعلبي وابن جرير، ومسند أحمد ج 1 ص 111، وفرائد السمطين، بتحقيق المحمودي ج 1 ص 86، وإثبات الوصية للمسعودي ص 115 و 116، والسيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 460 و 459. والغدير ج 2 ص 278-284 عن بعض من ذكرنا وعن: أنباء نجباء الأبناء ص 46 و 47، وشرح الشفاء للخفاجي ج 3 ص 37. وراجع أيضا: تفسير الخازن ص 390، وكتاب سليم بن قيس وغيرهم، وخصائص النسائي ص 86 الحديث 63، وراجع: البحار ج 38 و الدر المنثور ج 5 ص 97 عن مصادر كنز العمال لكنه حرف فيه و مجمع الزوائد ج 8 ص 302 عن عدد من الحفاظ بإسقاط منه أيضا، وينايع المودة ص 105 وغاية المرام ص 320 وابن بطريق في العمدة، وتفسير الثعالبي، وتفسير الطبري ج 19 ص 75، والبداية والنهاية ج 3 ص 40، وتفسير ابن كثير ج 3 ص 350 و 351.

ولا بد أن نشير هنا: إلى أن الطبري، قد ذكر هذا الحديث في تاريخه على النحو المتقدم.

ولكنه ندم على ذلك-على ما يظهر-فذكر نفس هذا الحديث في تفسيره برمته حرفيا، متنا و سندا، ولكنه غير فيه عبارة واحدة، فذكرها على النحو التالي: «فأيكم يوازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي، وكذا وكذا.

إلى أن قال:

ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا!! (1).

وقد تبعه على هذا ابن كثير الشامي أيضا؛ فلم تسمح نفسه بذكر ما في تاريخ الطبري.

بل نقل خصوص ما في التفسير، مع أن تاريخ الطبري هو مصدره ومعتمده في تاريخه!! (2).

كما أن محمد حسنين هيكل بعد أن ذكر في كتابه حياة محمد، في الطبعة الأولى ص 104 نص الطبري في التاريخ، عاد فحذف من الطبعة الثانية ص 139 ط سنة 354 هـ. قوله: «و خليفتي فيكم» واقتصر على قوله: «و يكون أخي و وصيي» وذلك لقاء خمسمائة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه (3).

ص: 155

1- راجع تفسير الطبري ج 19 ص 75.

2- راجع: تفسير ابن كثير ج 3 ص 351، و البداية و النهاية ج 3 ص 40 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 459.

3- راجع: فلسفة التوحيد و الولاية ص 179 و 132 و سيرة المصطفى ص 131 و 130.

أما ابن تيمية، فقد أنكر -على عاداته في إنكار فضائل سيد الأوصياء أمير المؤمنين «عليه السلام» - حديث الدار، و أورد عليه بما ملخصه:

أولاً: إن في سند رواية الطبري أبا مريم الكوفي، و هو مجمع على تركه، و قال أحمد: ليس بثقة، و اتهمه ابن المديني بوضع الحديث إلخ.

ثانياً: تنص الرواية على أنه قد جمع بني عبد المطلب و هم أربعون رجلاً.

و من الواضح: أنه حين نزول الآية لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثرة.

ثالثاً: قول الرواية إن الرجل منهم ليأكل الجذعة، و يشرب الفرق (1) من اللبن، كذب، إذ ليس في بني هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعا، و يشرب فرقا.

رابعاً: إن مجرد الإجابة للمعاونة على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصياً و خليفة بعده «صلى الله عليه و آله» ؛ فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى الإسلام، و أعانوه على هذا الأمر، و بذلوا أنفسهم و أموالهم في سبيله.

كما أنه لو أجابه الأربعون، أو جماعة منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفة له؟

خامساً: إن حمزة، و جعفر، و عبيدة بن الحرث قد أجابوا إلى ما أجاب إليه علي، بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلاً (2).

ص: 156

1- الفرق: إناء يكتال به.

2- منهاج السنة ج 4 ص 81-83.

ولكن كل ما ذكره ابن تيمية لا يصح، ولا يلتفت إليه، وذلك لما يلي:

1- فأما بالنسبة لما ذكره أولاً عن أبي مريم، فقد قال ابن عدي: سمعت ابن عقدة يثني على أبي مريم ويطريه، و تجاوز الحد في مدحه (1) و أثني عليه شعبة (2).

و قال عنه الذهبي: كان ذا اعتناء بالعلم و بالرجال (3).

و عدا عن ذلك فقد صرحوا بسبب تضعيفهم له، و هو كونه شيعياً، و نحن نرى أن ذلك لا يضره؛ فقد روى أصحاب الصحاح، و لا سيما البخاري و مسلم عن عشرات الشيعة (4).

و مع غض النظر عن ذلك؛ فإن المتقي الهندي قد نقل عن الطبري: أنه قد صحح هذا الحديث (5).

كما و صححه الإسكافي المعتزلي (6).

و صححه أيضاً: الخفاجي في شرح الشفاء (7).

ص: 157

1- راجع: الغدير ج 2 ص 280، و لسان الميزان ج 4 ص 43.

2- لسان الميزان ج 4 ص 42.

3- ميزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 631 و 640، و لسان الميزان ج 4 ص 42.

4- المصدر السابق.

5- كنز العمال ج 15 ص 113.

6- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 244.

7- راجع: الغدير ج 2 ص 280.

وقد رواه أحمد بسند جميع رجاله رجال الصحاح بلا كلام، وهم: شريك، والأعمش، والمنهال، وعباد، وعلي «عليه السلام» (1).

ولو سلم كل ذلك؛ فإن طرق الحديث مستفيضة، يقوي بعضها بعضاً؛ فلا يضر ضعف بعض الرجال في بعض الأسانيد.

وأعجب من ذلك دعوى أن لا تكون قضية الخلافة بعده «صلى الله عليه وآله» مذكورة في المسانيد، فإن من راجع المصادر التي ذكرناها للحديث آنفاً؛ يعرف أنها موجودة في عشرات المصادر والمسانيد.

وأما الطعن في رواية ابن أبي حاتم باشتمال سندها على عبد الله بن عبد القدوس.

وقد ضعفه الدار قطني.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال ابن معين: ليس بشيء، رافضي خبيث، أما هذا فقد قال الشيخ المظفر «رحمه الله تعالى» في جوابه: «وفيه: أن تضعيفهم معارض بما في تقريب ابن حجر: أنه صدوق.

وفي تهذيب التهذيب: قال محمد بن عيسى: ثقة.

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال البخاري: هو في الأصل صدوق، إلا أنه يروي عن أقوام ضعاف.

مع أنه أيضاً من رجال سنن الترمذي.

ص: 158

1- راجع: المصدر السابق، ومسند أحمد ج 1 ص 111.

و مدح هؤلاء مقدم؛ لعدم العبرة في قدح أحد المتخالفين في الدين في الآخر، ويقبل مدحه فيه.

و هم قذفوه بذلك؛ لأنهم رموه بالتشيع، ولا نعرفه في رجالهم.

لكن قد ذكر ابن عدي: أن عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت. و لعل هذا هو سر تهمتهم له (1).

2-و أما ما ذكره ابن تيمية ثانيا: فإن الظاهر هو أن كلمة {عبد} زيادة من الرواة، بدليل: أن عددا من الروايات يصرح بأنه قد دعا بني هاشم (2).

و جاء في روايات أخرى: أنه دعا بني عبد المطلب، و نفرا من بني المطلب (3) فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي و أضاف كلمة «عبد»، و هذا كثير.

و عليه فلا- يلزم من ذلك كذب أصل الواقعة المتفق عليها إجمالا، كما أن أبناء عبد المطلب إذا كانوا عشرة، و كان أصغرهم يصل عمره حينئذ إلى ستين عاما؛ فلماذا لا يكون لهم من الولد ما لو انضموا إليهم لبلغوا أربعين رجلا، بل أكثر من ذلك بكثير، و ما وجه الاستبعاد لذلك؟

ص: 159

1- دلائل الصدق ج 2 ص 234.

2- كما في السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 459 عن ابن أبي حاتم و كذا في البداية و النهاية ج 3 ص 40، راجع كنز العمال ج 15 ص 113، و مسند أحمد ج 1 ص 111 و تفسير ابن كثير ج 3 ص 350 و ابن عساكر ترجمة الإمام علي بتحقيق المحمودي ج 1 ص 87، و إثبات الوصية للمسعودي ص 115، و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 27، و مسند البزار مخطوط في مكتبة مراد رقم 578.

3- الكامل لابن الأثير ج 2 ص 62 ط صادر.

3-وأما ما ذكره ثالثاً: فقد أجاب عنه الشيخ المظفر: بأن عدم معرفتهم بالأكل لا تدل على عدم كونهم كذلك، فلعلهم كذلك في الواقع، ولو سلم؛ فإنه يلزم منه مبالغة الراوي في إظهار معجزة النبي «صلى الله عليه وآله» في إطعامهم رجل الشاة، وعس اللبن الواحد (1).

4-وأما ما ذكره ابن تيمية رابعاً: فجوابه ما ذكره الشيخ المظفر أيضاً: من أن قوله هذا ليس علة تامة للخلافة، ولم يدع ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل أمره الله بإنذار عشيرته؛ لأنهم أولى بالدفع عنه ونصره؛ فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم، وليعلم من أول الأمر: أن هذه المنزلة لعلي «عليه السلام» لأن الله ورسوله يعلمان:

أنه لا يجيب النبي «صلى الله عليه وآله» ويؤازره غير علي «عليه السلام»؛ فكان ذلك من باب تثبيت إمامته، بإقامة الحجة عليهم. ومع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول الأحق بها منهم (2).

وقد أوضح ذلك المحقق البحثة السيد مهدي الروحاني: بأن الخطاب إنما هو للجميع، لكن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعلم من خلقهم وعلاقاتهم، وطبائعهم: أنهم سوف لا يجيبون إلا علي «عليه السلام»، هذا بالإضافة إلى إعلام الله له بذلك.

ونقول نحن: إن مما يؤيد ذلك، النص الذي سوف يأتي نقله عن البحار، عن ابن طاووس، تحت عنوان: «ماذا قال النبي «صلى الله عليه

ص: 160

1- دلائل الصدق ج 2 ص 235.

2- دلائل الصدق ج 2 ص 236.

وآله» يوم الإنذار» .

وقد قلنا هناك: إن ذلك النص هو المنسجم مع الآية الكريمة، وقد جاء فيه: «إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له أخا، ووزيرا، ووصيا، ووارثا من أهله، وقد جعل لي وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلي. .» .

إلى أن قال:

«وقد والله أنبأني به، وسماه لي، ولكن أمرني أن أدعوكم وأنصح لكم، وأعرض عليكم لثلاث تكون لكم الحجة فيما بعد» (1).

واحتمل صديقنا المحقق الروحاني: أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البدل، ولذا قال لهم: أيكم يؤازرنني إلخ. .

فالمجيب أولا هو الذي يستحق ما وعد به «صلى الله عليه وآله»، وإجابة أكثر من واحد بعيدة الوقوع جدا، ولا يعتنى باحتمالها عرفا، لا سيما وأن الذي يضر هو التقارن في الإجابة، وذلك أبعد وأبعد.

هذا مع علمه «صلى الله عليه وآله» بأنه لا يجيب سوى واحد منهم.

ولكن قد ذكر بعض الأعلام: أن كون المراد هو المؤازرة في الجملة بعيد؛ لكون المسلمين على اختلاف مراتبهم قد آزره في الجملة، فالمراد هو المؤازرة في جميع الأمور والأحوال، والموازرة الكاملة في الدين تحتاج إلى أعلى درجات الوعي، والعلم، والسمو الروحي إلى درجة العصمة.

الأمر الذي يعني: أن شخصا كهذا هو الذي يستحق الإمامة، ولا يستحقها سواه؛ ممن تلبس بالظلم، كما قال تعالى: لَا يَنَالُ عَهْدِي

ص: 161

و ليس ذلك سوى عليّ «عليه السلام» .

أضف إلى ذلك: أن إمامة و خلافة علي «عليه السلام» ، إنما هي بجعل من الله سبحانه و تعالى ، لا بجعل من النبي «صلى الله عليه و آله» لتترتب على المؤازرة المنشودة، و المرغّب بها، مع علم النبي «صلى الله عليه و آله» بعدم إجابة غير علي «عليه السلام» ، فيكون ما جرى في يوم الإنذار لأجل إقامة الحجة، و قطع كل عذر، فكلام المظفر هو الأولى و الأقرب انتهى.

و أما ما ذكره ابن تيمية خامسا و أخيرا فهو لا يصح أيضا بأي وجه:

أولا: لأن وجود حمزة إنما يضر لو كان قد أسلم قبل نزول آية الإنذار، و نحن لم نستطع أن نحتمل ذلك، فضلا عن أن نجزم به؛ إذ من القريب جدا، بل هو ظاهر، إن لم يكن صريح ما ورد في كيفية إسلام حمزة: أن يكون إسلامه بعد الإعلان بالدعوة، و بعد وقوع المواجهة بين النبي «صلى الله عليه و آله» و قريش، و بعد مفاوضاتها لأبي طالب.

ثانيا: لو سلّم فإن إنذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوة السرية، و قبل إسلام حمزة، حتى لو كان قد أسلم في الثانية من البعثة، و يكون ما جرى بين حمزة و أبي جهل بمثابة إعلان جزئي للدعوة.

و تكون قريش قد بدأت تتعرض لشخص النبي «صلى الله عليه و آله» حتى في الدعوة السرية، و أما بالنسبة لسائر من أسلم فقد كان ثمة محدودية في التعامل معهم، و سرية بالنسبة لمن يدخل في الإسلام منهم.

ص: 162

ويدل على ما ذكرناه: أنهم يذكرون: أن قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ (1) كان هو السبب في إخراج الدعوة من السر إلى العلن.

ولا ريب أن إنذار العشيرة كان قبل ذلك.

ثالثا: إن وجود حمزة، إن كان قد أسلم آنئذ، كوجود أبي طالب بينهم، فلعلهما كانا يريان أنهما غير مقصودين بهذه الدعوة.

ولا سيما إذا كانا يدركان: أن بقاءهما إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» أبعد احتمالا؛ فإن سن حمزة كان يقارب سن النبي «صلى الله عليه وآله»، كما يدعون.

ولكننا نعتقد: أنه كان أكبر من النبي «صلى الله عليه وآله» بأكثر من عشرين سنة، لأنه كان أكبر من عبد الله، والد النبي «صلى الله عليه وآله» والذي كان أصغر أولاد عبد المطلب.

وهكذا يقال بالنسبة للعباس أيضا.

وأما أبو طالب؛ فإنه كان شيخا هرما لا يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، فلا معنى لأن يقدم أي منهما نفسه على أنه خليفته من بعده، أو على الأقل هكذا فكرا آنئذ.

وهكذا يتضح: أن جميع ما جاء به ابن تيمية إنما كان كسراب بقيعة، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

ص: 163

أ- روايات لا يمكن أن تصح:

هذا، وقد حاول ابن تيمية أن يقوي جانب روايات أخرى تبعد عليا وأهل البيت «عليهم السلام» عن الأنظار، بل وتستبعد الهاشميين منه عموما أيضا كتلك الروايات التي في الصحيحين، والتي تقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» جمع قريشا حين نزل قوله تعالى: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** فاجتمعوا، فخص وعَمَّ، فقال:

يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذني نفسك من النار إلخ (1).

وفي رواية أخرى: إنه «صلى الله عليه وآله» جمع بني هاشم وأجلسهم على الباب، وجمع نساءه فأجلسهم في البيت.

ثم كلم بني هاشم، وبعد ذلك أقبل على أهل بيته؛ فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله، اشتروا أنفسكم في الله، واسعوا في فكاك رقابكم؛

ص: 164

1- راجع: منهاج السنة ج 4 ص 83، و الدر المنثور ج 5 ص 95 و 96 عن: أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وأنس، وعروة بن الزبير، والبراء، وقتادة، وتاريخ الخميس ج 1 ص 287.

فإني لا أملك لكم من الله شيئا، ولا أغني؛ فبكت عائشة وقالت: . إلخ. .

ثم تذكر الرواية محاوراة لها معه «صلى الله عليه وآله» (1).

و ثمة نصوص أخرى كلها تؤكد على دعوته قريشا وإنذاره لها، وهذه الروايات لا يمكن أن تصح.

أولا: لقد تقدم: أن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها لم تكن حينئذ قد ولدت.

ثانيا: إن عائشة (2) وحفصة، وأم سلمة لم يكن من أزواجه حينئذ، ولا كن من أهله، وإنما صرن من أهله في المدينة بعد ذلك بسنين كثيرة.

ثالثا: إن هذه الروايات تناقض ما ورد من أنه «صلى الله عليه وآله» إنما دعا قريشا وبأدأها حين نزل قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ (3)، و ليس حين نزل قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ .

رابعا: إن هذه الروايات تناقض نص الآية نفسها، فإنها تأمره بإنذار العشيرة الأقربين، لا مطلق عشيرته، و لا مطلق الناس، وعشيرته الأقربون

ص: 165

1- الدر المنثور ج 5 ص 96 عن: الطبراني، وابن مردويه، عن أبي أمامة، وهذه الروايات موجودة في مصادر كثيرة أخرى و لا سيما تلك التي ذكرناها في أوائل هذا البحث كمصادر للنص الأول.

2- والغريب في الأمر: أنهم يعتقدون: أن عائشة إنما ولدت في الخامسة من البعثة، والإنذار للعشيرة كان في الخامسة، فهم يناقضون أنفسهم مناقضة صريحة، وإن كنا نحن نعتقد: أن عائشة قد ولدت قبل البعثة بسنوات، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

3- الآية 94 من سورة الحجر.

إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب، و المطلب.

والقول بتعدد الإنذار: لا يدفع الإشكال، بعد تصريح الروايات: بأن مفادها قد وقع حين نزول الآية عليه «صلى الله عليه وآله» .

وهذا كله مع غض النظر عما في أسانيد هذه الروايات، فإن جميع روايتها -كما يقولون-: لم يدركوا زمان إنذار عشيرته «صلى الله عليه وآله» .

ب- ما المراد بكونه خليفته في أهله:

وقد ذكر الشيخ المظفر «رحمه الله» : أن من الواضح: أن قوله: خليفتي فيكم، أو في أهلي لا يضر، ما دام أن ثمة إجماعاً على عدم جواز وجود خليفتين: خاص، و عام، فخلافته الخاصة تقتضي خلافته المطلقة.

ولعل الأصح هو: أنه قال -كما في الروايات الأخرى-: «من بعدي» ، أو أنه قال: «فيكم» ، باعتبار أنهم من المسلمين.

وأما القول بأن المقصود: هو أنه القائم بشؤونهم الدنيوية؛ فيكذبه الواقع؛ فإن علياً «عليه السلام» لم يكن كذلك بالنسبة لأي من الهاشميين، ولو كان المقصود هو خصوص الحسنين «عليهما السلام» ، و فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، فإن من الواضح أنهما وكذلك أمهما ما كانوا قد ولدوا بعد.

كما أن نفقة هؤلاء واجبة عليه بالأصالة لا بالخلافة، و أما غيرهم فلم يكن «عليه السلام» مكلفاً بالإنفاق عليه، و لا كان يفعل ذلك (1).

ص: 166

أضف إلى ذلك كله: أنه بعد أن يصبح الإنسان رجلاً عاقلاً و كاملاً، فإنه لا يبقى بحاجة إلى ولي يدبر شؤونه، بل يستقل هو نفسه في ذلك، و على هذا، فلا يبقى للولي و للخليفة معنى، إذا كان هذا هو المراد.

ونشير هنا: إلى أن الدواعي كانت متوفرة لتحريف هذه الواقعة، و جعلها خاصة بالخلافة على الأهل، و لا تشمل الخلافة العامة التي هي موضع الأخذ و الرد كما هو معلوم.

ج- لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة؟! :

هذا و لا يخفى: أن الاهتمام بدعوة عشيرته الأقربين كان خيراً وسيلة لتثبيت دعائم دعوته، و نشر رسالته؛ لأن الإصلاح يجب أن يبدأ من الداخل، حتى إذا ما استجاب له أهله و قومه، اتجه إلى غيرهم بقدم ثابتة، و عزم راسخ و مطمئن.

كما أن دعوته لهم سوف تمنحه الفرصة لاكتشاف عوامل الضعف و القوة في البنية الداخلية، من حيث ارتباطاته و علاقاته الطبيعية، و ليعرف مقدار الدعم الذي سوف يلاقيه؛ فيقدر مواقفه، و إقدامه، و إحجامه على أساسه.

أضف إلى ذلك: أنه حين يبدأ بالأقربين من عشيرته، و لا يبدو أنه على استعداد لتقديم أي تنازل أو مساومة حتى بالنسبة إلى هؤلاء، فإن معنى ذلك هو أن على الآخرين أن يقتنعوا بأنه منسجم مع نفسه، و مقتنع بصحة ما جاء به، و يريد لأحب الناس إليه، الذين لا يريد لهم إلا الخير، أن يكونوا في طليعة المؤمنين الذين يضحون بكل غال و نفيس في سبيل هذا الدين.

وقد رأينا: أن النصارى قد تنبهوا إلى ذلك في قضية المباهلة، فراجع.

و من الجهة الأخرى: فإنه يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس قبلي

-فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسية و مصيرية-و حين لا يكون هو نفسه يرضى بالاعتماد على القبلية كعنصر فعال في حماية موافقه، و تحقيق أهدافه؛ فإن من اللازم: أن يتخذ من ذوي قرباه موقفا صريحا، و يضعهم في الصورة الواضحة؛ و أن يهيئ لهم الفرصة ليحددوا مسؤولياتهم، بحرية، و صراحة، و صفاء، بعيدا عن أي ضغط و ابتزاز و لو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلي فيما بينهم؛ لأنه عرف مرفوض إسلاميا.

و هنا تبرز واقعية الإسلام في تعامله مع الأمور، و في معالجته للقضايا، الإسلام الذي لا يرضى أن يستغل جهل الناس و بساطتهم، و حتى أعرفهم -الخاطئة- التي ارتضوها لأنفسهم في سبيل منفعه، و تحقيق أهدافه.

نعم، إن الإسلام يعتبر الوسيلة جزءا من الهدف، فلا بد أن تنسجم و تتلاءم معه، كما لا بد أن تنال من الطهر و القداسة بالمقدار الذي يناله الهدف نفسه.

وقفنا الله للسير على هدى الإسلام، و الالتزام بتعاليمه؛ إنه خير مأمول، و أكرم مسؤول.

و على كل حال، فقد خرج «صلى الله عليه و آله» من ذلك الاجتماع بوعد أكيد من شيخ الأبطح، أبي طالب «عليه السلام» بالنصر و العون؛ فإنه لما رأى موقف أبي لهب اللاإنساني، و اللامعقول، قال له: «يا عورة، و الله لننصرنه، ثم لنعيننه! يا ابن أخي، إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح» (1).

ص: 168

ونجد في يوم الإنذار: أن اختيار النبي «صلى الله عليه وآله» يقع على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ليكون المضيف لجماعة يناهز عددها الأربعين رجلا، فيأمره بأن يصنع طعاما، ويدعوهم إليه.

والظاهر: أن ذلك قد كان في بيت النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، لأن عليا «عليه السلام» كان عند رسول الله «صلوات الله عليه وآله» في بيته على ما يظهر، وقد كان بإمكانه «صلى الله عليه وآله» أن يطلب من خديجة أن تصنع لهم الطعام، هذا، مع وجود آخرين، أكثر وجاهة ومعروفة من علي «عليه السلام»، كأبي طالب، وكجعفر، الذي كان يكبر عليا في العمر، وغيرهما ممن يمكن أن يستفيد من نفوذه وشخصيته في التأثير على الحاضرين، ولكنه قد اختار عليا بالذات ليتفادى أي إحراج يبعد القضية عن مجالها الطبيعي، الذي يركز على الفناعة الفكرية والوجدانية بالدرجة الأولى-ولأن عليا وإن كان حينئذ صغير السن، إلا أنه كان في الواقع كبيرا في عقله، وفي فضائله وملكاته، كبيرا في روحه ونفسه، كبيرا في آماله وأهدافه، ولا أدل على ذلك من كونه هو المجيب للرسول، دون كل من حضر، ليؤازره ويعاونه على هذا الأمر.

وقد رآه النبي «صلى الله عليه وآله» منذئذ أهلا لأن يكون أخاه، ووصيه، وخليفته من بعده، وهي الدرجة التي قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل وحتى عن أن يدخل في وهمها: أن تصل ولو في يوم ما إليها، وتحصل عليها.

ولكن عليا كان منذ نعومة أظفاره هو السباق إليها دون كل أحد؛ لأنه

عاش في كنف الرسول، وكان «صلى الله عليه وآله» كفيله و مربيه، وكان يبرد له الطعام، ويشمه عرقه، وكان يتبع الرسول اتباع الفصيل أثر أمه، وكان كأنه ولده (1).

.. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (2).

هـ-موقف أبي طالب رحمه الله:

وأما أبو طالب «عليه السلام» فكان موقفه الراعي لهذا الأمر، والمحامي عنه، والحريص عليه. .

وكان يعلم: أنه لم يكن هو المقصود بهذا الخطاب، لأنه لم يكن يرى أنه يعيش إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» ليكون وصيه و وزيره و خليفته من بعده.

و-موقف أبي لهب:

ولقد أدرك أبو لهب مغزى تلك الدعوة، ورأى أن الأمر قد بلغ مرحلة الجذ، وها هو يرى بأم عينيه معجزة أخرى، تضاف إلى الكثير مما رآه من

ص: 170

1- وليس في كفالة النبي «صلى الله عليه وآله» لعللي غضاضة على أبي طالب شيخ الأبطح-كما يقول البعض-لأن عبد الله و أبا طالب كانا من أم واحدة بخلاف سائر أبناء عبد المطلب، وقد ربي النبي «صلى الله عليه وآله» في حجر أبي طالب و كان «صلى الله عليه وآله» يخاطب فاطمة بنت أسد بيا أماه، و كانت عناية أبي طالب و زوجته به «صلى الله عليه وآله» فائقة جدا، و كان علي «عليه السلام» كأنه ابن لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع ملاحظة التفاوت في السن فيما بينهما.

2- الآية 4 من سورة الجمعة.

معاجز وكرامات للنبي «صلى الله عليه وآله»، طيلة السنوات الكثيرة التي عرف فيها النبي «صلى الله عليه وآله» وأحواله-فيرى أن فخذ شاة، وعسا من لبن، يكفي أربعين رجلا، وأبولهب هو ذلك الرجل الذي يعرف طبيعة وأهداف هذا الدين الذي يبشر فيه محمد «صلى الله عليه وآله».

وأنه لا يقيم وزنا لأي امتياز أو مكسب شخصي حصل عليه الإنسان من طريق الابتزاز والظلم، وسائر أنواع التعدي والانحراف.

إذن، فلا بد لأي لهاب، بحسب منطق اللا منطقي: أن يقف في وجه هذا الدين، ويمنعه من تحقيق أهدافه بكل وسيلة ممكنة.

ولا بد من تضييع الفرصة على النبي «صلى الله عليه وآله»، وذلك حفاظا على ما يراه أنه مصلحته أولا، وليرضي حقه وحسده الذي يعتمل في صدره ثانيا؛ ذلك الحقد الذي لا مبرر له إلا أنه: يرى في شخصية النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» الصفات الحميدة، والأخلاق الرضية الكريمة، والسجايا الفاضلة، فإن ذلك يعتبر عنده ذنبا، وأي ذنب.

فبادر إلى المواجهة الصريحة، والوقحة والقييحة، حيث استغل معجزة الطعام التي يراها الجميع بأم أعينهم، فرمى النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» بالسحر وقال: لقدما سحركم صاحبكم، فتفرق الجمع في اليوم الأول، ولم يستطع الرسول «صلى الله عليه وآله» أن يقول كلمته حتى اليوم التالي؛ حيث استطاع النبي «صلى الله عليه وآله» أن يصدع بما أمره الله تعالى، ويقيم عليهم الحجة، كما تقدم بيانه.

ز- الإنذار أولا:

وما دمننا في الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين؛ فإننا نسجل هنا: أنه

«صلى الله عليه وآله» قد أمر من قبل الله تعالى بالإنذار أولا لعشيرته، فقال تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ .

وكذلك الحال بالنسبة لغيرهم من سائر الناس، فإنه تعالى قد قال لنبيه، كما في سورة المدثر، التي هي من العتائق النازلة في أوائل البعثة: قُمْ فَأَنْذِرْ .

فقد جاء الإنذار أولا، مع أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل مبشرا ونذيرا، ومع أن القرآن هدى وبشرى أيضا، لأن الناس لم يكونوا على واقع الفطرة، والغفلة، وعدم الالتفات، بل كانوا في أول البعثة كفارا، معاندين ومنغمسين في الظلم والانحراف إلى أبعد مدى، فلا بد من إنذارهم أولا؛ ليلتفتوا إلى عواقب ما هم عليه من واقع سيء يعيشونه، وإلى العواقب المدمرة والمرعبة، التي تنتظرهم نتيجة لذلك.

والتفاتهم هذا، لسوف يؤثر فيهم للتطلع، ثم الحركة نحو الخروج من ذلك الواقع، والتخلص منه.

ثم يأتي بعد ذلك دور تخليص المجتمع من رواسبه، ومن حركاته، وأعماله، ومواقفه السيئة، على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة، وتطهيره من كل غريب ومريض.

ومعه جنبا إلى جنب تكون عملية وضع الأسس المتينة والسليمة لبناء الهيكل العام للمجتمع المسلم في عواطفه، وفي علاقاته، وفي روابطه.

والأهم من ذلك؛ في فكره وثقافته، وإعطائه المفهوم الحقيقي والواقعي عن الكون، وعن الحياة، وبالذات عن هذا الإنسان القوي الضعيف، وليطرد قدما في عملية بناء الإنسان من الداخل، وتربيته وتركيبته، كما هي

وظيفة النبي والإمام، وكل داعية إسلامي على الإطلاق، وقد أشرنا في أول هذا الفصل إلى هذا، مستفيدين من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. (1).

وهذا الذي ذكرناه عن أسلوب الإسلام في دعوته، هو التحرك الطبيعي لأية دعوة تستهدف الإصلاح الجذري، والتغلب على مشاكل الحياة، والتخطيط لمستقبل مشرق سعيد.

ح-ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله في يوم الإنذار؟ !:

وقد جاء في بعض النصوص أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهم: «يا بني عبد المطلب، إني لكم نذير من الله جل وعز، إني أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا، وتفلحوا، وتنجحوا، إن هذه مائدة أمرني الله بها؛ فصنعتها لكم، كما صنع عيسى بن مريم «عليه السلام» لقومه؛ فمن كفر بعد ذلك منكم، فإن الله يعذبه عذابا شديدا، لا يعذبه أحدا من العالمين، واتقوا الله، واسمعوا ما أقول لكم، واعلموا يا بني عبد المطلب: أن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له أخا، ووزيرا، وصيا، ووارثا من أهله.

وقد جعل لي وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلي، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل علي: وَأَذِّنْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطَكَ الْمَخْلَصِينَ (2)، وقد والله أنبأني به، وسماه لي.

ص: 173

1- الآية 4 من سورة الجمعة.

2- هذا توضيح منه «صلى الله عليه وآله» و تفسير للمراد من الآية.

ولكن أدعوكم، وأنصح لكم، وأعرض عليكم؛ لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي، فأياكم يسبق إليها على أن يؤاخيها في الله، ويؤازرني»، إلى آخر كلامه «صلى الله عليه وآله»، الذي ينسجم مع النص الذي ذكرناه في أوائل هذا الفصل فراجعهُ (1).

وهذا النص هو الأوفق والأنسب لموقف كهذا، وهو ينسجم تماما مع أمر الآية بالإنذار، فإن الإنذار أولا هو الخطوة الطبيعية لأية دعوة، كما ذكرنا آنفا.

ولا بد من لفت النظر هنا إلى أن قوله: «ورَهْطُكَ» الخ. .، ليس من الآية المباركة، بل هي زيادة نبوية توضيحية.

ط- التبشير والإنذار:

ويقول المحقق البحاثة المرحوم الشيخ مرتضى المطهري: إن من يريد إقناع إنسان ما بعمل ما، فله طريقتان:

أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه، وبيان فوائد ذلك العمل.

الثاني: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار، وعواقب سيئة.

ولذلك قيل: الإنذار سائق، والتبشير قائد.

والقرآن والإسلام يريان: أن الإنسان يحتاج إلى هذين العنصرين معا، وليس -كغيره- يكفيه أحدهما.

بل ويرى الإسلام: أنه لا بد أن ترجح كفة التبشير على كفة الإنذار.

ص: 174

1- البحار: ج 18 ص 215 و 216 عن سعد السعود لابن طاووس ص 106.

ولذلك قدم الأول على الثاني في أكثر الآيات القرآنية.

ومن هنا، فقد قال «صلى الله عليه وآله» لمعاذ بن جبل، حين أرسله إلى اليمن: «يسّر ولا تعسر، وبشّر ولا تنفّر»، فهو هنا لم يستبعد الإنذار، بل هو جزء من خطته، وإنما اهتم بجانب التبشير إذ يمكن بواسطته إدراك مزايا الإسلام وخصائصه الرائعة، وليكون إسلامهم من ثم عن قناعة حقيقية، وقبول تام.

وأما قوله «صلى الله عليه وآله»: «ولا تنفّر، فهو واضح المأخذ، فإن روح هذا الإنسان شفافة جدا، وتبادر إلى ردة الفعل بسرعة، ومن هنا فإننا نجد النبي «صلى الله عليه وآله» يأمر بالعبادة ما دامت النفس مقبلة، ولا يقبل بالضغط عليها، وتحميلها ما لا تطيق، ولهذا شواهد كثيرة في الشريعة السهلة السمحاء (1).

ومما تقدم نستطيع أن ندرك: لماذا اشتملت دعوته «صلى الله عليه وآله» لعشيرته على التبشير أيضا؛ بأن من يؤازره سوف يكون خليفة بعده، وأنه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة، تماما كما بدأت بالإنذار، فإن ذلك ينسجم مع ما تشاق إليه نفوسهم، ويتلاءم مع رغباتهم، و يأتي من قبل من لا يمكن اتهمهم بأي وجه.

ي-أخي ووصيي:

ويلفت نظرنا هنا قوله «صلى الله عليه وآله»: «على أن يكون أخي إلخ» .

ص: 175

1- راجع: جريدة جمهوري إسلامي الفارسية رقم 254 سنة 1359 هـ. ش في مقالات للمطهري رحمه الله تعالى.

فإن ذلك يؤكد لهم على مدى التلاحم والمحبة بينه وبين ذلك الذي يؤازره ويعاونه، إلى حد أنه يعتبره أخا له، فليست العلاقة بينهما علاقة رئيس و مرؤوس، و أمر و مأمور، و لا عال بدان، وإنما هي علاقة بين متكافئين في الإنسانية، كما أنها علاقة تعاون و تعاضد على العمل البناء و المثمر، و علاقة أخ مع أخيه، تغمرها المحبة، و الثقة و الصفاء، بكل ما لهذه الكلمات من معنى.

أضف إلى ذلك، ما في ذلك من دلالة على المستوى السامي الذي كان قد بلغه أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى يستحق و سام الأخوة فيما بينه و بين سيد البشر، من مضى منهم، و من غير.

آخر حملات التشكيك في حديث الإنذار:

طرح أحد المخالفين تشكيكات في متن حديث الإنذار فقال بعد أن أورد الحديث المشار إليه، ما يلي:

أقول نقد المتن سيكون على أمرين:

أولاً: العدد.

بالنسبة لوصول رجال بني عبد المطلب إلى أربعين رجلاً في ذلك الوقت، فهذا يحتاج أولاً إلى إثبات و إلى بحث، و خلال بحث سريع لدي اتضح لي الآتي:

نبدأ بذكر أعمام النبي «صلى الله عليه و آله» ثم القول فيهم بعد ذلك:

في البداية و النهاية لابن كثير {3/354} نقل لنا قول الزهري، حيث قال عن عبد الله و آله «صلى الله عليه و آله» :

ص: 176

«وكان أجمل رجال قريش وهو أخو الحارث والزيبر وحمزة وضرار وأبي طالب واسمه عبد مناف وأبي لهب واسمه عبد العزى والمقوم واسمه عبد الكعبة وقيل، هما اثنان، وحجل واسمه المغيرة والغيداق وهو كثير الجود واسمه نوفل ويقال: انه حجل والعباس فهؤلاء اعمامه» .

وبعض المؤرخين أضافوا رجلا آخر واسمه قثم بن عبد المطلب كما جاء في الروض الأنف {1/439} .

الآن نرى أمامنا أعمام الرسول «صلى الله عليه وآله» . .

نأتي الآن إلى أقوال النسابة والمؤرخين فيهم:

جاء في كتاب الرحمة المهداة صفحة {47} لعبد العزيز المدني ونور الإسلام شفيع السلفي: «كان الحارث أكبر أولاد عبد المطلب مات في حياة أبيه وكان له أربعة أبناء: نوفل وعبد الله وربيعة وأبو سفيان كلهم خدموا الإسلام» .

وقال البلاذري في كتابه أنساب الأشراف {1/87} : «وقال في السنة التي نحر فيها عبد المطلب الإبل مات الحارث بن عبد المطلب و لابنه ربيعة سنتان» .

وجاء في كتاب التبيين في أنساب القرشين صفحة {79} لابن قدامة: «كان أكبر عمومة رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحارث بن عبد المطلب ولم يدرك الإسلام» .

وفي كتاب الطبقات لابن سعد {1/93} : «ولد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف اثني عشر رجلا وست نسوة: الحارث وهو أكبر ولده وبه كان يكنى ومات في حياة أبيه» .

و جاء في كتاب نشوة الطرب في تاريخ الجاهلية و العرب { 1/335 } لابن سعيد الأندلسي المتوفى سنة 685 هـ :

قال عن الزبير بن عبد المطلب: «و كان محبا للنبي «صلى الله عليه و آله» و لم يلحق نبوته» .

و في كتاب الرحمة المهداة صفحة { 53 } : «مات الزبير قبل بعثة النبي «صلى الله عليه و آله» . . » .

إذن عرفنا هنا: هلاك الحارث و الزبير ابنا عبد المطلب قبل دعوة النبي «صلى الله عليه و آله» و هذا ما يفيد عدم حضورهم لحادثة الإنذار.

{قلت أنا عبد الله السقاف: غير أننا سنذكر لاحقا أن للحارث أبناء عاصروا الحادثة و كذلك للزبير له ابن عاصر الحادثة. . } .

ثم نأتي إلى ضرار بن عبد المطلب:

قال ابن سعد في الطبقات { 1/93 } : «و ضرارا و كان من فتيان قريش جمالا و سخاء و مات أيام أوحى الله إلى النبي «صلى الله عليه و آله» و لا عقب له» .

و جاء في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري { 1/97 } قال: «و ضرار بن عبد المطلب و أمه نتيلة أيضا مات حدثا قبل الإسلام» .

و جاء في كتاب الجوهرة في نسب النبي «صلى الله عليه و آله» و أصحابه العشرة للأديب الأندلسي محمد بن أبي بكر الأنصاري الشهير بالبري الذي ألفه عام 644 هـ يقول في { 1/44 } :

«ضرار بن عبد المطلب: و مات ضرار قبل الإسلام و لا عقب له» .

وهنا وضح كذلك أن ضرار بن عبد المطلب لم يكن موجودا وقت حادثة الإنذار .

أما المقوم بن عبد المطلب فهو نفسه عبد الكعبة كما قال بذلك الزهري في البداية و النهاية { 3/354 } : «والمقوم واسمه عبد الكعبة وقيل هما اثنان» .

وجاء في تاريخ ابن الوردي { 1/150 } : «وقيل عبد الكعبة هو المقوم» .

وفي كتاب الرحمة المهداة صفحة { 44 } : «و عبد الكعبة هو المقوم» .

وعلى ذلك نقول:

جاء في كتاب الجوهرة في نسب النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه العشرة للأديب الأندلسي محمد بن أبي بكر الأنصاري الشهير بالبري { 1/44 } : «المقوم بن عبد المطلب: و لم يدرك أيضا المقوم الإسلام، ولا عقب له» .

وجاء في أنساب الأشراف للبلاذري { 1/96 } : «عبد الكعبة درج صغيرا» .

وهنا نستفيد كذلك من هلاك المقوم {عبد الكعبة} وعدم حضوره حادثة الإنذار .

ثم نأتي الآن إلى قثم بن عبد المطلب على اختلاف في تسميته وإحاقه بعبد المطلب من عدمها:

جاء في الروض الأنف { 1/439 } : «قثم وقد مات صغيرا» .

ص: 179

و جاء في تاريخ ابن الوردي {1/150} : «وقثم مات صغيرا» .

وفي كتاب جمهرة النسب للكلبي صفحة {28} قال: «وقثم درج صغيرا» .

وفي كتاب نسب قريش صفحة {18} لأبي عبد الله المصعب الزبيري المتوفى سنة 236 هـ قال: «وقثم هلك صغيرا» .

و جاء في أنساب الأشراف للبلاذري {1/99} : «وقثم بن عبد المطلب هلك صغيرا» .

وهنا نستفيد كذلك من هلاك قثم وهو صغير وهذا دليل على عدم حضوره حادثة الإنذار .

أما الغيداق وحجل فقد جزم العلامة النسابة السيد جعفر الحسيني في كتابه مناهل الضرب صفحة {34} قال: «و الصحيح ما ذكرناه في كتابي رياض الأتقوان في أنساب قحطان وعدنان: أن حجل بن عبد المطلب اسمه المغيرة ولقبه الغيداق وعن غير واحد أنه لقب بذلك لجوده» .

وقال ابن الوردي في تاريخه: «و الغيداق وقيل هو حجل» .

وفي كتاب عيون المعارف للقاضي محمد سلامة الشافعي القضاعي المتوفى سنة 454 هـ قال في صفحة {174} تحت عنوان: ذكر أعمامه وهم تسعة: «و حجل ولقبه الغيداق لكثرة خيره» .

في كتاب الرحمة المهداة في صفحة {44} لعبد العزيز المدني ونور الإسلام شفيع السلفي: «غيداق المذكور في شجرة أولاد عبد المطلب الآتية هو حجل» .

و الزهري في البداية والنهاية لابن كثير {3/354} قال: «و الغيداق

و هو كثير الجود و اسمه نوفل و يقال: إنه حجل» .

و الغيداق و حجل سواء كانا رجلا واحدا أو رجلين فإنهما لم يكونا موجدين وقت حادثة الإنذار و هذا يتضح من خلال تأكيد ثلاثة مؤرخين: أن أعمام النبي «صلى الله عليه و آله» من أبناء عبد المطلب وقت بعثته كانوا أربعة فقط:

قال ابن قدامة في كتابه: التبيين في أنساب القرشيين صفحة { 76 } : «و لم يدرك الإسلام منهم إلا أربعة، حمزة و العباس و أبو طالب و أبو لهب، أسلم اثنان و كفر اثنان» .

و في كتاب المنمق في أخبار قريش صفحة { 21 } لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة 245 هـ يقول: «ففضل الله هاشما على إخوته ثم افترق بنو هاشم فرقا فدرجوا كلهم و انقرضوا و البقية منهم لعبد المطلب بن هاشم؛ فبعث الله نبيه «صلى الله عليه و آله» و له أربعة أعمام: حمزة و العباس و أبو طالب و أبو لهب، فاتبعه اثنان و خالفه اثنان؛ ففضل الله الفرقة التي تبعته على التي خالفته» .

و في كتاب ذخائر العقبى صفحة { 293 } لأبي العباس الطبري المتوفى عام 694 هـ حين ذكر أعمام النبي «صلى الله عليه و آله» قال: «و لم يدرك الإسلام منهم غير أربعة: أبو طالب و أبو لهب و حمزة، و العباس، و لم يسلم غير حمزة و العباس رضي الله عنهما» .

يبقى الآن لنا الأعمام الذين كانوا حاضرين للحادثة و بقوا إلى أن بعث النبي «صلى الله عليه و آله» ، و هم: أبو طالب و له أربعة أبناء، و أبو لهب و له ثلاثة أبناء، و العباس و له ابن واحد فقط عاصر الحادثة، و حمزة.

أما حمزة بن عبد المطلب «رضي الله عنه» فليس له من الذكور إلا اثنين: عمارة ويعلى، وهذان الذكران لم يكونا وقت الحادثة و ظاهر الأمر أنهما ولدا في المدينة بعد الهجرة أي بعد حادثة الإنذار لسببين:

الأول: جاء في كتاب سيرة آل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» {1/238} للدكتور حمزة النشرتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي والدكتور عبد الحميد مصطفى: «و تزوج حمزة امرأة من الأنصار من بني مالك بن عوف و أعقب منها عليا و كان يكنى به، و أعقب منها أيضا ولدا آخر اسمه عامر مات.

و يروى أنه تزوج امرأة أخرى من الأنصار اسمها خولة بنت قيس بن فهد الأنصارية من بني ثعلبة بن غنم بن مالك النجار و أعقب منها ولدا اسمه عمارة و به كان يكنى أيضا» .

و مصطلح لفظة الأنصار لم تنشأ و تستخدم و تطلق على الأوس و الخزرج في المدينة إلا بعد الهجرة النبوية.

الثاني: ما ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة عمارة بن حمزة بن عبد المطلب رقم الترجمة {6475} : «كان له و لأخيه يعلى عند وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» أعوام و لا أحفظ لواحد منهما رواية» .

و هذه قرينة أخرى تدل على أن عمارة و يعلى كانا صغيرين وقت وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» و أن حمزة «رضي الله عنه» لم يكن له أبناء حين وقوع حادثة الإنذار .

أخيرا:

بعد هذا العرض التاريخي البسيط نستفيد: أنه لم يكن حاضرا من أولاد

عبد المطلب سوى أربعة فقط، هم: العباس و أبو لهب و حمزة و أبو طالب. .

إضافة إلى عدد من أحفاد عبد المطلب كما نقلت لنا السيرة معاصرتهم للنبي «صلى الله عليه» في بداية دعوته بمكة المكرمة فعلى ذلك نقول:

1-العباس بن عبد المطلب.

2-الفضل بن العباس بن عبد المطلب-على صغره وقت الحادثة-إذ إن عبد الله بن العباس لم يدرك الحادثة! حيث إنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. .

3-أبو طالب-و اسمه عبد مناف-بن عبد المطلب.

4-طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب.

5-عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب.

6-جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب.

7-علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

8-نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

9-عبد الله-سابقا اسمه عبد شمس-بن الحارث بن عبد المطلب.

10-أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

11-ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

12-حمزة بن عبد المطلب و لم يكن له ولد في مكة كما بينا ذلك من قبل.

14-أبو لهب-و اسمه عبد العزى-بن عبد المطلب.

15-عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب.

16-معتب بن أبي لهب بن عبد المطلب.

17-عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب.

18-عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب.

خلاصة الأمر:

أن عدد بني عبد المطلب لم يبلغوا العشرين رجلا ولا يزيدون عنها بأي حال من الأحوال؛ فمن أين جاء الأربعون؟!

بل لم يبلغوا الأربعين رجلا في مدة حياة النبي «صلى الله عليه وآله»!!

الأمر الثاني: على نقد المتن هو قول الرواية: «فأيكم يؤازرنني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم» .

هذا الكلام غير صحيح؛ فذلك لأن مجرد الإجابة للشهادة والمؤازرة والمناصرة للدعوة والإسلام لا توجب الخلافة والوصاية، فالذين أجابوا الرسول «صلى الله عليه وآله» كثيرون، فقد أجاب النبي «صلى الله عليه وآله» من آل بيته مثلاً: جعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وأبو طالب- على قول الشيعة: إنه أجاب الرسول «صلى الله عليه وآله» للإسلام-إضافة إلى أن علياً «رضي الله عنه» كان صغيراً في ذلك الوقت حين بعث النبي «صلى الله عليه وآله» بل لم يرو ولم يعرف دفعا لعلي «رضي الله عنه» عن النبي «صلى الله عليه وآله» حال وجوده في مكة إلا ما وقع في مبيته في فراش النبي «صلى الله عليه وآله» عند هجرته. .

ص: 184

و جيد أن أنقل لكم قول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة {7/306} : «أن قوله للجماعة: «من يجيبني إلى هذا الأمر و يؤازرنى على القيام به يكن أخى و وصيى و خليفتي من بعدى» كلام مفترى على النبى «صلى الله عليه و آله» لا يجوز نسبته إليه، فإن مجرد الإجابة إلى الشهادتين و المعاونة على ذلك لا يوجب هذا كله، فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى هاتين الكلمتين و أعانوه على هذا الأمر و بذلوا أنفسهم و أموالهم في إقامته و طاعته و فارقوا أوطانهم و عادوا إخوانهم و صبروا على الشتات بعد الألفة و على الذل بعد العز و على الفقر بعد الغنى و على الشدة بعد الرخاء و سيرتهم معروفة مشهورة و مع هذا فلم يكن أحد منهم بذلك خليفة له» .

ثم قال شيخ الإسلام في موضع آخر {7/307} : «أن حمزة و جعفر و عبيدة بن الحارث أجابوا إلى ما أجابه علي - «رضي الله عنه» - من الشهادتين و المعاونة على هذا الأمر، فإن هؤلاء من السابقين الأولين الذين آمنوا بالله و رسوله في أول الأمر» . {انتهى كلام هذا المشكك} .

مناقشة ما تقدم:

إن التشكيكات التي أوردها هذا البعض حول حديث الإنذار، ليست جديدة علينا، فقد طرحها قبله ابن تيمية، و من هم في خطه.

و قد ذكر في هذا الكتاب بعض ما يفيد في دفع هذه المغالطات، و نعود فنقول: إن جميع ما ذكره لا يصح، و ذلك لما يلي:

1- لقد شكك هذا المعترض في أن يكون تعداد رجال بني عبد المطلب يبلغ الأربعين رجلاً آنئذ، و ذكر أن أبناء عبد المطلب كانوا أحد عشر

رجلا . . ولم يعدّ قثم في جملتهم . .

وزعم أن المقصود بالمقوم عبد الكعبة.

وأن المقصود بحجل المغيرة.

وأن المقصود بالغيداق نوفل . و قيل : حجل . .

ولا نريد أن نناقشه في زعمه هذا.

ثم ذكر: أن الحارث عم النبي «صلى الله عليه وآله» قد مات في حياة عبد المطلب نفسه، حين أراد عبد المطلب نحر الإبل: وكان عمر ابنه ربيعة حين مات أبوه الحارث ستين كما في أنساب الأشراف ج 1 ص 87.

وأن الزبير بن عبد المطلب مات قبل النبوة.

وأن ضرار بن عبد المطلب مات حدثا قبل الإسلام.

ولكن لنا كلام حول ضرار هذا سيأتي إن شاء الله.

وأن المقوم قد مات قبل الإسلام أيضا. وهو عبد الكعبة الذي مات صغيرا.

وأن قثم مات وهو صغير.

ثم استدل بما في ذخائر العقبى ص 293 و التبيين في أنساب القرشيين ص 76 و المنمق ص 21 من أنه لم يدرك الإسلام من أولاد عبد المطلب إلا أربعة هم: حمزة، و العباس، و أبو طالب، و أبو لهب. أسلم اثنان و كفر اثنان.

وبعد ما تقدم نقول:

إننا نحسب أن: عدهم لأبي طالب في جملة الكافرين لهو من الأمور الظاهرة الزيف، التي تحتاج إلى بيان، ولكننا نذكر القارئ بما يلي:

ص: 186

أولاً: إن ما أشار إليه من وجود اختلافات في أن يكون عبد الكعبة لقباً للمقوم أو أنه اسم رجل آخر . و الخلاف في أن يكون حجل هو الغيداق، أو رجل آخر . وكذلك الحال بالنسبة لنوفل-إن ذلك-يجعلنا لا نثق فيما ينقله هؤلاء المؤرخون من تحديدات لتاريخ موت و ولادة، و عدد أولاد، أو أحفاد هذا و ذاك.

و أما إذا كان يراد الإستناد إلى سكوت الراوي عن ذكر هذه الخصوصية أو تلك، فإن الأمر يصير أعقد و أشكل، لأن عدم ذكر المؤرخ أولاداً لبعض الناس، لا يدل على عدم وجود الأولاد له فعلاً .

ثانياً: إن ما ذكره هذا المشكك من أن للزبير بن عبد المطلب ابناً عاصر الحادثة غير دقيق، لأن له أبناء آخرين أيضاً، كان عليه أن يذكرهم، و هم بالإضافة إلى عبد الله:

1-الطاهر.

2-حجل.

3-قرة(1).

كما أنه لم يذكر أن للمقوم أولاداً، و هم:

4-بكر

5-عبد الله (2).

ص: 187

1- جمهرة أنساب العرب ص 17.

2- نفس المصدر.

وأن لحمزة ولدا اسمه:

6-يعلى.

وقد كناه به أخوه أبو طالب في شعره، حيث قال مخاطبا له:

فصبوا أبا يعلى على دين أحمدو كن مظهرها للدين وفقت ناصرا

بالإضافة إلى ابنه عامر.

و الاستدلال بكلمة {الأنصارية} في وصف زوجة حمزة، على أن حمزة قد تزوجها بعد الهجرة. . لا يفيد شيئا، فإن هذا الاصطلاح إنما جرى على السنة المؤلفين، الذين يريدون تحديد المرادات و المسميات في تعابيرهم، ولو بالاستعانة بالمصطلحات التي نشأت بعد الإسلام، أو بالمصطلحات التي قرروها هم، للتعبير عن مراداتهم.

كما أن هذا المشكك لم يذكر: أولاد نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وهم:

7-الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، الذي استعمله النبي «صلى الله عليه وآله» على بعض أعمال مكة (1).

8-عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

9-جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، الذي أسلم مع أبيه، و شهد حنيننا، و أدرك زمن معاوية (2).

ص: 188

1- الإصابة ج 1 ص 292 و 187 و الإستيعاب {مطبوع مع الإصابة} ج 1 ص 297 و جمهرة أنساب العرب ص 70.

2- الإصابة ج 1 ص 237 و الإستيعاب {مع الإصابة} ج 1 ص 213.

10-عبد الله {المعروف بأبي الهياج} بن سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (1).

11-أمية بن الحارث بن عبد المطلب (2).

12-المطلب {أبو عبد المطلب} بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. فإنه هو و الفضل بن العباس سألا رسول الله «صلى الله عليه و آله» أن يزوجهما، فأمر «صلى الله عليه و آله» بتزويجهما (3).

13-عبد شمس {سماه النبي «صلى الله عليه و آله» : عبد الله (4)} ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، مات بالصفراء، فدفنه النبي «صلى الله عليه و آله» ، و كفنه في قميصه (5).

ثالثا: إن هناك أشخاصا كثيرين، من أحفاد عبد المطلب أو من أبنائهم لم يسجل التاريخ إلا أسماءهم، أو سكت حتى عن ذكر الأسماء، فلا يمكن الجزم بنفي وجودهم، ولا بمقدار عمر من ذكر منهم، ولكن المحاسبات التاريخية لا تمنع من كونهم في زمن الحادثة كانوا في سن البلوغ أيضا، وإن لم يكن إثبات ذلك بالاعتماد على الدليل و الحجة، فمثلا، قد ذكر ابن حزم أسماء سبعة من أولاد ربيعة بن الحارث، لا نعرف عن أكثرهم شيئا، وهم:

ص: 189

1- جمهرة أنساب العرب ص 70 و الإصابة ج 2 ص 320.

2- جمهرة أنساب العرب ص 70.

3- الإصابة ج 2 ص 430 عن صحيح مسلم.

4- الإصابة ج 2 ص 427 و 292.

5- الإصابة ج 2 ص 292.

1-محمد.

2-عبد الله.

3-عبد شمس.

4-العباس.

5-عبد المطلب.

6-أمية.

7-الحارث (1).

و أمثال هؤلاء كثيرون، و الذين لم ترد أسماؤهم في كتب الأنساب و التراجم أكثر، و ما أكثر الناس الذين عاشوا و ماتوا في الجزيرة العربية، و لم يرد لهم ذكر في كتاب، و لا في رواية.

رابعاً: لقد ذكر هذا المستشكل: أن ضرارا لم يكن موجودا حين إنذار العشيرة. . مع أنه هو نفسه قد ذكر عن ابن سعد: أن ضرارا قد مات أيام أوحى إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» (2).

فكيف جزم هذا المستشكل بأنه قد مات قبل النبوة؟ !

خامساً: إنه تارة يقول: إنه مات أيام أوحى إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و تارة يقول: إنه مات حدثا قبل الإسلام. .

ألف: إذا كان النبي «صلى الله عليه و آله» قد بعث بعد موت عبد

ص: 190

1- جمهرة أنساب العرب ص 70.

2- الطبقات الكبرى ج 1 ص 93.

المطلب بحوالي اثنين و ثلاثين سنة، و كان موت ضرار أيام أوحى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن معنى ذلك: أن عمره لو كان قد ولد سنة وفاة أبيه هو حوالي اثنين و ثلاثين سنة.

فكيف يكون حين موته غلاما حدثا؟!

ب: إذا كان حين موته غلاما حدثا؛ فما معنى قول ابن سعد عنه: إنه «كان من فتيان قريش جمالا و سخاء»؟ (1).

سادسا: إن أبناء عبد المطلب كلهم قد ولدوا و أصبحوا رجالا قبل موت أبيهم، لأنهم يقولون: إن عبد المطلب «عليه السلام» «قد نذر: لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، ليزبحن أحدهم لله عند الكعبة، فلما تكامل بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، وهم: الحارث والخ.». (2). أراد أن يفى بنذره بذبح عبد الله. .

و معنى ذلك: أن أولاد عبد المطلب إلى حين بعثة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» كانوا قد بلغوا في أعمارهم إلى ما بين الستين و السبعين سنة، فلا بد أن يكونوا قد تزوجوا و ولد لهم أولاد، و مات عدد منهم، و بقي أولادهم هؤلاء، ليحضروا مناسبة إنذار العشيرة.

ص: 191

1- المصدر السابق.

2- البداية و النهاية {ط دار إحياء التراث العربي سنة 1413 هـ} ج 2 ص 306، و راجع: السيرة النبوية لابن هشام {ط سنة 1413 هـ} ج 1 ص 151، و السيرة الحلبية {ط دار إحياء التراث العربي} ج 1 ص 35 و 36 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 174 و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 26 و شرح المواهب للزرقاني ج 1 ص 174.

سابعاً: قول التلمساني: إن المقوم لا عقب له، لا يراد به: أنه لم يعقب أصلاً، بل المراد: أن عقبه قد انقرض و انقطع، وقد قال ابن حزم: «ولد المقوم بن عبد المطلب بكر، و عبد الله، فولد بكر بن المقوم عبد الله. و لا عقب للمقوم» (1).

و هذا معناه: أنه يقصد أنه لا عقب للمقوم باقياً. . ويشهد لذلك قول ابن حزم أيضاً عن أولاد عبد المطلب: «فلم يعقب أحد منهم عقبا باقيا إلا أربعة: العباس، و أبو طالب، و الحارث، و أبو لهب» (2).

ثامناً: قول هذا المستشكل عن المقوم-الذي هو عنده عبد الكعبة بن عبد المطلب-إنه هلك صغيراً، و كذلك قوله عن قثم بن عبد المطلب: مات صغيراً. . لا يمكن قبوله حسبما قدمناه حول نذر عبد المطلب. .

فإذا ثبت أنهم كانوا كباراً، فإن موتهم، و كذلك موت إخوتهم في الجاهلية لا يعني أنهم لم يتزوجوا، و لم يولد لهم أولاد، يحضرون مناسبة إنذار العشيرة.

فعدم حضور الغيداق و الحارث، و غيرهما من أبناء عبد المطلب للمناسبة لا يضر، و لا يثبت أن الحاضرين كانوا أقل من أربعين رجلاً، لجواز أن يكون أبناؤهم و أحفادهم قد حضروها. .

تاسعاً: إن الروايات قد صرحت بحضور آخرين من بني هاشم في تلك المناسبة. . و لا مانع من أن يتصرف الرواة ببعض الكلمات سهواً، أو

ص: 192

1- جمهرة أنساب العرب ص 17.

2- جمهرة أنساب العرب ص 15.

لأجل عدم تعلق أغراضهم بالتدقيق فيها. . أو لغير ذلك من أسباب، ولا يضر ذلك في الرواية، ولا يسقطها عن الاعتبار. .

ولعل بعض الرواة قد أجرى الكلام على سبيل التغليب، حين رأى أن بني عبد المطلب كانوا هم الأكثر عدداً، في تلك المناسبة، وأن غيرهم لا يكاد يلتفت إليهم بسبب قلة عددهم. .

بل ربما يقال: إن ما صرحت به الروايات الأخرى من التعميم لبني عبد المطلب تارة ولبني هاشم أخرى، يصلح قرينة على أن كلمة {عبد} مقحمة في الكلام سهواً، وأن المقصود هو بنو المطلب، فيشمل الأمر عبيدة بن الحارث بن المطلب الشهيد في حرب بدر، وغيره. . ولا أقل من كون ذلك قرينة على إرادة التغليب، إن كانت كلمة {عبد} مذكورة في الكلام عمداً. .

وعلى كل حال: فإن هناك روايات تقول: دعا بني هاشم (1).

وروايات أخرى تقول: دعا بني عبد المطلب ونفرا من بني المطلب (2).

هذا كله بالنسبة لما أورده المستشكل حول عدد الحاضرين في تلك

ص: 193

-
- 1- كما في السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 459 عن ابن أبي حاتم وكذا في البداية والنهاية ج 3 ص 40، راجع كنز العمال ج 15 ص 113، و مسند أحمد ج 1 ص 111 و تفسير ابن كثير ج 3 ص 350 وابن عساكر ترجمة الإمام علي بتحقيق المحمودي ج 1 ص 87، و إثبات الوصية للمسعودي ص 115، و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 27، و مسند البزار مخطوط في مكتبة مراد رقم 578.
 - 2- الكامل لابن الأثير ج 2 ص 62 ط صادر.

و أما بالنسبة لما أورده حول دلالة هذا الحديث، فهو أيضا غير صحيح، إذ يرد عليه:

أولاً: إن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» لم يعلق أمر الخلافة بعده على مجرد النطق بالشهادة والمؤازرة والمناصرة في الجملة، بل علقها على المؤازرة التامة في الدين، في جميع الموارد والأحوال. . وهذا يحتاج إلى أعلى مراتب الكمال، والتضحية والجهد، والعلم والوعي، والسمو الروحي، وقد أظهرت الوقائع أن الذي ينصر النبي «صلى الله عليه وآله» هو خصوص علي أمير المؤمنين «عليه السلام». .

و إجابة غير علي من المؤمنين لم تكن تامة وشاملة، حتى لقد فروا عن النبي «صلى الله عليه وآله» في كثير من الوقائع والأحداث، خصوصاً في أحد، و حنين، و خيبر، و غير ذلك.

و ما ذكره ابن تيمية عن نصرته المؤمنين له «صلى الله عليه وآله» لا يفيد أنهم قد بلغوا في نصرته ما يستحقون به ذلك المقام.

ثانياً: إن مؤازرة علي «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة، كانت حاصلة، من حيث أن حديث الإنذار نفسه يفيد أن هذه النصرته قد حصلت، وذلك حين وافق النبي «صلى الله عليه وآله» على اتخاذه وزيراً، وأخاً، ووصياً في ذلك اليوم، ولم يزل يؤكد على ذلك في المناسبات المختلفة، خصوصاً تأكيدات «صلى الله عليه وآله» على ذلك في تبوك، حين أطلق: كونه منه بمنزلة هارون من موسى. . ثم حسم الأمر في غدير خم في حجة الوداع وفي غير ذلك من مناسبات. .

وعدم بلوغ كفيات و مفردات هذه النصرة لنا لا يدل على عدم حصولها بالفعل.

ثالثا: إن نفس هذا الموقف في حديث الإنذار كان النبي «صلى الله عليه وآله» بأمر الحاجة إلى النصرة فيه، فإذا أحجموا عن بذلها له في هذا الموقف، فإنهم استحقوا الحرمان من مقام الأخوة والإمامة والوصاية، حتى لو بذلوا ما بذلوا بعد ذلك، مما شاركهم فيه علي «عليه السلام»، وزاد عليهم فيه. .

أي أن حمزة و جعفر، و عبيدة بن الحارث، لم يجيبوا إلى ما أجاب إليه علي «عليه السلام» في ذلك اليوم، و سكتوا، و لم ينصروا النبي «صلى الله عليه وآله» في يوم الإنذار أمام عشيرته الأقربين، رغم أنه كان بأمر الحاجة إلى ذلك. .

رابعا: إن جعفر، و حمزة، و عبيدة بن الحارث، و أبا طالب. . إن فرض أنهم كانوا جميعا قد أسلموا آنذا، فإنهم قد لا يرون أنهم أهل لمقام خلافة النبوة لأسباب يعرفونها في أنفسهم و حالاتهم. و لعل بعضهم كأبي طالب، أو كلهم، لم يكن يأمل بالبقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله» أو لغير ذلك من أسباب، جعلتهم يرون: أن المقصود بالخطاب سواهم. .

وبعد أن أنذر «صلى الله عليه وآله» عشيرته الأقربين، وبعد أن انتشر أمر نبوته «صلى الله عليه وآله» في مكة، بدأت قريش تتعرض لشخص النبي «صلى الله عليه وآله» بالاستهزاء والسخرية، وأنواع التهم، كما يظهر؛ إذ أنهم قد عرفوا جدية القضية، وأدركوا أبعادها.

فبادروا إلى تلك الأساليب بهدف الحط منه «صلى الله عليه وآله» أمام الرأي العام، وابتذال شخصيته، على الرغم من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يتبع سبيل الحكمة والهدوء، حين يطلع بعض الناس على دعوته وما جاء به، كل ذلك حسدا وبغيا منهم، وتخوفا من المستقبل، ليس إلا.

وكان لذلك الاستهزاء تأثير على إقبال الناس على الدخول في الإسلام؛ فاغتم النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك جدا، واعتبر ذلك عائقا في سبيل انتشار دعوته، وأداء مهمته.

فأنزل الله عليه قرآنا، يأمره بإظهار الدعوة، والطلب من كل أحد، حتى من جبابرة قريش، ومن جميع القبائل والفئات: أن تسلم لربها، مشفوعا ذلك بوعد أكيد، بأن الله سوف يكفيه المستهزئين؛ فيجب أن لا يهتم لهم، وأن يتجاهلهم، وذلك حين نزل قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (1).

هذا إذا كان المقصود أنه سوف يكفيه أولئك الذين صدر منهم فعل الاستهزاء.

أما إذا كان المراد: من سوف يصدر منهم هذا الأمر، فإن الآية لا تكون ناظرة إلى ما سبق كما هو ظاهر لا يخفى.

وقد بين الله تعالى له: خطة العمل المستقبلية، فأمره أن يأخذ بالصفح الجميل، وبالإعراض عن المشركين، وأن لا يحزن عليهم، ولا يضيق صدره بما يقولون؛ فإن جزاءهم على الله المطلع على كل صغيرة وكبيرة.

فامتثل النبي «صلى الله عليه وآله» أمر الله، وأظهر دعوته، وطلب من الناس جميعا: أن يسلموا لربهم.

ويقولون: إنه قام على الحجر، فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأمركم بخلع الأنداد والأصنام؛ فأجيبوني تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكا في الجنة، فاستهزؤوا به، وقالوا: جن محمد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب (2).

وجاء أيضا: أنه «صلى الله عليه وآله» قام على الصفا، ونادى قريشا؛ فاجتمعوا له، فقال لهم: رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم، وما

ص: 200

1- الآيتان 94 و 95 من سورة الحجر.

2- راجع: تفسير نور الثقلين ج 3 ص 34 عن تفسير القمي.

جربنا عليك كذبا قط.

فقال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (1).

إلى أن قال:

فنهض أبو لهب، وصاح به: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعت الناس؟ و تفرقوا عنه، فأنزل الله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (2) إلى آخر السورة.

المفاوضات الفاشلة:

إشارة

قال ابن إسحاق وغيره: فلما بادی رسول الله «صلى الله عليه وآله» قومه بالإسلام، و صدع به، كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، و لم يردوا عليه-فيما بلغني- حتى ذكر آلهتهم و عابها، فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه، و أجمعوا على خلافه و عداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، و هم قليل مستخفون.

و حذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمه أبو طالب، و منعه، و قام دونه، و مضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أمر الله مظهرا لا يرده شيء.

فلما رأت قريش: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعتبهم من

ص: 201

1- الآية 46 من سورة سبأ.

2- الآية 1 من سورة المسد. هذا الحديث يرويه المفسرون و رواه السيوطي في الدر المنثور، و كذلك المؤرخون من غير الشيعة حين الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين، و لكن قد بينا: أن المقصود ليس هو مطلق عشيرته في الآية بل عشيرته الأقربون ليس إلا؛ فالرواية تناسب قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ فقط.

شيء أنكره عليه، من فراقهم، وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم، حاولوا مفاوضة أبي طالب.

وهذه المفاوضات-كما يرى ابن إسحاق وغيره-قد مرت بثلاث مراحل، انتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: إنه مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب.

فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الثانية: إنهم حين رأوا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استمر على ما هو عليه، يظهر دينه، ويدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه وبينهم، وحتى تباعد الرجال، وتضاغنوا، وأكثر قريش ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينها، ذهبوا إلى أبي طالب، فتهددوه: إن لم يكف ابن أخيه عن شتم آبائهم، وتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه وإياه حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبو طالب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبره، وطلب إليه أن يبقى على نفسه وعليه، ولا يحمله ما لا يطيق، فظن أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه، فقال له «صلى الله عليه وآله»:

يا عم، والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته، فوعده أبو طالب النصر.

الثالثة: عرضوا على أبي طالب: أن يتخذ عمارة بن الوليد ولدا له، ويسلمهم النبي «صلى الله عليه وآله»، الذي فارق دين أبي طالب ودين آبائه، وفرق جماعتهم وسفه أحلامهم ليقتلوه، فإنما هو رجل برجل.

فقال أبو طالب: والله، لبئس ما تسوموني أعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيك ابنني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدا.

فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب، لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه؛ فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا.

فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم علي؛ فاصنع ما بدا لك.

أو كما قال: فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنازذ القوم، وبأدى بعضهم بعضا (1).

وربما تكون هذه المراحل متداخلة، أو مترتبة، فإن ما ذكرناه لا يعدو عن أن يكون فهما منا للسير الطبيعي للأحداث-لا أكثر ولا أقل-و قبل المضي في الحديث؛ نسجل النقاط التالية:

أ-قريش لم تصل إلى نتيجة:

لقد رأينا: أن مشركي مكة ما كانوا يرغبون بادئ ذي بدء في توريط أنفسهم في مواجهة أبي طالب والهاشميين؛ فحاولوا أن يحملوا أبا طالب نفسه على حسم الموقف، والقضاء على ما يعتبرونه مادة متاعبهم، ومصدر

ص: 203

1- راجع: سيرة ابن هشام ج 1 ص 282-286، و البدء والتاريخ ج 4 ص 147 و 149 و تاريخ الطبري ج 2 ص 65-68.

مخاوفهم، و حاولوا أن يثيروا هذا الرجل، و يشحنوه نفسيا ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح و يجرح كرامة و عاطفة عمه نفسه، فضلا عن غيره، و لذا، فإن من الطبيعي أن يبادر أبو طالب نفسه لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، و يكفيهم مؤونة ذلك.

و لكنهم حينما وجدوا: أن أبا طالب لم يستجب لأي من أباطيلهم، و لم يحرك ساكنا في سبيل وضع حد لمصدر الخطر عليهم و على مصالحهم، لجأوا إلى التهديد و الوعيد، ثم إلى أسلوب المكر و الخداع كما في قضية عرض عمارة على أبي طالب ليتخذها ولدا، و يسلمهم محمدا ليقتلوه، الأمر الذي كشف عن حقيقة ما يكنونه في صدورهم، و تشتمل عليه نفوسهم و اتضح لأبي طالب و لغيره أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، و إطفاء نور الله، الأمر الذي زاد في تصلب أبي طالب في الدفاع عن الحق و الدين، و عن نبي الإسلام الأعظم «صلى الله عليه و آله» .

ب: سر استكبار قريش:

و لعل سر استكبار مشركي مكة، و محاولاتهم إطفاء نور الله تعالى يرجع إلى:

1-أنهم كانوا يستغلون أولئك الفقراء، و العبيد، و الضعفاء في مكة و غيرها في مصالحهم؛ فجاء الرسول «صلى الله عليه و آله»، و بث في هؤلاء الفقراء روحا جديدة، و بدأ يؤكد لهم مفهوم كرامة الإنسان، و حريته.

ثم هو يناصرهم، و يعيش قضيتهم و آلامهم، و يفتح أعينهم على واقعهم، و يبيث فيه تعاليم الإسلام، و في مقدمتها وجوب تحررهم من سيطرة و غطرسة أولئك الطغاة المتجبرين.

2- لقد أدرك أولئك المتجبرون، مما عرفوه من طبيعة الدعوة وأهدافها: أنهم سوف لن يتمكنوا في ظلها من الاحتفاظ بتلك الامتيازات الظالمة، التي جعلوها لأنفسهم؛ والتي كان يرفضها النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، ويؤكد على أن الناس كلهم سواسية أمام عدالة السماء، وفي ميزان الحكم والقضاء.

و سوف لن يتمكنوا أيضا في ظل هذا الدين الجديد، الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق؛ من الاستمرار في ممارساتهم اللاأخلاقية، و اللاإنسانية أيضا، والتي كانوا يحرصون عليها كل الحرص، أكثر من حرصهم على آلهتهم التي كانوا يدعون إنهم يحافظون عليها، مع أننا رأينا بعض العرب يأكل إلهه الذي صنعه من الحيس حين جاع!! (1).

3- ما أشارت إليه الآية الكريمة: وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تُتَخَطَّفُ مِنَّا (2) أي إنهم اعتذروا عن عدم إيمانهم: بأنهم إن آمنوا فإن العرب المشركين سوف لا- يرضون بإيمانهم، ورفض أوثانهم، فرد عليهم القرآن، فقال: أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا (3)، فلا موجب إذن لخوفهم هذا.

مع أن اختيارهم الشرك خوفا من ذلك لا يمنع ذلك؛ فكم أهلك الله

ص: 205

1- الأعلام النفيسة: ص 217، و الحيس: هو تمر ينزع نواه و يدق مع أقط و يعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثرید. مجمع البحرين: ج 4 ص 64.

2- الآية 57 من سورة القصص.

3- الآية 57 من سورة القصص.

من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم.

بل ربما كان ذلك هو سبب هلاكهم في الدنيا، حيث ينشأ عنه المنازعات والاستكبار، وغير ذلك من انحرافات مدمرة للمجتمعات و للأمم، إن لم يكن ثمة ضوابط وروادع معينة تجعل كل تلك الإمكانيات في مجراها الصحيح، وفي الجهة النافعة للفرد و للمجتمع، حاضرا و مستقبلا. على أن الأمر لله تعالى فليس لأحد أن يتمرد عليه، ويخرج على أوامره، فإنه يعرض نفسه و الحالة هذه إلى الهلاك الدنيوي و الأخروي، ثم ضرب لهم مثالا بقارون، الذي كان لديه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فلما استكبر و طغى، و تمرد على أوامر الله، خسف الله به و بداره الأرض.

وفي آيات السورة-سورة القصص-دقائق عجيبة و معان رائعة في هذا المجال، تحتاج إلى دراسة مستقلة و معمقة، لا مجال لها هنا.

ونكتفي هنا بهذه الإشارة الإجمالية إليها، و الله هو الموفق و المعين.

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

و بعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبي طالب: أن السيل قد بلغ الزبي، و أنه على وشك الدخول في صراع مكشوف مع المشركين، فلا بد من الحذر و الاحتياط للأمر؛ فجمع بني هاشم، و بني المطلب، و دعاهم إلى منع الرسول، و القيام دونه، فأجابوه، و قاموا معه، باستثناء أبي لهب لعنه الله تعالى، و منع الله عز و جل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضروه في شعره و بشره سبيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، و السحر، و الكهانة، و الشعر، و القرآن ينزل عليه «صلى الله عليه و آله» بتكذيبهم.

ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قائم بالحق، ما يثنيه ذلك عن الدعاء إلى الله عز وجل سرا و جهرا.

وذلك لأن المشركين بعد أن أدركوا: أن الاعتداء على شخصه «صلى الله عليه وآله» سوف يتسبب في صراع مسلح لم يعدوا له عدته، و ليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصا مع ما كان لبني هاشم من علاقات، و من أحلاف مع القبائل، كحلف المطيين، و حلف عبد المطلب مع خزاعة التي كانت تقطن خارج مكة.

بل قد توجب هذه الحرب-لوشئت-التمكين لمحمد «صلى الله عليه وآله» من نشر دعوته (1).

فمن أجل كل ذلك أثر المشركون أن يتعدوا عن الحرب، و يتبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد «صلى الله عليه وآله» ، و الوقوف في وجه دعوته؛ فنجدهم:

أ-ينهون الناس عن الالتقاء بالنبي «صلى الله عليه وآله» ، و عن أن يسمعو ما جاء به من قرآن، قال تعالى: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ . (2).

وقال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ

ص: 207

-
- 1- و يرى بعض المحققين: أن من المحتمل: أن أبا طالب كان يستعمل أسلوب اللين تارة و الشدة أخرى؛ بهدف إثارة حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النبي من نشر دعوته، كما أشير إليه.
 - 2- الآية 26 من سورة الأنعام.

لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (1).

ب: يتبعون أسلوب السخرية والاستهزاء، وإصاق التهم الباطلة، بهدف:

1- التأثير على شخص النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» علّه ينهزم نفسياً، وجعله يعيش عقدة الحقارة والضعفة، فلربما يتخلى عن هذا الأمر، ويكذب نفسه.

2- الحط من كرامة النبي «صلى الله عليه وآله»، وابتذال شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفة من متابعته، وصرْفهم عن الدخول فيما جاء به.

ولهذا نجدهم: يغرون سفهاءهم بإيذائه وتكذيبه، وأحياناً كان يتولى ذلك منه سادتهم وكبرائهم، بل لقد رأيناهم يأمرّون غلاماً منهم بأن يلقي عليه سلاً جزور وفرثه، وهو قائم يصلي، فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبو طالب، ويأتي فيمر السلاً على سبالهم جميعاً، وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم (2).

وكانوا أيضاً يلقون عليه التراب (3)، ورحم الشاة (4)، وغير ذلك.

ص: 208

1- الآية 26 من سورة فصلت.

2- الكافي: ج 1 ص 449 نشر مكتبة الصدوق، ومنية الراغب: ص 75. وراجع: الغدير: ج 7 ص 359 و 388 و ج 8 ص 4، وأبو طالب مؤمن قريش: ص 73 عن مصادر كثيرة.

3- راجع: السيرة الحلبية: ج 1 ص 291 و 292، والسيرة النبوية لدحلان {بهامش الحلبية}: ج 1 ص 208 و 202 و 231.

4- راجع: البداية والنهاية: ج 3 ص 134.

وقد أثر ذلك إلى حد ما في صرف الناس، وإبعادهم عن الدخول في الإسلام، حتى ليقول عروة بن الزبير وغيره:

«.. وكرهوا ما قال لهم، وأغروا به من أطاعهم؛ فانصفق عنه عامة الناس» (1).

المعذبون في مكة:

كما أنهم قد تذاَمروا بينهم على من في القبائل منهم، من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ويعذبونهم بالحبس، والضرب، والجوع، ورمضاء مكة، وبغير ذلك من الأساليب الوحشية، واللاإنسانية.

مع المعذبين أيضا:

وقد عذب المشركون عددا من المسلمين؛ فعذب عمر بن الخطاب، الذي أسلم قبيل الهجرة جارية بني مؤمل -حي من بني عدي- وكانت مسلمة؛ فكان يضربها، حتى إذا مل، قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة (2).

ولعل بني مؤمل كانوا قد سمحوا لعمر بن الخطاب أن يتولى تعذيب جارياتهم، وإلا فإن وضعه الاجتماعي لم يكن يسمح له بأمر من هذا القبيل.

وعذب المشركون أيضا خباب بن الأرت، وأم شريك، ومصعب بن

ص: 209

1- تاريخ الطبري: ج 2 ص 68.

2- سيرة ابن هشام: ج 1 ص 341، و السيرة الحلبية: ج 1 ص 300، وراجع: السيرة النبوية لابن كثير: ج 1 ص 493، و المحبر: ص 184.

عمير، وغيرهم ممن لا مجال لذكرهم، وبيان ما جرى عليهم.

وقد ضرب هؤلاء لنا المثل الأعلى في الصمود والجهاد من أجل المبدأ والعقيدة، مع معرفتهم بأنهم لا يملكون قوة تستطيع أن ترد عنهم، غير إرادة الله تعالى، وأنهم إنما يتحدثون بإسلامهم العالم كله، الذي كان بكل ما فيه ضدهم.

وهنا تكمن عظمتهم، وهذا هو سر امتيازهم على غيرهم.

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر:

و ممن عذب في سبيل الله بلال الحبشي، وعامر بن فهيرة، ويقولون: إن أبا بكر قد اشتراهما وأعتقهما، فكانت نجاتهما من العذاب بسببه. ولكننا نشك في أن يكون أبو بكر هو الذي اشتراهما، وذلك:

أولاً: لما ذكره الإسكافي، الذي قال: «أما بلال، وعامر بن فهيرة، فإنما أعتقهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، روى ذلك الواقدي، وابن إسحاق» (1).

وعدّ ابن شهر آشوب بلالا من موالي النبي «صلى الله عليه وآله» (2).

ثانياً: إنهم يروون روايات متناقضة في هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقي رواية مع أخرى، ويكفي أن نذكر اختلافها في الثمن الذي أعطاه أبو بكر.

فرواية تقول: إنه أعطى ثمنه غلاماً له أجلد منه.

ص: 210

1- راجع: شرح النهج للمعتزلي: ج 13 ص 273، وقاموس الرجال: ج 5 ص 196 و ج 2 ص 238.

2- المناقب لابن شهر آشوب: ج 1 ص 171.

وأخرى: إنه أعطى غلاما وزوجته، وابنته، و مائتي دينار.

و ثالثة: اشتراه بسبع أواق.

ورابعة: بتسع.

وخامسة: بخمس.

وسادسة: برطل من ذهب.

وسابعة: إنه اشتراه بعبده قسطاس، الذي كان صاحب عشرة آلاف دينار، و جوار، و غلمان، و مواش.

و ثامنة: ببردة، و عشر أواق من فضة، إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف و التناقض (1).

ثالثا: إنهم يقولون: إن قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (2) نزل في أبي بكر بهذه المناسبة (3).

و نقول:

أ-لقد رد الإسكافي على ذلك: بأن هناك من يقول: إن هذه الآية نزلت

ص: 211

-
- 1- راجع ما تقدم في: السيرة الحلبية: ج 1 ص 298 و 299، وقاموس الرجال: ج 1 ص 216، و سير أعلام النبلاء: ج 1 ص 353، و السيرة النبوية لابن هشام: ج 1 ص 340، و حلية الأولياء: ج 1 ص 148، و غير ذلك كثير.
 - 2- الآيات 5 إلى 7 من سورة الليل.
 - 3- الدر المنثور ج 6 ص 358-390 عن عدد من المصادر و السيرة الحلبية ج 1 ص 299، و شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 273 عن الجاحظ و العثمانية ص 35.

ويروي الشيعة: أن الآية نزلت في علي «عليه السلام». و يورد الحلبي عليهم: بأن عليا «عليه السلام» كان للنبي «صلى الله عليه وآله» عليه نعمة تجزى، وهي تربيته له، و الآية تقول: وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (2) وبمثل ذلك أورد الرازي عليهم أيضا (3).

ولكن قد فات الرازي والحلي: أن المقصود هو أن هذا المال الذي ينفقه لا يريد أن يجازي بإنفاقه له نعمة من أحد عليه، وإنما ينفقه لوجه الله، ولوجه الله فقط، لا أنه تعالى يريد وصف الأتقى بأنه ليس لأحد عليه نعمة.

ب-قد ورد: عن ابن عباس وغيره، و حتى عن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، تفسيرها بمعنى عام لا يختص بأحد فراجع كتب التفسير للاطلاع على ذلك.

ج-وأخرج ابن أبي حاتم ما ملخصه: أن هذه السورة قد نزلت في رجل { هو سمرة بن جندب } الذي كان له نخلة فرعها في دار رجل، فكان إذا جاء ليأخذ عنها التمر، و صعد عليها ربما تقع ثمرة، فيأخذها صبيان الفقير؛ فينزل من نخلته؛ فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه، حتى يخرج ثمرة من فيه؛ فشكاه الفقير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم لقي الرسول صاحب النخلة؛ فطلب منه أن يعطيه

ص: 212

1- شرح النهج ج 13 ص 273.

2- الآية 19 من سورة الليل.

3- السيرة الحلبية ج 1 ص 299.

النخلة وله مثلها في الجنة، فقال:

لقد أعطيت، وإن لي نخلا كثيرا، وما فيه نخل أعجب إلي ثمرة منها.

فسمع رجل ما دار بين النبي وبينه؛ فجاء إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» فقال: أعطني ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها؟

قال: نعم.

فذهب الرجل، ولقى صاحب النخلة، وفاوضه واشتراها منه بأربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبي، فوهبها له.

فذهب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك ولعِيالك، فأنزل الله: وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ (1).

ولأجل هذا نجد السيوطي يقول عن: «سورة الليل: الأشهر أنها مكية؛ وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة، كما أخرجناه في أسباب النزول» (2).

وهذه القضية هي المناسبة للآيات؛ لأنها تذكر أن بعضهم أعطى و اتقى، وبعضهم بخل واستغنى.

إلا أن يكونوا-و العياذ بالله-يقصدون بمن بخل النبي «صلى الله عليه

ص: 213

1- الدر المنثور ج 6 ص 357 عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وتفسير البرهان ج 4 ص 470 عن علي بن إبراهيم، باختلاف مع ما عن الدر المنثور. وستأتي بقية المصادر في حرب أحد في فصل: قبل نشوب الحرب، حين الكلام حول إرجاع الصغار، والريب فيما ينقل عن سمرة.

2- الإتيان: ج 1 ص 14.

وآله» نفسه، مع أن فرض عدم مال له ينافي صدق البخل عليه.

و يشير إلى عدم المال عنده قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي قال: لو كان عنده مال لاشرى بلالا، أو يقصدون بمن بخل، العباس، الذي تقول الروايات: إنه ذهب فاشترى بلالا، فأرسله إلى أبي بكر، فأعتقه.

د-لسوف يأتي إن شاء الله في حديث الغار، قول عائشة: إنه لم ينزل في آل أبي بكر شيء من القرآن، إلا أن الله أنزل عذرهما، يعني الآيات المرتبطة بالإفك، و حتى عذرهما هذا؛ فإنه لم ينزل فيها، كما حققناه، فراجع (1).

رابعا: لم نفهم معنى قوله «صلى الله عليه وآله» إنه لو كان عنده مال لاشرى بلالا، وكيف نوفق بين هذا وبين قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» طلب من أبي بكر الشركة في بلال فأخبره أنه أعتقه؟! (2).

ثم أو ليست أموال خديجة تحت تصرفه «صلى الله عليه وآله»؟! ألم يكن هو الذي ينفق على المسلمين في مكة، كما قالت أسماء بنت عميس لعمر حينما غيرها بأنها لا هجرة لها، حيث قالت له:

إنه و من معه من المسلمين كانوا مع رسول الله يطعم جائعهم، ويعلم جاهلهم؟! (3).

وستأتي هذه القضية في موضعها إن شاء الله، و احتمال أن تكون قصة

ص: 214

1- راجع: كتابنا حديث الإفك، و راجع أيضا الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب.

2- طبقات ابن سعد: ج 3 ص 165.

3- تقدمت من المصادر لذلك في الجزء السابق من هذا الكتاب في آخر فصل: بحوث تسبق السيرة.

بلال في أواخر سني ما قبل الهجرة، لا يقبل به المؤرخون؛ فإن النووي يذكر: أنه أسلم أول النبوة، وهو من أول من أظهر إسلامه (1).

إلا أن يقال: إن إسلامه، وإن كان متقدماً، لكن شراؤه وعتقه يمكن أن يتأخر عدة سنوات.

هذا كله عدا عما تذكره بعض الروايات من أن العباس هو الذي ذهب فاشتراه، ثم أرسله إلى أبي بكر فأعتقه! (2).

وروايات أخرى تقول: بل اشتراه نفس أبي بكر مباشرة، وأعتقه.

وفي بعض الروايات: أنه لما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال بلال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فذرني (3).

وهذا يشير إلى أنه لم يكن قد أعتقه حتى وفاته «صلى الله عليه وآله» !! .

وبالنسبة لشراء العباس له؛ فإن العباس إن كان قد اشتراه لنفسه، فلماذا لم يعتقه هو نفسه؟

وإن كان إنما اشتراه لأبي بكر فلا ندري: متى كان العباس وكيلاً لأبي بكر؟

ومتى كان العباس يهتم بأمور كهذه، وهو الذي لم يسلم إلا عام الفتح، أو في بدر، كما يقولون؟ .

ص: 215

1- تهذيب الأسماء واللغات: ج 1 ص 136.

2- السيرة النبوية لدحلان: ج 1 ص 126، والسيرة الحلبية: ج 1 ص 299، وراجع: المصنف: ج 1 ص 234 وغيره.

3- طبقات ابن سعد: ج 3 ص 170.

و حاول بعضهم أن يدعي: أن العباس فاوض أمية بن خلف، ثم جاء أبو بكر فاشتراها! (1) وهذا أعجب!! وما عشت أراك الدهر عجباً!! .

وأيضاً، فإن حالة أبي بكر الإقتصادية لم تكن تسمح له بأن يدفع تلك المئات من الدنانير، فضلاً عن أن يكون أحد مواله يملك عشرة آلاف دينار، و جوارى، و مواشي، و غير ذلك، لو فرض أن العرب كانوا يملكون عبيدهم الأموال، حيث إن أبا بكر لم يكن تاجراً، وإنما كان معلماً، فمن أين تأتية تلك الآلاف أو حتى المئات من الدراهم و الدنانير لشراء سبعة أو تسعة وإعتاقهم؟!

و لسوف يأتي إن شاء الله البحث عن ثروة أبي بكر حين الكلام حول قضية الغار، بل لقد شك البعض في أن يكون كثير ممن ذكروا في مواله شخصية حقيقية أو خيالية، و لا سيما مثل «زنيرة» ، التي قال السهيلي عنها: «و لا تعرف زنيرة في النساء» (2).

و يقول العلامة السيد الحسنى: «إن قريشا كانت تعذب من آمن؛ من أجل أن لا ينتشر الإسلام، و كانت تود أن تبذل لمحمد كل غال و نفيس، ليتراجع عما جاء به، و دعا إليه؛ فكيف تتنازل قريش عن ملكيتهم لأبي بكر، و تترك تعذيبهم بهذه السهولة»؟! (3).

ص: 216

1- السيرة النبوية لدحلان: ج 1 ص 126، و السيرة الحلبية: ج 1 ص 299، و راجع المصنف للصنعاني ج 1 ص 234، و غيره.

2- الروض الأنف ج 2 ص 78.

3- سيرة المصطفى ص 149.

إلا أن يقال: إن حبها للمال، ثم اليأس من محمد «صلى الله عليه وآله» هو الذي يدفعها إلى ذلك كما يقوله البعض.

هل عذب المشركون أبا بكر؟! !

هذا وذكرون: أن أبا بكر قد تعرض للعذاب في سبيل الإسلام حيث إن عمر بن عثمان أخذه وقرنه مع طلحة بن عبيد الله التيمي في جبل حين أسلما، وعذبهما نوفل بن خويلد، وفتنهما عن دينهما، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة بـ «القرنين» .

ويرى البعض أن الذي قرنهما وعذبهما هو نوفل فقط، وليس لعمر بن عثمان ذكر في شيء (1).

ونحن نسجل هنا ما يلي:

1-إنهم يقولون: إن أبا بكر قد منعه الله بقومه (2)، وهذا يتناقض تماما مع قولهم: إنه قد عذب، كما أنه يناقض قوله الآتي لابن الدغنة: إن قومه قد أخرجه.

ص: 217

1- راجع في ذلك: العثمانية للجاحظ ص 27 و 28، و شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 253، و سيرة ابن هشام ج 1 ص 301، و نسب قريش لمصعب الزبير ص 230، و البداية و النهاية ج 3 ص 29، و البيهقي، و مستدرك الحاكم ج 3 ص 369 و البدء و التاريخ ج 5 ص 82.

2- البداية و النهاية ج 3 ص 28، و مستدرك الحاكم ج 3 ص 284، و صححه هو و الذهبي في تلخيصه بهامشه، و حلية الأولياء ج 1 ص 149، و الاستيعاب ج 1 ص 141 و أحمد، و ابن ماجة، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 126، و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 436 و عن كنز العمال ج 7 ص 14 عن ابن أبي شيبة، و الطبقات الكبرى لابن سعد ط صادر ج 3 ص 233.

2- إنه يظهر من مراجعة كتب السيرة: أن كل قبيلة كانت تتولى تعذيب من يدخل في الإسلام منها، ولم يكن منهم من يجرؤ على تعذيب من كان من قبيلة أخرى، كما سنرى.

3- لقد قال الإسكافي: «إنا لا نعلم: أن العذاب كان واقعا إلا بعبد أو عسيف، {و هو الأجير} ، ولمن لا عشيرة له تمنعه» (1).

مع أنهم يقولون: إن أبا بكر كان رئيسا متبعا، وكبيرا مطاعا (2) ينتظره عظماء قريش ولا يقطعون أمرا دونه، حتى يأتيهم ليعتوا في أمر محمد «صلى الله عليه وآله»، {كما تقدم في حديث إسلام أبي بكر} .

وعلى حسب تعبيراتهم: كان ذا مكانة عليّة، وصدرا معظما، ورئيسا في قريش مكرما (3) فكيف يعذب أبو بكر من قبل جماعة ليسوا من قبيلته؟

وكيف يترك قومه رئيسهم، وصاحب مجدهم الباذخ يتعرض للمهانة من قبل هؤلاء؟ .

وعلى حد تعبير ابن هشام وغيره: كان «مألفا لقومه، محببا، سهلا.

إلى أن قال: وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحد من الأمر» (4).

ص: 218

1- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 255.

2- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 255، والسيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 123، والسيرة الحلبية ج 1 ص 273.

3- السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 433، والبداية والنهاية ج 3 ص 26.

4- سيرة ابن هشام ج 1 ص 267 والسيرة النبوية لابن كثير ص 437.

وعلى حد التعبير المزعوم لابن الدغنة: «لا يخرج مثله، أخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق»؟ (1).

ويلاحظ: أن هذه الكلمات هي -تقريباً- نفس الكلمات التي تنسب إلى خديجة في وصف النبي «صلى الله عليه وآله» حين بعثته، قالها ابن الدغنة حين هجرة أبي بكر إلى الحبشة -وسياأتي عدم صحتها- فاقراً، و اسمع، واعجب ما بدا لك!!

ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيساً؟! :

إننا إنما ذكرنا هذا الذي سبق آنفاً، لبيان تناقض كلماتهم، إذ لو صح هذا لم يمكن أن يصح ذاك، وإلا فنحن نشك في أن يكون أبو بكر رئيساً، معظماً، وكبيراً مطاعاً، ويدل على ذلك:

1- إن أبا بكر حج، و معه أبو سفيان، فرفع صوته عليه، فقال أبو قحافة: إخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب.

فقال أبو بكر: يا أبا قحافة، إن الله بنى في الإسلام بيوتا كانت غير مبنية، و هدم بيوتا كانت في الجاهلية مبنية، وبيت أبي سفيان مما هدم (2).

2- و حين بويع أبو بكر نادى أبو سفيان: «غلبكم على هذا الأمر أذل أهل بيت في قریش» .

ص: 219

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 301 وسياأتي العديد من المصادر لذلك حين الكلام عن هجرة أبي بكر إن شاء الله.

2- راجع: النزاع والتخاصم للمقرئ ص 19 والغدير ج 3 ص 353 عنه.

وفي نص الحاكم: «ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة، وأذلها ذلة، يعني أبا بكر» (1).

وعلى حد تعبير البلاذري: إن أبا سفيان جاء إلى علي «عليه السلام» فقال: يا علي، بايعتم رجلا من أذل قبيلة من قريش؟ (2).

3- ويقول عوف بن عطية:

وأما الألمان بنو عديو تيم حين تزدهم الأمور

فلا تشهد بهم فتیان حربو لكن أدن من حلب و غير

إذا رهنوا رماحهم بزبدفان رماح تيم لا تضير (3)

ملاحظة أخيرة:

وأخيرا، فإن ما يذكرونه: من أن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه، فمنعه قومه، أو أنه ضرب حتى كاد يموت (4).

ص: 220

1- راجع المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 451، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 78، عن ابن عساکر، وأبي أحمد الدهقان، و راجع الكامل لابن الأثير ج 2 ص 326، و تاريخ الطبري ج 2 ص 944. و النزاع و التخاصم: ص 19، و كنز العمال: ج 5 ص 383 و 385، عن ابن عساکر و عن أبي أحمد الدهقان في حديثه.

2- أنساب الأشراف للبلاذري {قسم حياة النبي «صلى الله عليه وآله»} ص 588.

3- طبقات الشعراء لابن سلام ص 38.

4- السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 439 و 449 و البداية و النهاية ج 3 ص 30، و تاريخ الخميس ج 1 ص 294 و الغدير ج 7 ص 322 عنه و عن الرياض النضرة ج 1 ص 46.

يكذبه الكثير مما قدمناه، ونزيد هنا: أن النبي كان أول من أعلن الدعوة، وليس أبا بكر.

هذا عدا عن أنهم يذكرون تارة: أن ابن مسعود هو أول من أعلن، وأخرى عمر بن الخطاب، وهنا يذكرون: أبا بكر.

كما أن الرواية تنص على أن إظهار أبي بكر للإسلام قد كان حينما كان المسلمون ثمانية و ثلاثين رجلا و النبي «صلى الله عليه وآله» في دار الأرقم.

وقد تقدم: أن أبا بكر لم يكن قد أسلم بعد، لأنه إنما أسلم بعد أكثر من خمسين رجلا.

إلا أن يكون المقصود هو بلوغ المسلمين الذين أسلموا بعد الهجرة إلى الحبشة ثمانية و ثلاثين رجلا، لكن ذلك لا يتلاءم مع تصريح الرواية بأن ذلك قد كان يوم إسلام حمزة، حينما كان النبي «صلى الله عليه وآله» في دار الأرقم.

أول شهيد في الإسلام من آل ياسر:

و على كل حال؛ فلقد عذب آل ياسر أشد العذاب، و استشهدت سمية أم عمار على يد فرعون قريش أبي جهل لعنه الله، فكانت أول شهيدة في الإسلام (1) ثم استشهد ياسر «رحمه الله» تعالى.

ولكنهم ذكروا: أن أول قتيل في الإسلام هو الحارث بن أبي هالة،

ص: 221

1- الاستيعاب هامش الإصابة ج 4 ص 331 و 330 و 333، و الإصابة ج 4 ص 335 و 334 و السيرة النبوية لابن كثير ج 1 ص 495، و أسد الغابة ج 5 ص 481، و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 28.

حيث إنه لما أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يصدع بما يؤمر، قام «صلى الله عليه وآله» في المسجد، فقال: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا؛ فوثبت إليه قريش؛ فأتى الصريخ أهله؛ فكان أول من أتاها الحارث هذا؛ فضرب في القوم فصرفهم عنه وعطفوا عليه حتى قتلوه (1). وهذا لا يصح؛ لما تقدم من أن الله قد منع النبي «صلى الله عليه وآله» بأبي طالب وقومه، ولم يجرؤوا على أن ينالوه بسوء في شعره و بشره.

وكذلك الحال بالنسبة إلى من أسلم من بني هاشم، حيث لم يعذب جعفر، ولا علي ولا غيرهما، وذلك لمكان أبي طالب «رحمه الله»، كما قلنا، وأيضا فإن كلمة المؤرخين تكاد تكون متفقة على أن أول شهيد في الإسلام كان سمية وزوجها.

أضف إلى ذلك: أن كل ما يقال في كيفية إعلانه بالدعوة يتنافى ويتناقض مع ما ذكره هنا {راجع ما تقدم تحت عنوان: فاصدع بما تؤمر} . والذي يمكن أن نفهمه: هو أنه ربما يكون الهدف من وضع هذه القضية هو أن يشبوا أن خديجة قد تزوجت قبل النبي «صلى الله عليه وآله» برجل أو أكثر، وولد لها منهما.

وقد تقدم ما يوجب الشك في ذلك، حين الكلام على زواجها بالرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» .

ص: 222

1- نور القبس ص 275 عن الشرقي ابن القطامي، والإصابة ج 1 ص 293 عن الكلبي، وابن حزم وعن العسكري والأوائل ج 1 ص 311 و 312.

وعذب عمار أيضا عذابا شديدا من قبل بني مخزوم، حتى أكره على التفوّه بما يعجب المشركين، فتركوه؛ فأتى النبي «صلى الله عليه وآله» باكيا، وقال له: لم أترك يا رسول الله، وقد أكرهوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: كيف تجد قلبك يا عمار؟

قال: إنه مطمئن بالإيمان يا رسول الله قال: «لا- عليك، فإن عادوا إليك فعد لما يريدون؛ فقد أنزل الله فيك: إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (1).

التقية في الكتاب و السنة:

ونقول:

1- إن ما جرى لعمار و نزول الآية فيه دليل على مشروعية التقية، إذا خاف الإنسان على نفسه و ماله.

وقد صرحوا بجواز التقية وإظهار الموالاة حتى للكفار، إذا خيف على النفس التلف، أو تلف بعض الأعضاء، أو خيف من ضرر كبير يلحق الإنسان في نفسه (2).

بل لقد قال محمد بن عقيل: «التقية مما أجمع المسلمون على جوازه، وإن اختلفت تسميتهم لها، فسمّاها بعضهم بالكذب لأجل الضرورة أو

ص: 223

1- راجع: حلية الأولياء ج 1 ص 140 و تفسير الطبري ج 4 ص 112 و تفسير النيسابوري بهامشه و غير ذلك كثير جدا.

2- راجع على سبيل المثال: أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 9.

المصلحة، وقد عمل بها الصالحون، فهي من دين المتقين الأبرار، وعكس القول فيها كذب ظاهر» (1).

2- ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: . . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً (2).

3- قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ. . (3) إلى قوله: . . وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (4).

قال البخاري: «فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله، والمكره لا يكون إلا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما أمر به» (5).

ملاحظة:

الآية موجودة كما في سورة النساء الآية 97 ولكن الفقرة الأخيرة غير موجودة فيها ولا في الآيات بعدها لكن البخاري قد ذكرها كذلك. فذكرناها حسبما هي فيه رعاية لأمانة النقل عنه.

4- وقال تعالى: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ

ص: 224

1- تقوية الإيمان ص 38.

2- الآية 28 من سورة آل عمران.

3- الآية 97 من سورة النساء.

4- الآية 75 من سورة النساء.

5- صحيح البخاري ط الميمنية ج 4 ص 128.

رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ. (1).

و القول بأن هذه الآية قد نسخت لا مثبت له، بل لقد روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» ما يدل على خلاف ذلك، فقد روى الكليني عن عبد الله بن سليمان، قال: «سمعت أبا جعفر «عليه السلام» يقول -وعنده رجل من أهل البصرة، يقال له: عثمان الأعمى، وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم: أن الذين يكتمون العلم يؤذي ربح بطونهم أهل النار.

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: فهلك إذا مؤمن من آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحا «عليه السلام»؛ فليذهب الحسن يمينا و شمالا؛ فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا» (2).

فاستدلال الإمام «عليه السلام» بالآية يدل على أن عدم كونها منسوخة كان متسالما عليه لدى العلماء آنئذ.

و أما من السنة، فنذكر:

1- عن أبي ذر، عنه «صلى الله عليه وآله»: ستكون عليكم أئمة يميئون الصلاة، فإن أدركتموهم فصلوا الصلاة لوقتها، و اجعلوا صلاتكم معهم نافلة (3) وثمة حديث آخر بهذا المعنى فليراجع (4).

ص: 225

1- الآية 28 من سورة غافر.

2- الكافي {الأصول} ج 2 ص 40 و 41 منشورات المكتبة الإسلامية، و الوسائل ج 18 ص 8.

3- مسند أحمد ج 5 ص 159.

4- مسند أحمد ج 5 ص 160 و 168.

2- ما جاء: أن مسيلمة الكذاب أتى برجلين، فقال لأحدهما: تعلم أني رسول الله؟ قال بل محمد رسول الله، فقتله.

وقال للآخر ذلك، فقال: أنت و محمد رسول الله؛ فخلى سبيله، فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: أما الأول فمضى على عزمه و يقينه، و أما الآخر، فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه (1).

3- ما رواه السهمي عنه «صلى الله عليه وآله»: لا دين لمن لا ثقة له (2).

و هو تصحيف على الظاهر، و الصحيح: «لا تقية» كما يدل عليه ما رواه شيعة أهل البيت عنهم «عليهم السلام» (3).

4- قصة عمار بن ياسر المعروفة، و قول النبي «صلى الله عليه وآله» له: إن عادوا فعد، و هي مروية في مختلف كتب الحديث و التفسير.

و في هذه المناسبة نزل قوله تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ « (4).

5- إستعمال النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه للتقية، حيث بقي ثلاث أو خمس سنوات يدعو إلى الله سرا، و هذا مجمع عليه، و لا يرتاب فيه أحد،

ص: 226

1- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: ج 4 ص 408-409 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 10 و سعد السعود ص 137.

2- تاريخ جرجان: ص 201.

3- راجع: الكافي {الأصول} : ج 2 ص 217 ط الآخندي، و وسائل الشيعة: ج 11 ص 465. و راجع: ميزان الحكمة: ج 10 ص 666 و 667.

4- راجع: فتح الباري: ج 12 ص 277-278.

وإن كنا قد ذكرنا: أن الحقيقة ليست هي ذلك.

6-إن الإسلام يخير الكفار في ظروف معينة بين الإسلام والجزية، والسيف.

وواضح: أن ذلك إغراء بالتقية، لأن دخولهم في الإسلام في ظروف كهذه لن يكون إلا لحقن دمائهم، وليس عن قناعة راسخة، وهذا نظير قبول المنافقين في المجتمع الإسلامي، وتألفهم على الإسلام، على أمل أن يتفاعلوا مع هذا الدين، ويستقر الإيمان في قلوبهم.

7-و حين فتح خيبر قال حجاج بن علاط للنبي «صلى الله عليه وآله»: إن لي بمكة مالا وإن لي أهلا وإنني أريد أن آتيهم فأنا في حل إن أنا نلت منك وقلت شيئا! فأذن له رسول الله أن يقول ما شاء (1).

و أما التقية في التاريخ:

فندكر على سبيل المثال:

1-إن رجلا سأل ابن عمر فقال: «أدفع الزكاة إلى الأمراء؟»

فقال ابن عمر: ضعها في الفقراء والمساكين.

قال: فقال لي الحسن: ألم أقل لك: إن ابن عمر إذا أمن الرجل قال: ضعها في الفقراء والمساكين؟ (2).

2-وقد ادّعوا: أن أنس بن مالك قد روى حديث القنوت قبل الركوع

ص: 227

1-دراسات في الكافي والصحيح ص 338 عن السيرة الحلبية.

2-المصنف للصنعاني ج 4 ص 48.

تقية من بعض أمراء عصره (1).

3-و حين شاور العباس بن الحسن كتابه و خواصه فيمن يولون الخلافة بعد موت المكتفي، أشار عليه ابن الفرات بأن ينفرد بكل واحد منهم فيعرف رأيه و ما عنده «فأما أن يقول كل واحد رأيه بحضرة الباقيين فربما كان عنده ما يسلك سبيل التقية في كتمان وطيئه، قال: صدقت، ثم فعل ما أشار به عليه» (2).

4-تقية النبي «صلى الله عليه وآله» و الحمزة في بيعة العقبة، و ستأتي نصوصها في فصل مستقل.

5-عن أيوب قال: ما سألت الحسن عن شيء قط ما سأله عنها {أي عن الزكاة} .

قال: فيقول لي مرة: أدها إليهم.

و يقول لي مرة: لا تؤدها إليهم (3) أي للأمراء.

إلا أن يقال: إن هذا التردد من الحسن، إنما هو لأجل عدم وضوح الحكم الشرعي له، جوازا أو منعا.

6-و في خطبة لمحمد بن الحنفية: لا تفارق الأمة، اتق هؤلاء القوم {يعني الأمويين} بتقيتهم، ولا تقاتل معهم.

قال: قلت: و ما تقيتهم؟

ص: 228

1- راجع: المحلى ج 4 ص 141.

2- الوزراء للصابي ص 130.

3- المصدر السابق.

قال: تحضرهم وجهك عند دعوتهم؛ فيدفع الله بذلك عنك، وعن دمك ودينك و تصيب من مال الله الذي أنت أحق به (1).

7- استفتي مالك بالخروج مع محمد بن عبد الله بن الحسن، وقيل له: في أعناقنا بيعة لأبي جعفر المنصور.

فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين (2).

8- ونقل القرطبي، عن الشافعي، والكوفيين: القول بالتقية عند الخوف من القتل، وقال: «أجمع أهل العلم على ذلك» (3).

9- عن حذيفة قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: أحصوا لي كم يلفظ الإسلام.

قال: فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟

قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا.

قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرا (4).

و حذيفة قد مات بعد البيعة لعلي «عليه السلام» بأربعين يوما، فهذا النص يدل على أن الناس المؤمنين كانوا قبل ذلك يعيشون في ضغط شديد، وأن الذين يسيطرون على الشارع هم الناس الذين كانوا يحققون على الدين

ص: 229

1- طبقات ابن سعد ج 5 ص 70.

2- مقاتل الطالبين ص 283، والطبري ط أوربا ج 3 ص 200.

3- تفسير القرطبي ج 10 ص 181.

4- صحيح مسلم: ج 1 ص 91، وصحيح البخاري ط سنة 1309 هـ. ق: ج 2 ص 116 و مسند أحمد ج 5 ص 384.

و المتدينين، و يهزؤون و يحاربون كل شيء يمت إلى الدين بصلة.

10-لقد اتقى عامة أهل الحديث، و كبار العلماء و أجابوا إلى القول بخلق القرآن، و هم يعتقدون بقدمه، و لم يمتنع منهم إلا أحمد بن حنبل، و محمد بن نوح (1)، و حتى أحمد؛ فإنه قد تاقى في ذلك، فكان إذا وصل إلى المخنق قال: ليس أنا بمتكلم.

كما أنه حين قال له الوالي: ما تقول في القرآن؟ أجاب: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟

قال: هو كلام الله لا أزيد عليها (2).

بل قال اليعقوبي: إنه لما سئل أحمد عن ذلك قال: «أنا رجل علمت علما و لم أعلم فيه بهذا.

و بعد المناظرة و ضربه عدة سياط، عاد إليه إسحاق بن إبراهيم فناظره، قال له: فيبقى عليك شيء لم تعلمه؟

قال: بقي علي.

قال: فهذا مما لم تعلمه؛ و قد علمكه أمير المؤمنين؟

قال: فإني أقول بقول أمير المؤمنين.

قال: في خلق القرآن؟

قال: في خلق القرآن.

ص: 230

1- تجارب الأمم المطبوع مع العيون و الحقائق ص 465.

2- تاريخ الطبري ج 7 ص 201 و راجع: آثار الجاحظ ص 274، و مذكرات الرمانى ص 47.

قال: فأشهد عليه، و خلع عليه، وأطلقه إلى منزله (1).

مع أنه هو نفسه يقول: إن من قال: القرآن كلام الله، و وقف؛ فهو من الواقفة الملعونة (2).

وقد عمل ابن الزبير بالتقية في مواجهة الخوارج (3).

و اتقى أيضا الشعبي و مطرف بن عبد الله من الحجاج.

و اتقى عرباض بن سارية و مؤمن الطاق من الخوارج و صعصعة بن صوحان من معاوية (4).

و ممن استعمل التقية في قضية خلق القرآن إسماعيل بن حماد، و ابن المديني، و كان ابن المديني يلزم مجلس القاضي أبي دؤاد المعتزلي، و يقتدي به في الصلاة، و يجانب أحمد بن حنبل و أصحابه (5).

11- و يقولون: إن إبراهيم «عليه السلام» عندما سأله ذلك الحاكم الجبار عن امرأته قال: «هذه أختي» و ذلك في الله (6) فراجع.

ص: 231

1- تاريخ يعقوبي ج 2 ص 472.

2- بحوث مع أهل السنة و السلفية ص 183 و 184 عن: الرد على الجهمية لابن حنبل في كتاب الدومي ص 82.

3- راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ج 2 ص 393.

4- العقد الفريد ج 2 ص 464-465.

5- راجع لسان الميزان ج 1 ص 339-400 متنا و هامشا.

6- صحيح البخاري ط الميمنية: ج 4 ص 129 و مسند أحمد ج 2 ص 403 و أخرجه أبو داود و الترمذي، و قصص الأنبياء للنجار: ص

98-99 و مسند أبي يعلى ج 10 ص 427.

12- وعن عبيد الله بن معاذ العنبري، عن أبيه قال: «كتبت إلى شعبة أسأله عن أبي شيبة، قاضي واسط، فكتب إلي: لا تكتب عنه، و مزق كتابي» (1).

13- وقد عمل صعصعة بالتيق في خطبته في قصة خروج المستورد أيام معاوية (2).

14- وفي غارة بسر بن أبي أرطاة على المدينة، وشكوى جابر بن عبد الله الأنصاري لأم سلمة زوج النبي: أنه خشي أن يقتل، وهذه بيعة ضلال، قالت: إذن، فبايع؛ فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم (3).

15- وقد خطب الإمام الحسين «عليه السلام» مؤبنا أخاه الحسن السبط «عليه السلام» حينما توفي، فكان مما تمدحه به: أنه قد أثر الله عند مداحض الباطل، في مكان التقية بحسن الروية (4).

16- والإمام الحسين «عليه السلام» لم يستجب لأهل الكوفة حينما طلبوا منه القيام ضد معاوية بعد سم الإمام الحسن «عليه السلام»، و له موقف آخر «عليه السلام» يؤيد فيه موقف أخيه القاضي بعدم الثورة على

ص: 232

1- صحيح مسلم: ج 1 ص 18 و معرفة علوم الحديث ص 136.

2- راجع: بهج الصباغة: ج 7 ص 121.

3- تاريخ يعقوبي: ج 2 ص 198.

4- راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج 4 ص 230 و عيون الأخبار لابن قتيبة: ج 2 ص 314، و حياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي: ج 1 ص 439.

17- قال الحسن { البصري } : التقية إلى يوم القيامة (2).

18- وقال البخاري: «وقال ابن عباس: في من يكرهه اللصوص، فيطلق، ليس بشيء، وبه قال ابن عمر، وابن الزبير، والشعبي، والحسن» (3).

19- وقال البخاري أيضا: «يمين الرجل لصاحبه: أنه أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، وكذلك كل مكروه يخاف، فإنه يذب عنه الظالم، ويقا تل دونه ولا يخذله، وإن قاتل دون المظلوم فلا قود عليه ولا قصاص.

وإن قيل له: لتشربن الخمر، أو لتأكلن الميتة، أو لتبيعن عبدك، أو تقر بدين، أو تهب هبة أو تحل عقدة، أو لتقتلن أبأك، أو أخاك في الإسلام وسعه ذلك.

إلى أن قال: قال النخعي: إذا كان المستحلف ظالما فتيّة الحالف، وإن كان مظلوما؛ فنية المستحلف» (4).

ولا بأس بمراجعة الشروح على صحيح البخاري على كتاب الإكراه، ففيها توضيحات و مطالب مفيدة في هذا المجال (5).

ص: 233

1- راجع: الأخبار الطوال ص 220 و 221 و 222.

2- صحيح البخاري { ط الميمنية } ج 4 ص 128.

3- صحيح البخاري ج 4 ص 128.

4- المصدر السابق.

5- راجع: عمدة القاري ج 24 ص 95-108، وفتح الباري ج 12 ص 277-289، وإرشاد الساري ج 10 ص 93-102.

20- حتى المغيرة بن شعبة فإنه يدعي أنه في عيبه عليا يعمل بالتقية فهو يقول لصعصعة: «هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدا ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية فإن كنت ذاakra فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا الخ. (1).

21- وفي حرب الجمل حمل محمد بن الحنفية على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيتة قال: أنا على دين أبي طالب فلما عرفت الذي أراد كفت عنه (2).

23- ويقول ابن سلام: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره أن يصلي الصلاة لوقتها ثم يصلي مع الأمراء الذين يؤخرون الصلاة نافلة (3).

24- وقد صرح الخدري بأنه يعمل بالتقية في ما يرتبط بموقفه من علي «عليه السلام» ليحقن دمه من بني أمية واستدل بآية ادفع بالتي هي أحسن السيئة (4).

وقد ذكرت في الصراط المستقيم للبياضى ج 3 ص 72 و 73 موارد عديدة أخرى فراجع.

ص: 234

1- تاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 12.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 67.

3- تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 205.

4- سليم بن قيس ص 53، مؤسسة البعثة-قم-إيران.

إن تشريع التقية لهو خير دليل على شمولية الإسلام و مرونته، و اتساعه لكل الظروف و الأحوال، إذ لو كانت الرسالة جافة و قاسية، و لا تلاحظ الظروف الطارئة، و الأحوال العارضة، فلا بد أن تصطدم مع الواقع، و تنهار أمامه، دون أن تتمكن من تجاوزه في حركتها الإصلاحية و التكاملية.

فهو بتشريع التقية، إنما يحافظ على الرسالة من خلال حفاظه على رائدها، و حافظها، و حاملها في ذلك الظرف العصيب.

و خير شاهد على ذلك هو تلك الفترة التي مر بها النبي «صلى الله عليه وآله» و المسلمون في أول البعثة حيث كانوا يتحاشون فيها الصدام مع المشركين.

وإن المحافظة على حامل الرسالة من خلال مرونة الرسالة، تكون ضرورية جدا حينما لا يكون للتضحية به فائدة، و لا عائدة.

إن لم يكن في ذلك ضرر على الرسالة نفسها حينما تفقد جنديا أمينا من جنودها، ربما تكون في وقت كانت بأمس الحاجة إليه.

فكثيرا ما يكون الحفاظ على الإسلام من خلال الحفاظ على جنوده الأبرار الأوفياء، و الذين يكونون دائما على استعداد للتضحية في سبيله كلما اقتضى الأمر ذلك.

فالتقية إنما شرعت للحفاظ على هؤلاء.

أما الآخرون، الذين لا يفكرون إلا في أنفسهم، فلا ينفعهم تشريع التقية، و لا عدمه.

و مما يدلنا على أن تشريع التقية إنما هو للحفاظ على الرسالة من خلال

الحفاظ على جنودها، وليس ذلك نفاقاً، ولا انهزاماً، لأن هؤلاء المخلصين الذين يراد الحفاظ عليهم هم دائماً على استعداد للبدل و العطاء:

أن الإمام الحسين «عليه السلام» الساكت في زمان معاوية هو نفسه الحسين الثائر على يزيد، تحت شعار:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذي

فسكوته هناك كان حفاظاً على الدين و الحق؛ تماماً كما كانت ثورته هنا حفاظاً على الحق و الدين، و قد تكلمنا على هذه النقطة في حلف الفضول.

و لأجل ذلك نجد: أنه إذا توقف الحفاظ على الحق على الفداء و التضحية؛ فإن الإسلام يأمر به، و لا يتسامح مع من يمتنع عنه.

و أيضاً، فلو كان في الإسلام جفاف و قسوة؛ فربما يبعث ذلك الكثيرين على التخلي عنه، أو بالأحرى على عدم الإقدام عليه.

و لسوف يأتي في إسلام وحشي و غيره: أن البعض كان يسلم؛ لأنه يعرف أن محمداً لا يقتل أصحابه.

فمرونة الإسلام هذه هي التي أعطته قوة الدفع هذه، و مكنته من أن يشق طريقه رغم كل التحديات الكبيرة، و المصاعب الخطيرة، التي واجهته عبر التاريخ.

و واضح: أن مرونة الإسلام هذه لا يجوز أن تفسر على أنها نوع من التساهل في الأحكام؛ ليهون على البعض اعتناق الإسلام، بل هي من قبيل الحفاظ على الإسلام و المسلمين، حيث لا ضرر على المبدأ و الرسالة، و حيث يكون في عدم التقية هدر للطاقات و الإمكانيات، حيث لا جدوى من هدرها.

و ليكن ذلك هو الفرق بين التقية وبين النفاق الذي يحلو للبعض أن ينبز به- ظلما وعدوانا-من يعتقد بمشروعية التقية.

وقد رأينا: أنه «صلى الله عليه وآله»، حينما جاءته بعض القبائل وهي قبيلة ثقيف، وطلبوا منه أن يعطيهم فرصة لعبادة أصنامهم، وأن لا يفرض عليهم الصلاة لأنها صعبة عليهم، وأن لا يكسروا صنمهم بيدهم، نرى أنه «صلى الله عليه وآله» قبل بهذا الأخير، ورفض الأولين (1).

كما أنهم قد طلبوا منه أن يسمح لهم بالزنى، وشرب الخمر، والربا، وترك الصلاة (2).

نعم فرفض ذلك، ولم يأخذ بنظر الاعتبار أن هذه قبيلة تريد أن تسلم،

ص: 237

1- تاريخ الخميس: ج 2 ص 135، والسيرة النبوية لدحلان {مطبوع بهامش الحلبية}: ج 3 ص 11، والكامل في التاريخ: ج 2 ص 284، والسيرة النبوية لابن كثير: ج 4 ص 55، والسيرة النبوية لابن هشام: ج 4 ص 184 و 185، والبداية والنهاية: ج 5 ص 30، والمواهب اللدنية: ج 1 ص 236. وبهذا يلاحظ: أن عمر بن الخطاب لم يكن موقفا حين أصر على الاقتصاص من جيلة بن الأيهم الذي دخل في الإسلام جديدا، وكان ملكا في قومه، ولم يتعرف بعد بعمق على عظمة وخصائص الإسلام ومميزاته الفريدة، إذ قد كان عليه أن يراعي الموقف، ويحل المشكلة بأسلوب مرن آخر.

2- السير النبوية لدحلان {مطبوع بهامش الحلبية}: ج 3 ص 11، والمواهب اللدنية: ج 1 ص 236، وتاريخ الخميس: ج 2 ص 135 و 136 و 137. وراجع بالنسبة لترك الصلاة المصادر التالية: الكامل في التاريخ: ج 2 ص 284، وكذا في السيرة النبوية لابن هشام: ج 4 ص 185، والسيرة النبوية لابن كثير: ج 4 ص 56، والبداية والنهاية: ج 5 ص 30.

فيتقوى بها الإسلام، ويضعف بذلك جانب أعدائه و مناوئيه، وهي في خلال هذه السنة تكون قد تعرفت على الإسلام و تدرّبت عليه.

نعم، لقد رفض السماح لها بعبادة صنمها، الذي عبدته عشرات الأعوام، و لو لمدة سنة واحدة أيضا.

بل هو يرفضه و لو كان لساعة واحدة، لأنه لا يريد أن يستفيد من أية وسيلة من أجل الوصول إلى أهدافه، لأنه يعتبر الوسيلة جزء من الهدف، و منه تستمد قدسيّتها، كما سبق.

ولكنه في مقابل ذلك: لو أساء إليه أحد الناس مثلاً؛ فإنه على استعداد لأن يعفو عنه، و لكن شرط: أن يعرف المعفو عنه أنه قد أذنب، و أن هذا عفو عنه، أما إذا فهم من ذلك مشروعية الأمر الذي ارتكبه، فإن ذلك العفو يكون مرفوضاً جملة و تفصيلاً.

ص: 238

لقد استمرت قريش في تعذيب من يدخل في دين الإسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم.

وكان الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن، فقد كان وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، ومواجهة الصعاب، ويجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التي يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهية وحاكمة فوق ألوهيتهم وحاكمتهم، وآثروا الاستكبار والعناد على الرضوخ والانقياد.

ومن جهة ثانية: فإن استمرار هذا الوضع الذي يواجهه المسلمون، المليء بالآلام والمشاق، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول في الإسلام، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب، والتعذيب والمصائب.

ومن جهة ثالثة: فقد كان لا بد من تسديد ضربة لكبرياء قريش وجبروتها-ولو نفسيا-لتدرك: أن قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها وقدراتها-وأن عليها: أن تفكر بموضوعية وعقلانية أكثر، فكان أن اختار رسول الله «صلى الله عليه وآله» للمسلمين الهجرة إلى الحبشة.

وكانت هجرتهم إليها في السنة الخامسة من البعثة.

سر اختيار الحبشة:

وأما عن سر اختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحبشة مهاجرا للمسلمين، فقد أشار إليه «صلى الله عليه وآله» بقوله:

«إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق» و«إنه يحسن الجوار» .

وقد كان من الواضح أنه:

1- كان لا بدّ لقريش من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هي المهيمنة، وصاحبة الاختيار الأول والأخير في مصير هذا الدين، الذي تراه يتهدد كبرياءها وشركها، وانحرافها.

2- لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الروم والشام، لما كان لها من علاقات تجارية واقتصادية معها، فالهجرة إلى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم، ولا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الأصول الأخلاقية والإنسانية، ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم والجور، وعلى الأخص بالنسبة لمن ينتسب إلى دعوة يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصية، وتهدد كياناتهم وجبروتهم.

وأما بلاد اليمن، وبعض المناطق العربية والقبلية الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي، المتجبر والظالم.

ويذكر هنا: أن بعض القبائل عندما عرض عليها النبي «صلى الله عليه وآله» دعوته وطلب منها حمايتها له، قبلت بذلك، ولكن مما دون

كسرى (1)، و أما من كسرى، فلا.

و واضح: أن الالتجاء إلى كسرى لا يقل خطرا عن الالتجاء إلى بلاد الروم، خصوصا إذا رأى: أن هذا العربي- وهو بطبعه كان يحتقر العرب، ولا يرى لهم حرمة، ولا- شأننا يذكر- لسوف يخرج في منطقة قريبة من بلاده، وقد تسري دعوته إلى بلاده نفسها، ويؤثر ذلك على الامتيازات الظالمة التي يجعلها لنفسه، كما يظهر من دراسة طبيعة دعوة ذلك النبي، وأهدافها.

3- قد كان لقريش نفوذ قوي في مختلف القبائل العربية، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس والروم.

كما ربما يتضح مما ذكرناه في أوائل هذا الكتاب، فلا نعيد.

4- ما ذكره النبي «صلى الله عليه وآله» من أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، فإن كل ذلك يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقي لاختيار بلاد الحبشة، البعيدة عن النفوذ الفارسي والرومي والقريشي، والتي لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد أو راحلة، وإنما بالسفن عبر البحار، ولم تكن قريش تعرف حرب السفن، فاختار الرسول «صلى الله عليه وآله» هذه البلاد بالذات لتكون أرضا لهجرة المسلمين، الذين لا يزالون ضعافا أمام قوة قريش وجبروتها.

ثم إننا نستفيد من قوله «صلى الله عليه وآله» عن أرض الحبشة: إنها أرض صدق: أنه قد كان فيها شعب يعيش على الفطرة، ويتعامل بالصدق والصفاء، وربما كان الناس في تلك المنطقة أقرب من غيرهم إلى الالتزام بما

ص: 243

1- السيرة الحلبية: ج 2 ص 5 و ص 16، والسيرة النبوية لابن كثير: ج 2 ص 168.

تبقى لديهم من تعاليم السيد المسيح «عليه السلام» كما ربما يستفاد مما جرى لجعفر مع ملك الحبشة في أمر عيسى، فيمكن لهؤلاء الثلاثة من المسلمين المهاجرين أن يعيشوا مع هؤلاء الناس، وأن يتعاملوا معهم، لا سيما وأنها بلاد لم يكن فيها من الانحرافات والأفكار والشبهات ما كان في بلاد الروم والفرس، التي كانت قد لوثتها المفاهيم والنظريات اللاإنسانية، والأديان المنحرفة إلى حد بعيد، ولم تتعرض بلاد الحبشة لمثل ذلك، فلم تنشأ فيها أديان، ولا كان فيها علماء وفلاسفة بالمستوى الذي كان في دولتي الروم والفرس فكانت أقرب إلى الفطرة والحق من غيرها.

ولكن هيمنة الفطرة على بلاد الحبشة ليس معناه خلو تلك البلاد عن أي انحراف، فإن وجود الانحراف فيها أمر طبيعي، بل إن ذلك على حد قولهم: أهل البلد الفلاني مؤمنون، أو شجعان، أو كرماء، فإن ذلك لا يمنع وجود البخيل والكافر أو الفاسق والجبان فيها.

ومن الواضح: أن المسلمين لو هاجروا إلى بلاد لا تهيمن عليها الفطرة، وكان لها ملك لا يأبى عن الظلم فسوف تصعب عليهم الحياة والاستمرار فيها، ولم يكن لهجرتهم من بلادهم كبير فائدة، ولا جليل أثر.

الهجرة إلى الحبشة:

و هاجر المسلمون بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الحبشة، ذهبوا إليها إرسالا على حسب رواية أم سلمة، [\(1\)](#) ويقال: إنه سافر أولا

ص: 244

1- السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 17، والبداية والنهاية ج 3 ص 72 و تاريخ الخميس ج 1 ص 290 عن الصفوة والمنتقى.

عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون (1)، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا في الحبشة اثنين أو ثلاثا وثمانين رجلا، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم، وتسع عشرة امرأة عدا الأطفال.

وقد كانت هذه الهجرة في السنة الخامسة من البعثة كما نص عليه عامة المؤرخين.

ولكن عند الحاكم: أن هجرة الحبشة قد كانت بعد وفاة أبي طالب (2)، وهو إنما توفي في السنة العاشرة من البعثة.

إلا إذا كان الحاكم يتحدث عن هجرة جديدة قام بها بعض المسلمين في هذا الوقت، لعلها عودة الراجعين إلى مكة بعد سماعهم بالهدنة، ففوجئوا بالعكس فعادوا أدراجهم، ولكننا لا نملك شواهد تؤيد أن ذلك كان في تلك السنة بالذات.

وكيف كان فإننا نقول:

إننا نرجح: أنه لم يكن سوى هجرة واحدة للجميع، عليها جعفر بن أبي طالب «عليه السلام»، الذي لم يكن غيره من بني هاشم فلم يكن ثمة هجرتان، عشرة أولا، ثم الباقيون ثانيا، وإن كان خروجهم إنما كان إرسالاً حفاظاً على عنصر السرية، وذلك بدليل الرسالة التي وجهها الرسول «صلى

ص: 245

-
- 1- سيرة ابن هشام ج 1 ص 345، و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 5، و البداية و النهاية ج 3 ص 67، و السيرة الحلبية ج 1 ص 324، قال: وبه جزم ابن المحدث في سيرته، و تاريخ الخميس ج 1 ص 288.
 - 2- مستدرك الحاكم: ج 2 ص 622.

اللّٰه عليه وآله» إلى ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، والتي جاء فيها:

«قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم الخ.». (1).

وهذا هو الظاهر من رواية أخرى عن أبي موسى، قال: «أمرنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي الخ.». (2). وإن كانت هجرة أبي موسى هذه محل شك كما سنرى.

أمير الهجرة جعفر:

ونعتقد: إن هجرة جعفر إلى الحبشة، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش، فقد كانت قريش تخشى مكانة أبي طالب، وتراعي جانبه، وجانب بني هاشم بصورة عامة، وإنما أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» مع المهاجرين ليكون أميرا عليهم، ومديرا لأموالهم، ومشرفا على شؤونهم ومصالحهم، وحافظا لهم من أن يذوبوا في هذا المجتمع الجديد، كما كان الحال بالنسبة إلى ابن جحش الذي تنصر في الحبشة.

من هو أول مهاجر إلى الحبشة؟ :

ويقولون: إن عثمان بن عفان كان أول من هاجر إلى الحبشة بأهله، وأن

ص: 246

1- البداية والنهاية ج 3 ص 83، والبحار ج 18 ص 418، وإعلام الوری ص 46-45 عن قصص الأنبياء.

2- البداية والنهاية ج 3 ص 70 عن أبي نعيم في الدلائل، والسيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 11.

النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال عنه بهذه المناسبة: إنه أول من هاجر بأهله بعد لوط «عليه السلام» (1).

وقيل: إنه كان أول خارج أيضا (2).

ونحن نشك في ذلك، لأنه إن أريد أنه أول من هاجر بأهله، فإن أبا سلمة-كما يقولون-هو أول من هاجر بأهله (3).

وإن أريد أنه أول خارج بنفسه، فإننا نجد أنهم يقولون: إن أول خارج كان حاطب بن أبي عمر (4)، أو سليط بن عمرو (5).

كما أنهم يقولون: مثل ذلك عن أبي سلمة فراجع، وستأتي الإشارة إلى هذا إن شاء الله تعالى.

هجرة أبي موسى إلى الحبشة لا تصح:

روى الإمام أحمد بسند حسن، وغيره: أن أبا موسى الأشعري كان في

ص: 247

1- البداية والنهاية ج 3 ص 66 عن ابن إسحاق، والسيرة الحلبية ج 1 ص 323، و تاريخ الخميس ج 1 ص 289 و 275.

2- سيرة ابن هشام ج 1 ص 344 و البداية والنهاية ج 3 ص 66 عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج 1 ص 223.

3- الإصابة ج 2 ص 335، وراجع ج 4 ص 458 و 459 و الإستيعاب {بهامش الإصابة} ج 2 ص 338 عن: مصعب الزبيري، و تهذيب الأسماء و اللغات ج 2 ص 362، و أسد الغابة ج 3 ص 196 عن أبي عمر، و ابن مندة، و السيرة الحلبية ج 1 ص 323، و ذخائر العقبى: ص 253.

4- الإصابة ج 1 ص 301، و السيرة الحلبية ج 1 ص 323.

5- السيرة الحلبية ج 1 ص 323.

جملة من هاجر إلى الحبشة في الهجرة الأولى (1).

ولكن الظاهر هو: أن هذا وهم أو إدراج عمدي من الراوي، فإن أبا موسى لم يسلم إلا في المدينة في السنة السابعة من الهجرة.

وقيل: إنه خرج في جماعة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فألقتهم سفينتهم إلى الحبشة، فجاؤوا مع مهاجري الحبشة إلى المدينة، في سنة سبع من الهجرة (2).

ويظهر: أن ذلك قد حدث بعد الهجرة إلى المدينة، إذ لم يكونوا ليقدموا على قصده «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، ولا ليقيموا هذه السنوات الطويلة في الحبشة.

والظاهر: أنه التقى بمهاجرة الحبشة في الطريق، فقد قال العسقلاني: «صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب، فقدموا جميعاً» (3).

رقة عمر للمهاجرين:

ويقولون: إن عمر رأى المهاجرين، وهم يتهيأون للخروج إلى الحبشة، فرق لهم، وأحزنه ذلك (4).

ص: 248

1- راجع: سيرة ابن هشام ج 1 ص 347، و البداية و النهاية ج 3 ص 67 و 69 و 70 عن ابن إسحاق و أحمد و عن أبي نعيم في الدلائل و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 7 و 9، و فتح الباري، ج 7 ص 143 و مجمع الزوائد ج 6 ص 24 عن الطبراني و حلية الأولياء ج 1 ص 114.

2- راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 14 و البداية و النهاية ج 3 ص 71.

3- الإصابة: ج 2 ص 359.

4- البداية و النهاية ج 3 ص 79 عن ابن إسحاق، و مجمع الزوائد ج 6 ص 24، و مستدرک الحاكم ج 4 ص 58 و الطبراني، و السيرة الحلبية ج 1 ص 323 و 324.

وذلك لا يصح، لأن خروجهم كان سرا، متسللين، منهم الراكب، ومنهم الماشي، حتى انتهوا إلى البحر فوجدوا سفينة فأقلتهم فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر، فلم يجدوا أحدا منهم (1).

هذا كله، عدا عن شدة عمر وغلظته، التي تدعى له قبل وبعد الهجرة إلى الحبشة على من أسلم، وتعذيبه لمن قدر عليه منهم، فإن ذلك لا يتناسب مع ما يقال عنه هنا.

هجرة أبي بكر لا تصح:

ويقولون: إنه حين اشتد البلاء على بقية من بمكة من المسلمين، وضافت مكة على أبي بكر، وأصابه فيها الأذى، خرج حين حصر المسلمون في الشعب مهاجرا إلى الحبشة، فلما وصل إلى برك الغماد-موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن-لقيه ابن الدغنة، سيد قبيلة «القارة»، و كانوا حلفاء لبني زهرة من قريش، فقال له:

أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي؛ فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج؛ إنك تكسب المعدوم إلى أن قال: فارجع فأنا لك جار فرجع، ورجع معه ابن الدغنة، فطاف عشية في أشراف قريش، وأعلمهم بأنه أجاره، فأجازوا جواره بشرط: أن يعبد ربه في داره، ولا يستعلن.

ص: 249

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 324، و تاريخ الخميس ج 1 ص 288 و 289 عن المنتقى و الطبري ج 2 ص 69 و راجع البدء و التاريخ ج 4 ص 149، و إعلام الوری ص 43 و اليعقوبي ج 2 ص 29 و زاد المعاد لابن القيم ج 2 ص 44.

ولكن أبا بكر ابتنى بعد مدة مسجدا في بني جمح، بجوار داره يصلي فيه، و يقرأ القرآن، و جعل نساء المشركين و أبناءهم يجتمعون لسماع قراءته، حتى يسقط بعضهم على بعض.

و كان له صوت رقيق، و وجه عتيق أي جميل.

فراجع المشركون ابن الدغنة في ذلك، فأتاه فطالبه، فرد عليه أبو بكر جواره (1).

و نحن نشك في ذلك، إذ مع غض النظر عن:

1- أن إخراج قوم أبي بكر له لا يعني أنه قد هاجر مختارا مع أن ظاهر الكلام هو ذلك.

2- و مع غض النظر عن أن هذا الحديث مروي عن عائشة فقط- و هو عجيب!!- فهم يدعون: أنها كانت حينئذ صغيرة السن جدا لا يمكن أن تعي كل تلك الأمور و الخصوصيات، و إن كنا نعتقد: أن عمرها كان أكثر مما يقولونه بكثير، كما سنشير إليه.

3- أضف إلى ذلك: أنها لم توضح لنا عن روت ذلك.

و دعوى البعض: أن إرسال الصحابي لا يضر، لأنه يروي عن صحابي

ص: 250

1- راجع: السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 127 و 128، و سيرة ابن هشام ج 2 ص 12 و 13، و شرح النهج ج 13 ص 267، و المصنف ج 5 ص 386 و 385 و البداية و النهاية ج 3 ص 94 و 95، و في تاريخ الخميس ج 1 ص 319 و 320 أن ذلك كان في الثالثة عشرة من البعثة، و حياة الصحابة ج 1 ص 276 و 277 عن صحيح البخاري ص 552.

مثله؛ وهم عدول كلهم، لا تصح، فأما بالنسبة لعدالتهم جميعا، فقد أثبتنا عدم صحة ذلك فراجع مقالنا: الصحابة في الكتاب و السنة، في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ و الإسلام، الجزء الثاني.

و أما دعوى: أن إرسال الصحابي إنما هو عن صحابي مثله، فهي أيضا غير صحيحة، لجواز أن يكون الصحابي قد روى عن غير صحابي، كما كان أبو هريرة يروي عن كعب الأحبار (1).

نعم، إننا مع غض النظر عن ذلك كله، نسجل هنا الأمور التالية:

أولاً: إن الرواية تنص على أن ابن الدغنة كان حليفا لبني زهرة من قريش، فكيف أجار على قريش مع أن الحليف لا يجير؟! كما اعتذر به الأخنس بن شريق، حينما طلب منه النبي أن يجيره ليدخل مكة، حسبما يدعون (2).

ثانياً: لماذا بعد أن رد جوار ابن الدغنة لم تؤذ قريش و لم تخرجه، وإذا كانت قبيلته قد منعتة الآن؛ فلماذا لم تمنعه أولاً؟!

و إذا كانت قد أقنعتهم تقريظات ابن الدغنة لأبي بكر، فلماذا لم تمنعهم

ص: 251

1- راجع: شيخ المضيرة للشيخ محمود أبي رية، و أبو هريرة للسيد شرف الدين رحمهما الله تعالى، و راجع ترجمة كعب الأحبار في سير أعلام النبلاء ج 3 ص 490 وغيره.

2- إعلام الوري ص 55 و البحار ج 19 ص 7 عن القمي، و سيرة ابن هشام ج 2 ص 20، و البداية و النهاية ج 3 ص 137، و السيرة الحلبية ج 1 ص 360، و السيرة النبوية لدحان ج 1 ص 142، و بهجة المحافل ج 1 ص 126.

أولاً، حتى احتاج أبو بكر إلى جواره؟! .

ثالثاً: لقد رد الإسكافي على الجاحظ المدعي لهذه القضية بقوله: «كيف كانت بنو جمح تؤذي عثمان بن مظعون و تضربه، و هو عندهم ذو سطوة و قدر، و تترك أبا بكر يبني مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم؟

و أنتم الذين روئتم عن ابن مسعود: أنه قال: ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب، و الذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر، و أما ما ذكرتم من رقة صوته، و عتاق وجهه، فكيف يكون ذلك، و قد روى الواقدي، و غيره: أن عائشة رأت رجلاً من العرب، خفيف العارضين، معروق الخدين، غائر العينين أجناً {يعني مائل الظهر} ، لا يمسك إزاره، فقالت: ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا، فلا أراها دلت على شيء من الجمال في صفته (1).

و يدل على صحة ما ذكره الإسكافي حول جمال أبي بكر: أن المقدسي، بعد أن ذكر: أنه لقب بعتيق لحسن وجهه و عتقه، يقول: «كان أبيض البشرة، مشرباً حمرة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع، أحنى لا يستمسك إزاره، و يسترخي عن حقويه، و كان الخ. .» و كذا قال غيره (2).

هذا كله عدا عن قولهم: إنه لقب ب «عتيق» لأن الرسول قال له: «هذا

ص: 252

1- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 268 عن الإسكافي.

2- البدء و التاريخ ج 5 ص 76 و 77، و تاريخ الخميس ج 2 ص 199، و تاريخ الطبري ج 2 ص 615.

عتيق من النار» فيومئذ سمي عتيقا، وكان اسمه قبل ذلك: عبد الله بن عثمان (1) وذلك ينافي قولهم: إنه عتيق لجمال وجهه.

رابعا: لقد نصت الرواية على أن أبا بكر قد ابتنى مسجدا في بني جمح، ولكننا نجدهم يقولون: إن مسجدا قباء كان أول مسجد بني في الإسلام (2).

ويقولون أيضا: إن عمارا كان أول من بنى مسجدا في الإسلام (3).

وحاول البعض الإجابة عن هذا بأن المقصود: هو أن مسجدا قباء كان أول مسجد بني في المدينة، وأن عمارا كان أول من بنى مسجدا لعموم المسلمين (4).

وقد فاتته: أن إطلاق قوله: في الإسلام يدفع الأول، وإطلاق كون عمار أول من بنى مسجدا يدفع الثاني، كما أن ثمة تصريحاً بأنه أول من بنى في بيته مسجدا يتعبد فيه (5).

ص: 253

1- كشف الأستار عن مسند البزار: ج 3 ص 163، ومجمع الزوائد: ج 9 ص 40.

2- وفاء الوفاء ج 1 ص 250 والسيرة الحلبية ج 2 ص 55.

3- السيرة الحلبية ج 2 ص 55، وطبقات ابن سعد ج 3 ص 179 و 178 والأعلاق النفيسة ص 196 وتاريخ ابن كثير ج 7 ص 311، والغدير ج 9 ص 20 عنهما. والأوائل للطبراني ص 109 والروض الأنف ج 3 ص 248 والسيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 143.

4- السيرة الحلبية ج 2 ص 55 ووفاء الوفاء ج 1 ص 250.

5- طبقات ابن سعد ط ليدن ج 3 ص 178 وذكره في البداية والنهاية ج 7 ص 311، وراجع: السيرة الحلبية ج 2 ص 55 فإنه صرح بأن هذا المسجد كان خاصا بالذي بناه.

و خامسا: نحن بحاجة إلى إجابات على الأسئلة التالية: لماذا يترك أبو بكر يبنني مسجدا في بني جمح؟ .

و كيف لم يعترض الجمحيون على هذا التحدي؟ .

و لماذا لم يدرك التميميون صفات أبي بكر النبيلة تلك، و يدعونه يخرج، ثم يدركها ابن الدغنة؟!

و لماذا لم تلاحظ قريش تلك الصفات النبيلة التي أقرت بها، و تركته يخرج؟! بل و لماذا عذبتة أشد العذاب مع علمها بما ذكره ابن الدغنة عنه؟!! .

فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره:

و الذي نظنه قويا هو أنهم أرادوا: أن يجعلوا له فضيلة سبق إليها عثمان بن مظعون؛ فإنه كما يذكره المؤرخون: لما رجع من الحبشة مع من رجع، بعد شهرين من الهجرة، و فوجئ بأن الأمر بين المشركين و النبي «صلى الله عليه و آله» لا يزال على حاله، دخل مكة بجوار الوليد بن المغيرة.

و لكنه لما رأى ما فيه المسلمون من البلاء، و هو يغدو و يروح في أمان، صعب عليه ذلك، فمشى إلى الوليد فرد عليه جواره؛ فقال: يا بن أخي، لعله آذاك أحد من قومي؟

قال: لا، و لكنني أرضى بجوار الله عز و جل، و لا أريد أن أستجير بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد علي جوارى علانية، كما أجرتك علانية، فانصرف معه، ورد عليه جواره علانية في المسجد (1).

ص: 254

1- البداية و النهاية ج 3 ص 92، و قد ذكرت هذه القضية في مختلف المصادر التاريخية فلا حاجة إلى تعدادها.

وبعد أن صحا مشركو مكة من عنف الصدمة، «ورأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم»، على حد تعبير البعض (1) اتتمرت فيما بينها، وقررت إرسال رجلين من قبلها إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين، ووقع اختيارهم على عمرو بن العاص، ويقال: وعلى عمارة بن الوليد أيضا، فأرسلوهما إلى النجاشي بهدايا له ولبطارقتة، «و جرى بين عمارة وعمرو بن العاص في الطريق شيء مثير، يرتبط بالعلاقة بين عمارة وزوجة عمرو فاحتملها له عمرو ليكيده في الوقت المناسب.». (2) و ادعيا أمام النجاشي: أنه «قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دينهم، ولم يدخلوا في دينك.

و جاؤوا بدين ابتدعه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائهم لتردهم إليهم الخ.». .

فرفض تسليمهم إليهم حتى يسألهم عن صحة ما جاء به عمرو وعمارة، فجاء المسلمون؛ فسألهم فقال جعفر: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته، وعفافه؛ فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان.

ص: 255

1- سيرة مغلطاي ص 22.

2- ذكرنا ذلك في كتابنا ظلامة أبي طالب، الفصل الأول فراجع.

و أمرنا بصدق الحديث و أداء الامانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات، و أمرنا: أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة، و الزكاة، و الصيام الخ. (1).

و قرأ عليه جعفر بعض سورة الكهف: فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، و كذلك أساقفته.

ثم قال النجاشي: إن هذا و الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما، و لا يكادون.

ثم غدا عمرو في اليوم التالي ليخبر النجاشي بأن المسلمين يقولون: إن عيسى بن مريم عبد؛ فأرسل إليهم؛ فسألهم؛ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا «صلى الله عليه و آله» :

هو عبد الله و رسوله، و روحه و كلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فتناول النجاشي عودا، و قال: و الله، ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

ص: 256

1- ذكرت الزكاة و الصيام في مختلف المصادر؛ فراجع سيرة ابن هشام ج 1 ص 360، و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 21، و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 80 {و لم يذكر الزكاة} و إعلام الوری ص 44 و لم يذكر الصيام و البداية و النهاية ج 3 ص 74 و تاريخ الخميس ج 1 ص 290، و حلية الأولياء ج 1 ص 114، و السيرة الحلبية ج 1 ص 340. و ستأتي بقية المصادر حين الكلام عن أن تشريع الصلاة و الزكاة كان في مكة، و ذلك قبيل الكلام عن غزوة بدر إن شاء الله تعالى.

فتناخرت بطارقتة، فقال: وإن نخرتم، إذهبوا فأنتم شيوم: أي آمنون، من سبكم غرم-قالها ثلاثا-ما أحب أن لي دبرا-أي جبلا-من ذهب و
أني آذيت رجلا منكم، ثم رد هدايا قريش (1).

وقد روي عن الإمام الحسين «عليه السلام»: أن ابن العاص قد ذهب إلى الحبشة مرتين ليكيد المسلمين، فرد الله تعالى كيده إلى نحره، و
باء بغضب من الله تعالى (2).

ملاحظة:

قد شكك البعض في صحة هذه الرواية، وذلك لذكر الصيام فيها، وهو إنما شرع في المدينة (3).

ولكنه كلام باطل؛ فإن الصيام، والزكاة، وغير ذلك كله قد شرع في مكة، ولسوف يأتي إن شاء الله بيان ذلك في هذا الكتاب حين الحديث
على ما بعد الهجرة.

ويرى بعض الأعلام: أن منشأ هذه التحقيقات الرشيقه!! لأحمد أمين، ومن هم على شاكلته، هو التشكيك في موقف يظهر بطولة جعفر، و
جراته وحكمته، وعقله، ودرأيته.

ص: 257

1- راجع المصادر المتقدمة.

2- راجع: الاحتجاج ج 1 ص 411 و 412، والسيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 27، و البداية و النهاية ج 3 ص 76.

3- هذا ما ذكره أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام ص 76 ولعله اقتبس من السيرة الحلبية ج 1 ص 339.

وقد ابتلي جعفر أيضا بمثل هذا الإجحاف في حقه في مورد آخر، وهو كونه الأمير الأول في غزوة مؤته، فإن لهم اهتماما خاصا في إبعاد جعفر عن هذا المقام والتأكيد على أن الأمير الأول هو زيد بن حارثة «رحمه الله» كل ذلك من أجل أخوته لعلي «عليه السلام» وقرابته منه (1).

قريش و خططها المستقبلية:

حقا لقد كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة ضربة قاسية لقريش، أفقدتها صوابها، وزعزعت وجودها وكيانها؛ فحاولت أن تتدارك الأمر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم وإبقائهم تحت سلطتها، ولكن بعد فوات الأوان.

و كان أن اضطرت قريش للمرة الأولى لمراجعة حساباتها من جديد، بعد أن أدركت: أن زمام المبادرة لم يعد بيدها؛ وذلك لأنها:

1- أدركت أن الاستمرار في تعذيب المسلمين، الذين أصبحوا متفرقين في مختلف القبائل، لم يعد له كبير جدوى ولا جليل أثر، إن لم يكن سببا في إثارة حرب داخلية، تكون عواقبها السيئة على سمعتها وكرامتها كبيرة وخطيرة، حينما لا توافق كل قبيلة على التصفية الجسدية للمتمين إليها، للمنطق القبلي الذي ما زالوا يتعاملون على أساسه، حتى في مواقفهم من هذا الدين الجديد، و مناهضتهم لمحمد «صلى الله عليه وآله»، و دعوته، رغم إجماعهم على العداء له ولها.

و يكفي أن نشير هنا إلى أنهم قد قرروا: أن تتولى كل قبيلة تعذيب الذين ينتسبون إليها!!.

ص: 258

1- راجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، الجزء الأول، بحث: من هو الأمير الأول في غزوة مؤته.

2-لقد رأَت قريش: أن محمدا «صلى الله عليه وآله» يريد أن تكون دعوته إنسانية عالمية، لا تختص بعرب مكة والحجاز وأدركت أن هجرة هؤلاء إلى الحبشة لم تكن متمحضة في الهروب من التعذيب، لأن الكثيرين من أولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب.

هذا عدا عن أنهم يمثلون مختلف القبائل المكية أيضا، ويمثلون رصيذا يملكه الإسلام والمسلمون، ويدّخرونه للوقت المناسب، وأصبح واضحا لكل أحد: أن القضاء على مسلمي مكة لا يعني القضاء على الإسلام.

3-وترى كذلك: أن معنى هجرة المسلمين هذه، و خروجهم من تحت سلطتها، هو أنها سوف تكون أمام مواجهة شاملة، وأن مصالحها في معرض التهديد والبنار، وقد رأَت أن أبا ذر بإقامته بعسفان على طريق القوافل، وكلما أقبلت غير لقريش احتجزها حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وظل على ذلك إلى ما بعد حرب أحد، قد ضايقها تلك المضايقة الشديدة مع العلم بأن القضاء على حركته ربما يكون أسهل وأيسر، لأنه في منطقتها، ويمكن تطويقه، والحد من نشاطه بسرعة؛ لأنه بين أمة كلها تدين لقريش بالولاء، وتقول بمقالتها، كما أنهم ينظرون إليه على أنه غريب ومعتد.

إذن فإن وجود المسلمين، وهم من قريش في الصميم في منطقة بعيدة عن نفوذ القرشيين و سلطانهم، وفي ملجأ أمين، ومنطلق مطمئن، ليشكل أعظم الأخطار على قريش و مصالحها، الأمر الذي يحتم عليها التريث والصبر، وإحكام التدبير، لا سيما وأنها لا تجد إلى تصفية النبي «صلى الله عليه وآله» جسديا حيلة، ولا إلى إسكاته سبيلا، ما دام في حماية شيخ الأبطح، أبي طالب

«عليه السلام» و الهاشميين، باستثناء أبي لهب لعنه الله، فأرسلت إلى النجاشي ممثلين عنها لاسترداد المهاجرين، فرجعا إليها بالفشل الذريع والخيبة القاتلة، فأفقدوا ذلك صوابها وأصبحت تتصرف بدون وعي، ولا تدبر، فعُدّت من جديد على من تبقى من المسلمين بالعذاب والتنكيل.

و جعلت تتعرض للنبي «صلى الله عليه وآله» بالسخرية، والاستهزاء، والاتهام بالجنون والسحر، والكهانة، وأنواع مختلفة من الحرب النفسية والأذى.

الثورة على النجاشي:

و كان وجود المسلمين في الحبشة، قد تسبب للنجاشي ببعض المتاعب؛ حيث اتهمه أهل بلاده بأنه خرج من دينهم فثاروا عليه. ولكنه استطاع أن يخمد الثورة بحسن إدراكه ووعيه، واستمر المسلمون عنده في خير منزل، و خير جار، حتى رجعوا إلى المدينة، بعد هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» إليها كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فيروي محمد بن إسحاق، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، و خرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفنا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم؛ فإن هزمت؛ فاذهبوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا، ثم خرج إليهم فجادلهم في الأمر، فانصرفوا عنه (1) وكان ذلك قبل إيفاد قريش

ص: 260

1- تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 136 السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 365، و البداية و النهاية ج 3 ص 77، و السيرة الحلبية ج 2 ص 202 و {ط دار المعرفة} ص 465 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 28 و سبل الهدى و الرشاد ج 2 ص 392.

عمروا و عمارة، بدليل قول النجاشي لهما «فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي، ولا أطاع الناس فيّ، فأطيع الناس فيه، ردوا عليهم هداياهم؛ فلا حاجة لي بها، و اخرجوا من بلادتي، فخرجوا مقبوحين» (1).

وقد كانت هذه الفترة التي أعقبت هجرة المسلمين إلى الحبشة قد تميزت بهدوء نسبي، ولعله استمر إلى عودة عمرو بن العاص من الحبشة إلى مكة بالخبيبة والخسران.

عودة بعض المهاجرين:

و تسربت أنباء الهدنة القصيرة والعفوية غير المعلنة التي حصلت في مكة إلى مسامع المسلمين في الحبشة.

ورأى المسلمون ما جرى للنجاشي بسببهم، فارتأى فريق منهم العودة إلى مكة، بعد شهرين، أو ثلاثة أشهر، وعاد منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، وكان ما كان من رده جواره، ورضاه بجوار الله تعالى، حسبما تقدم.

نعم، هذا هو السر في رجوع بعض المهاجرين من الحبشة، وليس ما ذكره أعداء الإسلام من قصة الغرانيق التي لا شك في كذبها كما سنرى.

قصة الغرانيق:

و ملخص هذه القضية المكذوبة: أنه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة بحوالى شهرين؛ جلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع المشركين، فأنزل

ص: 261

1- البداية والنهاية ج 3 ص 75 عن ابن إسحاق، وسيرة ابن هشام ج 1 ص 362.

اللّٰهُ تَعَالٰى عَلَيْهِ سُوْرَةُ النّٰجْمِ؛ فَقْرَأْهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَوْلُهُ تَعَالٰى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَدَامَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى (1)، وَسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ بِكَلِمَتَيْنِ، فَتَكَلَّمَ بِهِمَا، طَانَا أَنَّهُمَا مِنْ جَمَلَةِ الْوَحْيِ وَهَمَا: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ (2) الْعُلَى، وَأَنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْتَجَى»، ثُمَّ مَضَى فِي السُّورَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّجْدَةَ، سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ.

لكن الوليد بن المغيرة لم يتمكن من السجود، لشيخوخته، أو لتكبره- على الخلاف- فرفع ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وقيل: إن الذي فعل ذلك هو سعيد بن العاص، وقيل كلاهما، وقيل: أمية بن خلف، وصحح، وقيل: أبو لهب، وقيل: المطلب.

وَأَضَافَ الْبَخَارِيُّ سَجُودَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، إِلَى مَجْمُوعِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُشْرِكِينَ وَطَارَ الْخَبْرُ فِي مَكَّةَ، وَفَرَحَ الْمُشْرِكُونَ، بَلْ وَيَقَالُ: إِنَّهُمْ حَمَلُوا الرَّسُولَ، وَطَارُوا بِهِ فِي مَكَّةَ مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا.

وَلَمَّا أَمْسَى جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ السُّورَةَ، وَذَكَرَ الْكَلِمَتَيْنِ فِيهَا؛ فَأَنْكَرَهُمَا جِبْرِئِيلُ؛ فَقَالَ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: قُلْتُ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنَقْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا، وَلَوْ لَا أَنْ تُبَيِّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذَا لَأَذَقْنَاكَ

ص: 262

1- الآيتين 19 و 20 من سورة النجم.

2- الغرائيق، جمع غرنوق بكسر الغين: طيور الماء. شبهت الأصنام بها لا ارتفاعها في السماء فتكون الأصنام مثلها في رفعة القدر، و الغرنوق أيضا: الشاب الأبيض الناعم.

ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا (1).

وقد استدلوا على صحة هذه الرواية بالآية التي يدعون: أنها نزلت بهذه المناسبة وهي قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ. (2).

وعدد من أسانيد هذه الروايات صحيح عند بعض الفرق (3).

ويقولون: إنه لما سمع المسلمون في الحبشة بالسلام والوثام بين النبي «صلى الله عليه وآله» وقريش عادت طائفة منهم إلى مكة، فوجدوا الأمر على خلاف ذلك.

ونحن نعتقد جازمين بكذب هذه الروايات، وافتعالها، وشاركنا في هذا الاعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن إسحاق حين ما سئل عنها: «هذا من وضع الزنادقة»، وصنف في تفنيدها كتابا (4).

ص: 263

1- الآيات 73 و 74 و 75 من سورة الإسراء.

2- الآيتان 52 و 53 من سورة الحج.

3- راجع: الدر المنثور ج 4 ص 194 و 366-368 و السيرة الحلبية ج 1 ص 325-326، و تفسير الطبري ج 17 ص 131-134، و فتح الباري ج 8 ص 333. وأشار إلى أصلها البخاري أيضا في غير موضع من صحيحه، كما في البداية والنهاية ج 3 ص 90، وقد صرح السيوطي في دره المنثور بصحة أسانيد عدد منها، وراجع: لباب النقول، و تفسير الطبري، وهي موجودة في مختلف التفاسير، عند تفسير الآيات، و لذا فلا حاجة إلى تعداد مصادرها.

4- راجع: البحر المحيط لأبي حيان ج 6 ص 381.

وقال القاضي عبد الجبار عن هذا الخبر: «لا أصل له، و مثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة» (1).

وقال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة فيه (2).

وأنكرها البيضاوي، طاعنا في أسانيدها، وكذا البيهقي، والنووي والرازي، والنسفي، وابن العربي، والسيد المرتضى، وفي تفسير الخازن: أهل العلم و هنوا هذه القصة (3).

وقال عياض: «إن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون و المؤرخون المولعون بكل غريب، و المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم».

و صدق القاضي بكر بن العلاء المالكي، حيث قال: «لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، و تعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته و اضطراب رواياته، و انقطاع أسناده و اختلاف كلماته» (4).

و نحن نؤيد ما قاله لعدة أسباب:

أولاً: إن جميع روايات هذه القصة سوى طريق سعيد بن جبیر، إما

ص: 264

1- تنزيه القرآن عن المطاعن ص 243.

2- عن تفسير البحر المحيط ج 6 ص 381.

3- السيرة الحلبية ج 1 ص 11، و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 130، و الرحلة المدرسية ص 38. وفتح الباري ج 8 ص 333، و تفسير الرازي ج 23 ص 50.

4- الشفاء ج 2 ص 126 ط العثمانية و المواهب اللدنية ج 1 ص 53.

ضعيف، أو منقطع (1) وحديث سعيد مرسل، والمرسل عند جمهور المحدثين من قسم الضعيف، لاحتمال أن يكون قد رواه عن غير الثقة (2).

وأيضا فإن الاحتجاج بالمرسل لو سلم؛ فإنما يكون في الفرعيات وما نحن فيه يرتبط بالعقائد، التي تحتاج إلى القطع، هذا والملاحظ لأسانيدنا يراها تنتهي: إما إلى تابعي أو إلى صحابي لم يولد إلا بعد هذه القضية.

بل إن هذه الرواية يجب ردها والقطع بكذبها، ولو كان سندها متصلا، لأنها مصادمة لحكم العقل كما سنرى وبهذا رد على القسطلاني، والعسقلاني، وآخرين حيث قد حكموا بصحتها، وبأن لها أصلا لكثرة طرقها (3).

ثانيا: تناقض رواياتها، وقد تقدم التناقض فيمن لم يسجد، ونزيد هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قرأها وهو يصلي، أو وهو جالس في نادي قومه.

حدث نفسه بها. . أو جرت على لسانه، الشيطان أخبرهم: أنه «صلى الله عليه وآله» قالها، أو قرأها المشركون، تنبه «صلى الله عليه وآله» حين قراءتها، أو لم يتنبه إلى المساء.

بل ذكر الكلاعي: أن الأمر لم ينكشف بهذه السرعة، بل فشا الأمر حتى بلغ الحبشة: أن المسلمين قد آمنوا في مكة، فقدم مسلموها، ونزل نسخ

ص: 265

1- فتح الباري ج 8 ص 333.

2- راجع: مقدمة ابن الصلاح ص 26.

3- فتح الباري ج 8 ص 333، والسيرة الحلبية ج 1 ص 326 وراجع سيرة مغلطاي ص 24 المواهب اللدنية ج 1 ص 53.

ما ألقاه الشيطان، فلما بين الله قضاءه اشتد المشركون على المسلمين (1)، إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف.

ويقولون: لا حافظة لكذوب.

ثالثا: إن هذه الرواية ليس فقط تنافي ما هو مقطوع به من عصمته «صلى الله عليه وآله» عن الخطأ والسهو، وعلى الأخص في أمر التبليغ، وهو ما قام عليه إجماع الأمة، والأدلة القطعية، وإنما هي تثبت الارتداد له «صلى الله عليه وآله» نعوذ بالله من الغواية، عن طريق الحق والهداية.

رابعا: إن هذه الرواية تنافي قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ. (2) وقوله: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (3) إلا أن يفرض هؤلاء-والعياذ بالله-أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن من عباد الله، ولا من الذين آمنوا، ولا من المتوكلين، وليس هذا القول إلا الكفر بعد الإيمان، كما هو ظاهر للعيان.

خامسا: ينص الكلاعي على أن المشركين والمسلمين قد سجدوا جميعا لما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» آخر السورة، وأن المسلمين قد عجبوا لسجود المشركين؛ لأن المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين مع أنه يصرح قبل ذلك بأسطر: أن الشيطان قد ألقى

ص: 266

1- راجع: الاكتفاء للكلاعي ج 1 ص 352 و 353.

2- الآية 42 من سورة الحجر.

3- الآية 99 من سورة النحل.

تلك الكلمات على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه! (1).

فإرد سؤال: إنه كيف سمع المشركون ما ألقاه الشيطان على لسانه «صلى الله عليه وآله»، ولم يسمعه المسلمون، وهم معهم، ولا بد أنهم كانوا أقرب إليه «صلى الله عليه وآله» منهم؟! .

سادسا: إن جميع الآيات المذكورة لا يمكن أن تكون ناظرة إلى مناسبة هذه الروايات إطلاقاً؛ فأمّا:

1-آيات سورة النجم؛ فإنه تعالى قد قال عن أصنام المشركين: مناة، واللات، والعزى: **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (2).**

فكيف رضي المشركون بأن يذم آلهتهم بهذا النحو الحاد، ثم فرحوا بقوله المزعوم ذاك وسجدوا معه؟!

وكيف لم يدركوا أو كيف فسروا هذا التناقض الظاهر في كلامه، حتى حملوه-كما زعم-و طاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها وهم يقولون: نبي بني عبد مناف؟! .

و النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، لماذا لم يلتفت إلى هذا التناقض الظاهر، وبقي غافلاً عنه إلى الليل، حتى جاء جبرئيل فنبهه إليه؟!

فهل كان «صلى الله عليه وآله» في غيبوبة طويلة تلك الفترة؟!

ص: 267

1- راجع: الإكتفاء للكلاعي ج 1 ص 352 و 353.

2- الآية 23 من سورة النجم.

أم أنه كان سقيم الذهن-والعياذ باللّٰه-إلى هذا الحد؟ !

كما أن علينا أن نتساءل عن سبب مجيء جبرئيل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المساء؟ ولماذا عرض عليه النبي «صلى الله عليه وآله» السورة؟

ثم، أليست هذه الرواية تناقض تماما قوله تعالى في سورة النجم نفسها، وبالذات في أول السورة بعد القسم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ؟! (1)فها هو في نفس السورة ينطق عن الهوى، بل هو يردد ما يلقيه إليه الشيطان على أنه آيات قرآنية إلهية.

مع أن الله تعالى يقول: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (2)فها هو يقول عليه ولا يفعل به شيئا (3).

وإذا كانت هذه الآية قد نزلت بعد سورة النجم، فإن ذلك لا يضر ما دامت الآية تعطي قاعدة كلية، ولا تشير إلى قضية خارجية خاصة.

2-و أما آية التمني، فهي في سورة الحج، التي هي مدنية بالاتفاق، ولا سيما وأنه قد ورد فيها الأمر بالأذان في الناس بالحج والأمر بالقتال، والأمر بالجهاد، وذكر فيها الصد عن المسجد الحرام، وكل ذلك إنما كان بعد الهجرة، وبعضه بعدها بعدة سنوات.

ص: 268

1- الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

2- الآيات 44 و 45 و 46 من سورة الحاقة.

3- هذا إن لم نقل إن الآية ناظرة إلى صورة تعمد الكذب على الله، لأنه عبر بالتقول، الذي هو تعمد القول.

هذا بالإضافة إلى أن الضحاك، وابن عباس، وقتادة، وابن الزبير وغيرهم، قد ذكروا أنها مدنية.

وإذا كانت مدنية، فهذا يعني: أن هذه الآية قد نزلت بعد قصة الغرانيق بسنوات عديدة، لأن قصة الغرانيق قد حصلت! في السنة الخامسة من البعثة، فكيف أخر الله تسليية و تهدئة خاطر الرسول هذه السنين الطويلة؟! . على أن معنى الآية لا ينسجم مع مفاد الرواية، فإن التمني هو تشهي حصول أمر محبوب و مرغوب فيه، فالرسول إنما يتشهى و يتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، و أعظم أمنية لإنسان كهذا هي ظهور الحق و الهدى، و طمس الباطل و كلمة الهوى فيلقي الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الأمنية، و يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمة موسى من الغواية ما ألقى، فينسخ الله بنور الهدى غواية الشيطان، و يظهر الحق للعقول السليمة.

و أما لو أردنا تطبيق الآية على ما يقولون، فإن المراد بالتمني يكون هو القراءة و التلاوة و هو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوي و ظاهر اللفظ، و لا نشك في أنه تفسير موضوع و مفتعل ليوافق الرواية المزعومة.

أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، كشاهد على ذلك (1).

فنعتقد: أنه مصنوع و منسوب إليه للغرض نفسه، و ما أكثر ما نجده

ص: 269

1- ففي تنزيه الأنبياء ص 107: أن حسان بن ثابت قال: تمنى كتاب الله أول ليله و آخره لاقى حمام المقادر على أن من الممكن أن يكون المقصود بالتمني هنا حب ذلك و الشوق إليه.

من ذلك في كتب التاريخ، و حتى لو قبلنا أن المراد بالتمني هو التلاوة، فإن من الممكن أن يكون معناه ما قاله المرتضى «رحمه الله» ، و هو: أنه إذا تلا النبي على قومه الآيات حرفوها، و زادوا و نقصوا فيها، كما فعلت اليهود بالكذب على نبيهم فإضافة ذلك إلى الشيطان إنما هو لأنه هو الموسوس لهم بذلك ثم يدحض الله ذلك و يزيله بظهور حجته (1).

3-و أما بالنسبة لآيات سورة الإسراء التي يقولون: إنها نزلت في هذه المناسبة، و هي قوله تعالى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ. (2) فإنها تناقض و تنافي هذه القضية فكيف تكون قد نزلت من أجلها؟!

و ذلك لأن هذه الآيات تقول: إنه «صلى الله عليه و آله» لم يركن إليهم، بل لم يقرب إلى الركون إليهم، و أن الله قد ثبته، و أنه لو ركن لعوقب، و قضية الغرائيق تقول: إنه قد زاد على الركون، فاستجاب، و افترى، و أدخل في القرآن ما ليس منه.

و معنى الآية: أن المشركين قد أصرروا على أن يتركهم و شأنهم، و تفاوضوا معه، و مع أبي طالب كثيرا، فلربما يكون النبي «صلى الله عليه و آله» قد فكر في أن يمهلهم قليلا، لعلهم يفكرون و يرجعون؛ فجاءت الآية لتقول له: إن الصلاح في عدم الإمهال، بل في الشدة، هذا كله.

عدا عن أنهم يقولون: إن آيات سورة الإسراء قد نزلت في ثقيف،

ص: 270

1- تنزيه الأنبياء ص 107 و ص 108.

2- الآية 73 من سورة الإسراء.

حينما اشترطوا لإسلامهم شروطا تزيد في شرفهم، وقيل: نزلت في قريش حينما منعتهم من استلام الحجر، وقيل: نزلت في يهود المدينة، عندما طلبوا منه أن يلحق بالشام (1)، وقد اقتصر القاضي البيضاوي على هذه الوجوه. .

سابعاً: وأخيراً كيف سجد المشركون عند نهاية السورة لقوله تعالى: فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا مع أنهم يرفضون السجود لله؟

قال تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً (2).

ثم كيف لا يرتد أحد من المسلمين، أو يتزلزل إيمانه حينما يعلم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد مدح الأصنام، وجعل لها شفاعة؟ (3)!

تساؤلات حائرة:

وأخيراً. . فلا ندري كيف يمكن فهم وتعليل ما ذكرته بعض الروايات من أنه إنما حدث «صلى الله عليه وآله» نفسه بتلك الفقرات؟

فكيف علم قومه بذلك حتى فعلوا ما فعلوا، ثم بلغ الخبر إلى المسلمين في الحبشة، فجاؤوا.

وكذا قولهم: إن المشركين قد حملوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها، فكيف لم يتساءل النبي «صلى الله عليه وآله»

ص: 271

1- راجع: السيرة الحلبية ج 1 ص 326، و الدر المنثور، و تفسير الخازن، و سائر كتب التفسير.

2- الآية 60 من سورة الفرقان.

3- راجع هامش: الاكتفاء للكلاعي ج 1 ص 353 و 354.

عليه وآله» عن سر هذا التبديل العظيم في موقف قومه؟!

وقولهم: إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة إلى الحبشة، نقول فيه، إنهم يقولون: إن عودة مهاجري الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضا.

فهل وصل إليهم الخبر بالتلكس، أو بالتلفون؟! وهل جاؤا بالطائرة، أم بسفن ارتياد الفضاء؟!

إلا أن يكون المراد: أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم، وإن كان هذا بعيدا عن ظاهر اللفظ.

وكذا قولهم: إنه لما عرض «صلى الله عليه وآله» السورة على جبرائيل، وقرأ الفقرتين، أنكرهما جبرائيل فقال «صلى الله عليه وآله»: قلت على الله ما لم يقل؟ فأنزل الله، وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ .

نقول فيه: إن الخطاب في الآية للنبي «صلى الله عليه وآله»: أن الناس كادوا يفتنونه، مع أن الرواية تنص على أن الشيطان هو الذي كاد أن يفتنه، إلى غير ذلك من موارد الضعف والوهن والتناقض التي يمكن تلمسها في هذا المجال.

حقيقة الأمر:

و الظاهر هو أن حقيقة ما جرى هو ما قيل من: أن الكفار كانوا يكثرون اللغو واللغط حين قراءته «صلى الله عليه وآله» حتى لا يسمع أحد ما يقرأ قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (1) فحينما قرأ النبي «صلى الله عليه وآله» سورة النجم،

ص: 272

وانتهى إلى هذا المورد، قال المشركون تلك الغرائق العلى الخ. (1).

نعم، ثم جاء القصاصون و الحاقدون، و لعل منهم مسلمة أهل الكتاب، الذين أدخلوا الكثير من إسرائيلياتهم في الإسلام-جاؤوا-ونسجوا حولها ما يتلاءم مع مصالحهم وأهدافهم الشريرة، من الطعن بعصمته «صلى الله عليه وآله»، ثم التشكيك بكل ما في القرآن، بحيث يتهيا الجولتطرق احتمالات من هذا النوع في كل سورة وآية، ثم التدليل على مدى جهل النبي «صلى الله عليه وآله» وعدم إدراكه حتى المتناقضات الواضحة.

ثم خضوعه لسلطان الشيطان، وعدم قدرته على تمييز ما هو منه عما هو من غيره.

ولكننا نجدهم يقولون في مقابل ذلك، كما تقدم: إن الشيطان يفر من حسن عمر (2) أو لم يلق الشيطان عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجهه (3)، أو ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر (4) ولعلهم أرادوا أن يقولوا: إن للنبي شيطاناً يعتريه كما كان لأبي بكر. .

ص: 273

1- السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 128 و تنزيه الأنبياء ص 107 و ليراجع هامش الاكتفاء للكلاعي ج 1 ص 354 عن السهيلي، و قد نقل الكلبي في كتاب الأصنام: أن قريشا كانت تقول هذه الكلمات في مدحها لأصنامها حول الكعبة-كما نقل.

2- الرياض النضرة ج 2 ص 301.

3- عمدة القارئ ج 16 ص 196 و راجع تاريخ عمر ص 62.

4- صحيح مسلم ج 7 ص 115 و في تاريخ عمر ص 35 ما يقرب من ذلك و كذلك ص 62 و الغدير ج 8 ص 94 و مسند أحمد ج 1 ص 171 و 182 و 187 و صحيح البخاري ج 2 ص 44 و 188 و عمدة القارئ ج 16 ص 196.

وقد تقدم الحديث عن كل ذلك في بحوث سابقة.

ثم جاء المستشرقون الحاقدون، أعداء الإسلام، فحاولوا الاستفادة من هذه الأباطيل والأساطير للطعن في نبينا الأعظم «صلى الله عليه و آله»⁽¹⁾، فأحبط الله سعيهم، ورد كيدهم إلى نحورهم.

فإن الحق كالصبح أبلج، وسيرة نبينا في النبيل والصفاء والطهر من كل عيب وشين كذكاء في كبد السماء تتوهج.

ص: 274

1- راجع: تاريخ الشعوب الإسلامية ص 34 لبروكلمان و كتاب الإسلام ص 35 و 36 لألفريد هيوم.

تناقضات في تاريخ إسلام حمزة عليه السلام:

ويقولون: إن إسلام حمزة بن عبد المطلب «عليه السلام» كان في الثانية من البعثة.

ثم يقولون: إنه أسلم بعد دخوله «صلى الله عليه وآله» دار الأرقم. وهذا متناقض؛ لأنه إنما دخل دار الأرقم في أواخر السنة الثالثة، كما يدعون.

وتناقض آخر: إنهم يذكرون أنه أسلم قبل عمر بثلاثة أيام، مع أنهم يذكرون أن عمر أسلم في السنة السادسة بعد خروج النبي «صلى الله عليه وآله» من دار الأرقم، وهذا متناقض؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» إنما دخلها في أواخر السنة الثالثة من البعثة ولمدة شهر واحد فقط كما يقال. .

وسياتي أن التحقيق هو: أن إسلام عمر كان بعد إسلام حمزة بسنوات.

إسلام حمزة عليه السلام:

ونلاحظ: أن ابن هشام وغيره يذكرون إسلام حمزة «رحمه الله» بعد الهجرة إلى الحبشة، أي في حوالي السنة السادسة للبعثة، ونحن نرجح ذلك؛ لأنه حين أسلم -كما يقول المقدسي- عز به النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل الإسلام، فشق ذلك على المشركين، فعدلوا عن المناظرة إلى المعاتبة، وأقبلوا

يرغبونه في المال والأنعام، ويعرضون عليه الأزواج (1).

وعروضهم هذه إنما كانت بعد الهجرة إلى الحبشة، كما يفهم من سيرة ابن هشام.

كما أنه إنما أسلم بعد الإعلان بالدعوة، وبعد مفاوضات قريش مع أبي طالب وعروضها عليه، وبعد أن عدلوا عن ذلك إلى العداوة والأذى.

وعلى كل حال، فقد كان إسلام حمزة تطوراً جديداً لم يكن قد دخل في حسابات قريش، حيث قلب الموازين رأساً على عقب، وفتت في عضد قريش، وزاد من مخاوفها، وكبح من جماحها.

فقد مر أبو جهل بالرسول عند الصفا، فأذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه الرسول «صلى الله عليه وآله».

وكان حمزة صاحب صيد وقنص، وكان إذا رجع بدأ بالبيت، وطاف به، وسلم على من فيه، ورجع إلى بيته.

وفي هذه المرة كان حمزة راجعاً من صيده، فأخبرته إحدى النساء بما كان من أبي جهل تجاه الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، فاحتمل حمزة الغضب، ودخل المسجد، فرأى أبا جهل جالساً مع القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربة شجه بها شجة منكورة.

ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟

ص: 278

1- البدء والتاريخ ج 4 ص 148 و 149، وهو الظاهر من سيرة ابن هشام، حيث ذكر هذه العروض بعد ذكره لإسلام حمزة «عليه السلام».

فرد عليّ ذلك إن استطعت و كان ذلك بعد أن تضرع إليه أبو جهل، و أخذ بثوبه، فلم يقبل منه.

فقام رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل، فقالوا لحمزة: ما نراك إلا قد صبأت؟

فقال حمزة: و ما يمنعني؟

و قد استبان لي منه أنه رسول الله، و الذي يقول حق؟! فو الله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين.

فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره، فإني و الله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

يقول المقدسي: «فلما أسلم حمزة عزّ به الدين و النبي «صلى الله عليه و آله» (1)، و سرّ رسول الله بإسلامه كثيرا.

و علمت قريش: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد عز و امتنع، فكفوا عما كانوا ينالونه منه.

و قال حمزة للنبي «صلى الله عليه و آله»: فأظهر يا ابن أخي دينك، فو الله ما أحب أن لي ما أظلته السماء، و أني على دين الأول (2).

و كان حمزة أعز فتى في قريش، و أشدهم شكيمة (3).

ص: 279

1- البدء و التاريخ ج 5 ص 98.

2- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 72 و 73 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 312.

3- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 72.

إسلام حمزة كان عن وعي لا حمية:

و الظاهر، بل الصريح من كلام حمزة «رحمه الله» ، ولا سيما قوله الأخير: «و ما يمنعني، وقد استبان لي منه: أنه رسول الله، والذي يقول حق» أنه لم يكن في إسلامه منطلقاً من عاطفته التي أثّرت وحسب، وإنما سبقت ذلك قناعة كاملة، كَوْنُها مما شاهده عن قرب من مواقف وسلوك، وسمعه من أقوال النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» .

وقد يستفاد من قوله: أتشتمه وأنا على دينه؟! أن إسلامه كان متقدماً على ذلك الوقت، ولكنه كان يتكتم به مراعاة للظروف، و حفاظاً على الإسلام والمسلمين، الذين كانوا أضعف من أن يتمكنوا من مواجهة قريش وجبروتها.

ولربما كان بعضهم بحاجة إلى المزيد من التربية النفسية الخاصة، ليتمكن من مواجهة تلك الظروف القاسية مع المشركين.

سر جن أبي جهل في مواجهة حمزة:

ولا بد من التذكير هنا: بأن أبا جهل، عظيم المشركين وجبارهم مع أنه كان بين أهله وعشيرته، ومع أن عشيرته قد أعلنت عن استعدادها لنصرته، فإنه كان أجبن وأذل من أن يقف في وجه أسد الله وأسد رسوله، وما ذلك إلا لأنه كان من جهة:

يعلم فتوة حمزة وعزته، وشدة شكيمته وبطولته، ورأى مدى تصميمه وإصراره، وعرف مقدار استعداده للتضحية والفداء في سبيل دينه، وعقيدته.

ومن الجهة الأخرى: فإن أبا جهل إنما كان يحارب النبي «صلى الله عليه وآله» و يناقضه، حبا بالحياة، و من أجل الدنيا، فهو إذا لا يريد الموت

إطلاقاً، بل هو يهرب منه، ويعدّه خسارة له، ما بعدها خسارة.

أما حمزة «رحمه الله»، فكان يعتبر الموت في سبيل هذا الدين نصراً وفوزاً، تماماً بالمقدار الذي يعتبره أبو جهل، ومن هم على شاكلته خسراناً وضياعا فلماذا إذا يخشى الموت ويخافه؟

بل لماذا لا يكون الموت عنده أحلى من العسل، وألذ من الشهد؟ .

ومن جهة ثالثة: فإن أبا جهل لم يكن على استعداد لأن يحارب بني هاشم في تلك الفترة، التي كان له فيها أنصار كثيرون فيهم، لأن حربه لهم لسوف تؤدي إلى أن يخسر هؤلاء الذين يلتقي معهم فكرباً وعقيداً، لأنهم بحكم المنطق القبلي الذي يهيمن على مواقفهم و تصرفاتهم لن يتركوا ابن أخيهم، حتى ولو كان على غير دينهم، وقد وعدوا أبا طالب باستثناء أبي لهب أن يمنعوا محمداً ممن يريد به سوء كما تقدم.

بل إن تحرك أبي جهل في ظروف كهذه لربما يؤدي إلى ترسيخ أمر محمد، وإلى دخول الكثيرين من بني هاشم في دينه، حمية وانتصاراً.

وهذا ما لا يريده أبو جهل، ولا يرغب فيه.

إذا، فقد كانت جميع الظروف تدفعه إلى الاستسلام للذل والهوان في مقابل أسد الله وأسد رسوله.

والخلاصة:

أن حب أبي جهل للحياة، وجنبه، ثم ما كان يراه من الصلاح في عدم التصعيد في مناهضة محمد وبني هاشم، قد جعله في موقف الذليل المهان، وجعل الله كلمة الباطل هي السفلى، وكلمة الحق هي العليا.

ص: 281

و الملاحظ هنا: أنه بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب تتراجع قريش، وتلين من موقفها، وتدخل في مفاوضات معه «صلى الله عليه وآله» ، وتعطيه بعض ما يريد، لأنها رأّت أن المسلمين يزيد عددهم ويكثر، فكلّمه عتبة، فأبى «صلى الله عليه وآله» كل عروضهم (1).

عبس و تولى:

ويذكر المؤرخون بعد قضية الغرائق، القضية التي نزلت لأجلها سورة عبس و تولى، المكية، والتي نزلت بعد سورة النجم.

و ملخص هذه القضية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يتكلم مع بعض زعماء قريش، ذوي الجاه و المال، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم -و كان أعمى- فجعل يستقرئ النبي «صلى الله عليه وآله» آية من القرآن، قال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله.

فأعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» و عبس في وجهه، و تولى، و كره كلامه، و أقبل على أولئك الذين كان «صلى الله عليه وآله» قد طمع في إسلامهم، فأنزل الله تعالى:

عَبَسَ وَ تَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى، فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَ مَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكِّي، وَ أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى، وَ هُوَ يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (2).

ص: 282

1- راجع: كنز العمال: ج 14 ص 48 عن البيهقي في الدلائل، و ابن عساكر.

2- الآيات من أول سورة عبس.

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» كره مجيء ابن أم مكتوم وقال في نفسه: يقول هذا القرشي: إنما أتباعه العميان والسفلة، والعبيد، فعبس «صلى الله عليه وآله» الخ. «وكان ذلك الزعيم لم يكن يعلم بذلك!! وكان قريشا لم تكن قد صرحت بذلك وأعلنته!!» .

وعن الحكم: ما روي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد هذه الآية متصديا لغني، ولا معرضا عن فقير.

وعن ابن زيد: لو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتم شيئا من الوحي، كتم هذا عن نفسه (1).

فابن زيد يؤكد بكلامه هذا على مدى قبح هذا الأمر، وعلى مدى صراحة الرسول «صلى الله عليه وآله»، حتى إنه لم يكتف هذا الأمر، رغم شدة قبحه وشناعته! .

لقد أجمع المفسرون، وأهل الحديث، باستثناء شيعة أهل البيت «عليهم السلام» على أصل القضية المشار إليها.

ونحن نرى: أنها قضية مفتعلة، لا يمكن أن تصح، وذلك.

أولا: لضعف أسانيدها، لأنها تنتهي: إما إلى عائشة، وأنس، وابن

ص: 283

1- راجع في هذه الروايات: مجمع البيان ج 10 ص 437 والميزان عن المجمع وتفسير ابن كثير ج 4 ص 470 عن الترمذي، وأبي يعلى، و حياة الصحابة ج 2 ص 520 عنه، و تفسير الطبري ج 30 ص 33 و 34، و الدر المنثور ج 6 ص 314 و 315. وأي تفسير قرآن آخر لغير الشيعة؛ فإنك تجد فيه الروايات المختلفة التي تصب في هذا الاتجاه، فراجع الأخير على سبيل المثال.

عباس، من الصحابة، وهؤلاء لم يدرك أحد منهم هذه القضية أصلاً، لأنه إما كان حينها طفلاً، أو لم يكن ولد (1)، أو إلى أبي مالك (2)، و الحكم، وابن زيد، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وهؤلاء جميعاً من التابعين فالرواية إليهم تكون مقطوعة، لا تقوم بها حجة.

ثانياً: تناقض نصوصها (3) حتى ما ورد منها عن راو واحد، فعن عائشة، الأمر الذي يشير إلى وجوب كذب وافتعال لكثير من نصوصها فلا يمكن الاعتماد على الروايات إلا بعد تحديد ما هو صحيح منها.

في رواية: إنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، وفي أخرى عنها: عتبة وشيبة.

وفي ثالثة عنها: في مجلس فيه ناس من وجوه قريش، منهم أبو جهل، وعتبة بن ربيعة.

وفي رواية عن ابن عباس: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يناجي عتبة، وعمه العباس، وأبا جهل.

وفي التفسير المنسوب إلى ابن عباس: إنهم العباس، وأمّية بن خلف، وصفوان بن أمّية.

وعن قتادة: أمّية بن خلف، وفي أخرى عنه: أبي بن خلف.

وعن مجاهد: صناديد من صناديد قريش، وفي أخرى عنه: عتبة بن

ص: 284

1- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158.

2- الظاهر أن المراد به: أبا مالك الأشجعي، المشهور بالرواية، وتفسير القرآن، وهو تابعي.

3- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158 و 159.

هذا، عدا عن تناقض الروايات مع بعضها البعض في ذلك، وفي نقل ما جرى، وفي نص كلام الرسول «صلى الله عليه وآله»، و نص كلام ابن أم مكتوم.

ونحن نكتفي بهذا القدر، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعة و المقارنة.

ثالثاً: إن ظاهر الآيات المدعى نزولها في هذه المناسبة هو أنه كان من عادة هذا الشخص و طبعه، و سجيته، و خلقه: أن يتصدى للغني، و يهتم به و لو كان كافراً و يتلهى عن الفقير و لا يبالي به أن يتزكى، و لو كان مسلماً.

و كلنا يعلم: أن هذا لم يكن من صفات و سجايا نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله»، و لا من طبعه، و خلقه.

كما أن العبوس في وجه الفقير، و الإعراض و التولي عنه، لم يكن من صفاته «صلى الله عليه وآله» حتى مع أعدائه، فكيف بالمؤمنين من أصحابه و أودائه (1)، و هو الذي وصفه الله تعالى بأنه بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ (2).

بل لقد كان من عادته «صلى الله عليه وآله» مجالسة الفقراء، و الاهتمام بهم، حتى ساء ذلك أهل الشرف و الجاه، و شق عليهم، و طالبه المملأ من قريش بأن يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، و أشار عليه عمر بطردهم، فنزل قوله تعالى: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (3).

ص: 285

1- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158، و الميزان ج 20 ص 203، و تنزيه الأنبياء ص 119 و مجمع البيان ج 1 ص 437.

2- الآية 128 من سورة التوبة.

3- الآية 52 من سورة الأنعام.

و يظهر: أن الآية قد نزلت قبل الهجرة إلى الحبشة لوجود ابن مسعود في الرواية، أو حين بلوغهم أمر الهدنة، ورجوعهم إلى مكة.

ولكن يبقى إشكال أن ذكر عمر في هذا المقام في غير محله، حيث لم يكن قد أسلم حينئذ لأنه إنما أسلم قبل الهجرة إلى المدينة بيسير، كما سنرى.

كما أن الله تعالى: قد وصف نبيه في سورة القلم التي نزلت قبل نزول «عَبَسَ وَتَوَلَّى» بأنه على خلق عظيم، فإذا كان كذلك، فكيف يصدر عنه هذا الأمر المنافي للأخلاق، والموجب للعتاب واللوم منه تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»، فهل كان الله-والعياذ بالله- جاهلاً بحقيقة أخلاق نبيه؟ أم أنه يعلم بذلك، لكنه قال هذا لحكمة ولمصلحة اقتضت ذلك؟ نعوذ بالله من الغواية، عن طريق الحق والهداية.

رابعاً: إن الله تعالى يقول في الآيات: وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ، وهذا لا يناسب أن يخاطب به النبي «صلى الله عليه وآله»، لأنه مبعوث لدعوة الناس وتركيتهم.

وكيف لا يكون ذلك عليه، مع أنه هو مهمته الأولى والأخيرة، ولا شيء غيره.

ألم يقل الله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. (1) فكيف يغريه بترك الحرص على تزكية قومه (2).

ص: 286

1- الآية 2 من سورة الجمعة.

2- تنزيه الأنبياء ص 119.

خامسا: لقد نزلت آية الإنذار: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (1)** قبل سورة عبس بسنتين فهل نسي «صلى الله عليه وآله»: أنه مأمور بخفض الجناح لمن اتبعه؟

و إذا كان نسي، فما الذي يؤمننا من أن لا يكون قد نسي غير ذلك أيضا، و إذا لم يكن قد نسي، فلماذا يتعمد أن يعصي هذا الأمر الصريح؟! **(2)**.

سادسا: إنه ليس في الآية ما يدل على أنها خطاب للنبي «صلى الله عليه وآله»، بل الله سبحانه يخبر عن رجل ما أنه: **عَبَسَ وَ تَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى** ثم التفت الله تعالى بالخطاب إلى ذلك العابس نفسه، و خاطبه بقوله: **وَمَا يَذْكُرُكَ لَعَلَّه يَرْكُبُ** أي بحضوره مجلس النبي «صلى الله عليه وآله» و سماعه لما يدور فيه الخ. .

سابعا: لقد ذكر العلامة الطباطبائي: أن الملاك في التفضيل و عدمه ليس هو الغنى و الفقر، وإنما هو الأعمال الصالحة، و السجايا الحسنة، و الفضائل الرفيعة.

و هذا حكم عقلي و جاء به الدين الحنيف، فكيف جاز له «صلى الله عليه وآله» أن يخالف ذلك، و يميز الكافر لما له من وجهة على المؤمن؟ **(3)**.

و القول: بأنه إنما فعل ذلك لأنه يرجو إسلامه، و على أمل أن يتقوى به الدين، و هذا أمر حسن، لأنه في طريق الدين، و في سبيله، لا يصح، لأنه

ص: 287

1- الآيتان 214 و 215 من سورة الشعراء.

2- الميزان ج 20 ص 303.

3- راجع: الميزان ج 20 ص 304.

يخالف صريح الآيات التي تنص على أن الدم للعابس كان لأجل أنه يتصدى لذاك الغني لغناه، و يتلهى عن الفقير لفقره.

ولو صح هذا، فقد كان اللازم أن يفيض القرآن في مدحه وإطرائه على غيرته لدينه، و تحمسه لرسالته؛ فلماذا هذا الدم و التقرير إذا؟ !

ونشير أخيرا: إلى أن البعض قد ذكر: أنه يمكن القول بأن الآية خطاب كلي مفادها: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان إذا رأى فقيرا تأذى و أعرض عنه.

و الجواب:

أولا: إن هذا يخالف القصة التي ذكروها من كونها قضية في واقعة واحدة لم تتكرر .

ثانيا: إذا كان المقصود هو الإعراض عن مطلق الفقير؛ فلماذا جاء التنصيص على الأعمى؟ ! .

ثالثا: هل صحيح أنه قد كان من عادة النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك؟ !! .

المذنب رجل آخر:

فيتضح مما تقدم: أن المقصود بالآيات شخص آخر غير النبي «صلى الله عليه وآله» و يؤيد ذلك:

ما روي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» ، أنه قال: كان رسول الله إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحبا، مرحبا، و الله لا يعاتبني الله فيك أبدا، و كان يصنع به من اللطف، حتى يكف عن النبي «صلى الله عليه وآله»

ص: 288

وآله» مما كان يفعل به (1).

فهذه الرواية تشير: إلى أن الله تعالى لم يعاتب نبيه في شأن ابن أم مكتوم، بل فيها تعريض بذلك الرجل الذي ارتكب في حق ابن أم مكتوم تلك المخالفة، إن لم نقل: إنه يستفاد من الرواية نفي قاطع حتى لإمكان صدور مثل ذلك عنه «صلى الله عليه وآله»، بحيث يستحق العتاب والتوبيخ؛ إذ لا معنى لهذا النفي لو كان الله تعالى قد عاتبه فعلا.

هذا ولكن الأيدي غير الآمنة قد حرفت هذه الكلمة؛ فادعت أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، فلتراجع كتب التفسير، كالدر المنثور وغيره، والصحيح هو ما تقدم.

سؤال وجوابه:

ولعلك تقول: إنه إذا كان المقصود بالآيات شخصا آخر؛ فما معنى قوله تعالى: فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقْ وقوله: فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى فإن ظاهره: أن هذا التصدي والتلهي من قبل من يهيمه هذا الدين؛ فيتصدى لهذا، ويتلهي عن ذاك؟! .

فالجواب:

أولا: إنه ليس في الآيات ما يدل على أن التصدي كان لأجل الدعوة إلى الله أو لغيرها.

فلعل التصدي كان لأهداف أخرى دنيوية، ككسب الصداقة، أو

ص: 289

1- تفسير البرهان ج 4 ص 428، و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 509، و مجمع البيان ج 10 ص 437.

الجاه، أو نحو ذلك.

ثانيا: وقوله تعالى: لَعَلَّهُ يَزَّكِّيَ ليس فيه أنه يزكى على يد المخاطب، بل هو أعم من ذلك، فيشمل التزكي على يد غيره ممن هم في المجلس، كالنبي «صلى الله عليه وآله» أو غيره.

ثم لنفرض: أن التصدي كان لأجل الدعوة، فإن ذلك ليس محصورا به «صلى الله عليه وآله» ؛ فهم يقولون: إن غيره كان يتصدى لذلك أيضا، وأسلم البعض على يديه، لو صح ذلك! .

الرواية الصحيحة:

وبعد ما تقدم نقول: الظاهر هو أن الصحيح ما جاء عن الإمام الصادق «عليه السلام» : أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي «صلى الله عليه وآله» ؛ فجاءه ابن أم مكتوم.

فلما جاءه تقذر منه، وعبس في وجهه، وجمع نفسه، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك عنه، وأنكره عليه (1).

ويلاحظ: أن الخطاب في الآيات لم يوجه أولا إلى ذلك الرجل؛ بل تكلم الله سبحانه عنه بصورة الحكاية عن الغائب: إِنَّهُ عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى .

ثم التفت إليه بالخطاب، فقال له مباشرة: وَمَا يُدْرِيكَ .

ويمكن أن يكون الخطاب في الآيات أولا للنبي «صلى الله عليه وآله» ،

ص: 290

1- مجمع البيان ج 10 ص 437 و تفسير البرهان ج 4 ص 428، و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 509.

من باب: «إياك أعني واسمعي يا جارة». و الأول أقرب، و أطف ذوقا.

إتهام عثمان:

و لعلك تقول: إن بعض الروايات تتهم عثمان بهذه القضية، وأنه هو الذي جرى له ذلك مع ابن أم مكتوم (1).

و لكننا نشك في هذا الأمر، لأن عثمان قد هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، فمن أين جاء عثمان إلى مكة، و جرى منه ما جرى؟! .

و نجيب بأن هناك نصوصا تاريخية صرحت بأن أكثر من ثلاثين رجلا قد عادوا إلى مكة بعد شهرين من هجرتهم كما تقدم، و كان عثمان منهم ثم عاد إلى الحبشة (2).

و على كل حال، فإن أمر اتهام عثمان (3) أو غيره من بني أمية، لأهون بكثير من اتهام النبي المعصوم، الذي لا يمكن أن يصدر منه أمر كهذا على الإطلاق.

ص: 291

1- تفسير القمي ج 2 ص 405 و تفسير البرهان ج 4 ص 427، و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 508.

2- سيرة ابن هشام ج 2 ص 3.

3- و نحن نجد في عثمان بعض الصفات التي تنسجم مع مدلول الآية، كما تشهد له قضيته مع عمار حين بناء المسجد في المدينة، حين ردد عمار ما ارتجز به علي عليه السلام تعريضا بعثمان: لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب قائما وقاعدا و من يرى عن التراب حائدا و ستأتي هذه القضية إن شاء الله تعالى.

وإن كان يهون على البعض اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بها أو غيرها، شريطة أن تبقى ساحة قدس غيره منزهة و بريئة!! .

تاريخ هذه القضية:

ونسجل أخيراً: تحفظاً على ذكر المؤرخين لرواية ابن أم مكتوم ونزول سورة عبس، بعد قضية الغرائق؛ فإن الظاهر هو أن هذه القضية قد حصلت قبل الهجرة إلى الحبشة لأن عثمان كان قد هاجر إلى الحبشة قبل قضية الغرائق بشهرين كما يقولون، إلا أن يكون عثمان قد عاد إلى مكة مع من عاد بعد أن سمعوا بقضية الغرائق كما يدعون.

أعداء الإسلام وهذه القضية:

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن بعض المسيحيين الحاقدين قد حاول أن يتخذ من قضية عبس و تولى وسيلة للطعن في قدسية نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» ⁽¹⁾، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

فها نحن قد أثبتنا: أنها أكاذيب و أباطيل ما أنزل الله بها من سلطان.

أكاذيب أخرى مشابهة:

وبالمناسبة فقد رووا: أن الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، جاءا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فوجداه قاعدا مع عمار، وصهيب، و بلال و خباب، وغيرهم من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، فخلوا بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فقالا: إن وفود العرب تأتئك؛ فنستحي أن يرانا العرب قعودا

ص: 292

1- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 158.

مع هذه الأعباء فإذا جئناك فأفهمهم عنا، قال: نعم.

قالا: فاكتب لنا عليك كتابا؛ فدعا بالصحيفة، ودعا عليا ليكتب، فنزل قوله تعالى: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ. (1) فرمى «صلى الله عليه وآله» بالصحيفة، ودعاهم وجلس معهم، وصار دأبه هذا: أن يجلس معهم، فإذا أراد أن يقوم قام وتركهم فأنزل الله تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ. (2).

فكان يجلس معهم إلى أن يقوموا عنه وفي بعض الروايات: إنهم يقصدون أبا ذر وسلمان (3).

ويردّ هذه الأباطيل جميع ما تقدم حين الكلام عن قصة ابن أم مكتوم، ولذلك فلا حاجة إلى الإعادة، وأيضا فقد استفاض: أن سورة الأنعام قد نزلت دفعة واحدة في مكة (4)، فما معنى أن تكون هذه الآيات قد نزلت بهذه المناسبة في المدينة؟! .

و القول بأن نزولها كذلك لا ينافي كون هذه الآيات نزلت بهذه المناسبة،

ص: 293

1- الآية 52 من سورة الأنعام.

2- الآية 28 من سورة الكهف.

3- حلية الأولياء ج 1 ص 146-345، وراجع مجمع البيان ج 3053064. و البداية والنهاية ج 6 ص 56 وعن كنز العمال ج 1 ص 245 و ج 7 ص 46 عن ابن أبي شيبة و ابن عساکر. و الدر المنثور في تفسير الآيات المشار إليها. عن العديد من المصادر.

4- راجع الميزان ج 7 ص 110.

مرفوض لأنها قد نزلت دفعة واحدة قبل الهجرة، بعد إسلام الأنصار، لأنها نزلت وأسماء بنت يزيد الأنصارية آخذة بزمام ناقة النبي «صلى الله عليه وآله» (1) والآية نزلت في المدينة على الفرض.

على أن قصة عبس وتولى وحدها كافية لأن يردع النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمر كهذا، ولا سيما إذا كانت تؤنب غيره «صلى الله عليه وآله»، ممن هو ليس بمعصوم على فعل كهذا.

ثم إن سلمان إنما أسلم في المدينة، كما أن أبا ذر قد فارق النبي «صلى الله عليه وآله» فور إسلامه، وأقام بعسفان على طريق قوافل مكة، كما قدمنا.

والظاهر هو أنهم أصرروا على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يبعد الفقراء عنه، حتى توسطوا لدى أبي طالب في ذلك، وأشار عليه عمر بقبول ذلك كما جاء في بعض الروايات، فجاءت هذه الآيات في ضمن سورة الأنعام بمثابة رد عليهم، وتقنيد لرايهم.

وليس في الآيات ما يدل على قبوله «صلى الله عليه وآله» بذلك، كما تدعيه الروايات المزعومة آنفا.

ولم نتوسع في بيان وجوه الاختلاف بين الروايات، ونقاط الضعف فيها، والرد على هذه المزاعم، اعتمادا على ما ذكرناه في قضية ابن أم مكتوم المتقدمة.

بل إن ظاهر الآية الأولى: أن طرد الذين يدعون ربهم. . قد كان عقابا لهم على أمر صدر منهم، وذلك بقرينة قوله تعالى فيها: مَا عَلَيْكَ مِنْ

ص: 294

حَسْبَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ (1). فكان الله سبحانه قد رفع التكليف عنه «صلى الله عليه وآله» بمؤاخذتهم، رفقا منه تعالى بهم، وعطفا عليهم.

قضية إسلام عمر بن الخطاب:

ويقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم في السنة السادسة من البعثة، بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام؛ حيث خرج متوشحا سيفه، يريد رسول الله ورهطا من أصحابه، وهم قريب من أربعين رجلا في دار الأرقم عند الصفا، فيهم أبو بكر، وحمزة، وعلي، وغيرهم ممن لم يخرج إلى الحبشة، فالتقى عمر بن نعيم بن عبد الله، فسأله عن أمره، فأخبره: أنه يريد أن يقتل محمدا.

فذكر له نعيم: أنه إن قتله لا ينجو من بني عبد مناف، وأن صهره وأخته قد أسلما، فرجع عمر إليهما، وعندهما خباب بن الارت يعلمهما سورة طه، فلما سمعوا حسه، اختبأ خباب في مخدع، وخبأت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة تحت فخذها.

فدخل عمر، وبعد كلام بطش عمر بختنه، وشج أخته، فأخبرته حينئذ أنهما قد أسلما؛ فليصنع ما بدا له. فندم عمر، وارعوى لما رأى الدم بأخته، وطلب الصحيفة فلم تعطه إياها حتى حلف بآلهته ليردنها إليها، فقالت له: إنك نجس على شركك، ولا تغتسل من الجنابة، وهذا لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر، فاغتسل {توضأ}، ثم قرأ من الصحيفة صدرا و كان كاتباً،

ص: 295

فاستحسنه، وظهر له خباب، وأخبره: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دعا له بأن يعز الإسلام به أو بأبي جهل، فطلب منه عمر: أن يدلّه على الرسول ليسلم؛ ففعل، فذهب إليهم، وضرب الباب، فنظر رجل منهم من خلال الباب؛ فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» فزعا، فأخبره.

فقال حمزة: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن كان يريد شرا، قتلناه بسيفه.

فأذن له، ونهض إليه «صلى الله عليه وآله» حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جبذه جبذة شديدة، و تهدده، فأخبره عمر: أنه جاء ليسلم، فكبر «صلى الله عليه وآله»، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من في المسجد.

ثم طلب عمر من الرسول: أن يخرج ويعلن أمره، قال عمر: فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد {أي غبار} ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد.

قال: فنظرت إلي قريش فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها، فسماه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ب «الفاروق» يومئذ.

وفي رواية: أن قريشا اجتمعت و تشاورت فيمن يقتل محمدا، فقال عمر: أنا لها.

فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج متقلدا السيف، فالتقى بسعد بن أبي وقاص، و جرت بينهما مشادة، حتى سل كل منهما سيفه؛ فأخبره سعد بخبر أخته إلخ. .

وفي ثالثة: أنهم خرجوا وعمر أمامهم، ينادي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فلما سأله قريش عما وراءه تهددهم بأنه إن تحرك منهم أحد ليتمكن سيفه منه، ثم تقدم أمام رسول الله، يطوف الرسول، ويحميه عمر، ثم صلى النبي «صلى الله عليه وآله» الظهر معلنا.

وفي رابعة: أنه لما أسلم-وكان المسلمون يضربون-جاء إلى خاله أبي جهل-كما عند ابن هشام.

وقال ابن الجوزي: هو غلط بل خاله العاص بن هاشم-فأعلمه بإسلامه، فأجاف الباب، فذهب إلى آخر من كبراء قريش فكدلك.

فقال في نفسه: ما هذا بشيء، الناس يضربون، وأنا لا يضربني أحد؛ فاستدل على أنقل رجل للحديث، فدلوه، فأعلمه بإسلامه؛ فنأدى في قريش بذلك، فقاموا إليه يضربونه؛ فأجاره خاله، فأنكشف الناس عنه، ولكنه عاد فرد عليه جواره؛ لأن الناس يضربون ولا يضرب، قال: فلم يزل يضرب، حتى أظهر الله الإسلام.

وفي خامسة: أنه ذهب ليطوف، فقال له أبو جهل: زعم فلان أنك صبأت؟ فتشهد الشهادتين، فوثب عليه المشركون، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، وبرك عليه، وجعل يضربه، وجعل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتتحى الناس عنه، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه إلا أحد شريف، وجعل حمزة يكشف الناس عنه.

وفي سادسة: أنه كان صاحب خمر في الجاهلية؛ فقصده ليلة المجلس المألوف له، فلم يجد فيه أحدا، فطلب فلانا الخمار، فكدلك، فذهب ليطوف فوجد محمدا يصلي، فأحب الاستماع إليه، فدخل تحت ثياب الكعبة وسمع،

فدخل الإسلام في قلبه فلما انصرف الرسول «صلى الله عليه وآله» وذهب إلى داره التي يسكنها المعروفة بالرقطاء لحقه في الطريق، و أسلم، ثم انصرف إلى بيته.

وفي العمدة: قيل أسلم عمر بعد ثلاثة وثلاثين رجلا وست نسوة، وقال ابن المسيب بعد أربعين وعشر نسوة، وقال عبد الله بن ثعلبة: بعد خمس وأربعين وإحدى عشرة امرأة.

وقيل: أسلم تمام الأربعين؛ فنزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (1).

ص: 298

1- راجع في مجموع ما تقدم: الأوائل للعسكري ج 1 ص 221 و 222، و الثقات لابن حبان ص 72-75 و البدء و التاريخ ج 5 ص 88-90 و مجمع الزوائد ج 9 ص 61 عن البزار و الطبراني، و تاريخ الطبري حوادث سنة 23، و طبقات ابن سعد ج 3 ص 191، و عمدة القاري للعيني ج 8 ص 68، و سيرة ابن هشام ج 1 ص 366-374، و تاريخ الخميس ج 1 ص 295-297 و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 23-30، و البداية و النهاية ج 3 ص 31 و 72-80، و السيرة الحلبية ج 1 ص 329-335، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 132-137 و مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 327 و 328، و شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 182 و 183، و أسباب النزول للواحدي و حياة الصحابة ج 1 ص 274-276، و الإتيان ج 1 ص 15، و الدر المنثور ج 3 ص 200 و كشف الأستار عن مسند البزار ج 3 ص 169-172 و لباب النقول ط دار إحياء العلوم ص 113، إلى غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ و دلائل النبوة للبيهقي ج 2 ص 4-9 ط دار النصر للطباعة.

و يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» كان قد دعا قبل إسلام عمر، فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب.

وفي نص آخر: اللهم أيد {أو أعز} الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، وكان دعاؤه «صلى الله عليه وآله» يوم الأربعاء، و إسلام عمر يوم الخميس.

وعن ابن عمر: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما إليه عمر.

وقالوا: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته نصراً، وإن أمارته كانت رحمة، وإنه لما أسلم قاتل حتى صلى المسلمون عند الكعبة (1) إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا.

ص: 299

1- راجع هذه الأحاديث وغيرها في: البدء والتاريخ ج 5 ص 88، وسيرة مغلطاي ص 23، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج 4 ص 470 عن الطبراني، وأحمد، وابن ماجه، والحاكم والبيهقي، والترمذي، والنسائي، عن عمر، و خباب، وابن مسعود، والأوائل ج 1 ص 221، و طبقات ابن سعد ج 3 قسم 1 ص 191-193، و جامع الترمذي ط الهند ج 4 ص 314 و 315، و دلائل النبوة للبيهقي ج 2 ص 7 و تحفة الأحوذ ج 4 ص 314 و البداية و النهاية ج 3 ص 79، و البخاري ط الميمنية، و مصنف عبد الرزاق ج 5 ص 325، و الاستيعاب هامش الإصابة ج 1 ص 271، و السيرة الحلبية ج 1 ص 330، و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 102 و تاريخ الخميس، و سيرة ابن هشام، و سيرة دحلان، و مسند أحمد، و سيرة المصطفى، و الطبراني في الكبير والأوسط، و المشكاة و غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ.

وقد استغرب الترمذي هذه الأحاديث رغم تصحيحه لبعضها.

ونحن نشك في صحة كل ما تقدم، بل ونطمئن إلى بطلانه جميعا من الأساس، و لبيان ذلك نشير إلى النقاط التالية:

1-متى كان إسلام عمر؟ !

إشارة

تذكر تلك الروايات: أن عمر قد أسلم بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب «عليه السلام» بثلاثة أيام. وكان إسلامه سببا لخروجه «صلى الله عليه وآله» من دار الأرقم، بعد أن تكامل المسلمون أربعين رجلا، أو ما هو قريب من ذلك.

ونحن نشير هنا إلى:

أ-أن الخروج من دار الأرقم-كما يقولون-إنما كان في الثالثة من البعثة، حينما أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالإعلان بالدعوة، وهم يصرحون بأن إسلام عمر كان في السادسة من البعثة.

ب-إنهم يقولون إن عمر قد أسلم بعد الهجرة إلى الحبشة، حتى لقد رق للمهاجرين، لما رأهم يستعدون للرحيل، حتى رجوا إسلامه منذئذ، والهجرة إلى الحبشة قد كانت في السنة الخامسة من البعثة، والخروج من دار الأرقم قد كان قبل ذلك أي في السنة الثالثة.

ج-أنه قد اشترك في تعذيب المسلمين، وإنما كان ذلك بعد الخروج من دار الأرقم، والإعلان بالدعوة.

متى أسلم عمر إذا؟ !

إننا نستطيع أن نقول باطمئنان: إنه لم يسلم في السنة السادسة قطعا بل أسلم بعد ذلك بسنوات، و مستندنا في ذلك:

أولاً: إنهم يقولون: إنه قد أسلم بعد فرض صلاة الظهر، فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الظهر معلناً تحت حماية عمر كما تقدم، و صلاة الظهر قد فرضت-حسب قولهم-حين الإسراء والمعراج الذي كان-عندهم-في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من البعثة، فكلامهم متناقض.

وإن كنا نحن قد حققنا: أن الإسراء والمعراج كان في حوالي السنة الثانية من البعثة.

وقد أجاب البعض عن ذلك، بأن المقصود هو صلاة الغداة أي الصبح (1).

ولكنه توجيه لا يصح؛ فإن كلمة الظهر لا تنطبق على الغداة ولا تطلق عليها وهو جواب عجيب وغريب كما ترى.

وإن كان مرادهم أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يؤخر صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس فهو غير معقول؛ إذ كيف يؤخر النبي «صلى الله عليه وآله» صلاته عن وقتها بلا عذر ظاهر؟ .

ثانياً: إن عبد الله بن عمر يصرح: أنه حين أسلم أبوه كان له هو من العمر ست سنين (2).

ويرى البعض: أن عمره كان خمس سنين (3).

ص: 301

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 335.

2- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 19، وطبقات ابن سعد ج 3 قسم 1 ص 193، وشرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 182.

3- فتح الباري ج 7 ص 135.

ويدل على ذلك: رواية أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه على سطح البيت، ورأى أن الناس قد هاجوا ضد أبيه، وحصروه في البيت؛ فجاء العاص بن وائل ففرقهم عنه، وقد استفسر ابن عمر أباه حينئذ عن بعض الخصوصيات كما سيأتي عن قريب.

كما أن ابن عمر يروي: أنه حين أسلم أبوه غدا يتبع أثره، وينظر ما يفعل، يقول:

وأنا غلام أعقل ما رأيت (1)، مما يدل على أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه مميزاً مدركاً.

وذلك يدل على أن عمر أسلم حوالي السنة التاسعة من البعثة- كما ذهب إليه البعض (2)- لأن ابن عمر ولد في الثالثة من البعثة، وتم عمره على الخمس عشرة سنة في عام الخندق سنة خمس من الهجرة، حيث أجازته «صلى الله عليه وآله» فيها كما هو مشهور (3).

بل ورد عن ابن شهاب: أن حفصة وابن عمر قد أسلما قبل عمر، ولما

ص: 302

-
- 1- البداية والنهاية ج 3 ص 81 و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 105 و سيرة ابن هشام ج 1 ص 373-374.
 - 2- السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 39، و البداية والنهاية ج 3 ص 82، و مروج الذهب ط دار الأندلس بيروت ج 2 ص 321.
 - 3- سير أعلام النبلاء ج 3 ص 209، تهذيب الكمال ج 15 ص 340 الإصابة ج 2 ص 347 و الاستيعاب بهامش الإصابة ج 2 ص 342 و بقية المصادر لذلك تراجع في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي ص 24.

أسلم أبوهما كان عبد الله ابن نحو من سبع سنين (1) وذلك يعني أن إسلام عمر قد كان في العاشرة من البعثة.

بل نقول: إن عمر بن الخطاب لم يسلم إلا قبل الهجرة بقليل، ويدل على ذلك:

أولاً: إنه بلغه، أن أخته لا تأكل الميتة (2).

و واضح: أن تحريم الميتة إنما كان في سورة الأنعام، التي نزلت في مكة جملة واحدة.

و كانت- كما تقول بعض الروايات- أسماء بنت يزيد الأوسية آخذة بزمام ناقته «صلى الله عليه وآله» (3) وإسلام الأوس وأهل المدينة إنما كان بعد الهجرة إلى الطائف، و مجيء نسائهم إلى مكة قد كان بعد العقبة الأولى.

و ما تقدم في فصل: بحوث تسبق السيرة، من أن زيد بن عمرو بن نفيل كان لا يأكل الميتة. لو صح؛ فإنما هو لأجل أنه كان يدين بالنصرانية إلا أن يقال: إن تحريم الميتة قد كان على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» قبل نزول سورة الأنعام لكن ذلك يحتاج إلى دليل وشاهد و هو غير موجود.

ثالثاً: لقد استقرب البعض: أن يكون قد أسلم بعد أربعين، أو خمس وأربعين ممن أسلم بعد الهجرة إلى الحبشة (4).

ص: 303

-
- 1- سير أعلام النبلاء ج 3 ص 209.
 - 2- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 326.
 - 3- الدر المنثور ج 3 ص 2 عن الطبراني، وابن مردويه.
 - 4- الثقات ج 1 ص 73، و البداية و النهاية ج 3 ص 80 و البدء و التاريخ ج 5 ص 88.

و يؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين رجلا، و الهجرة إليها إنما كانت في الخامسة، و إسلام عمر كان في السادسة من البعثة حسب زعمهم - فلا بد أن يكون الأربعون الذين أتمهم عمر بإسلامه غير هؤلاء الذين هاجروا، و إن كان ابن الجوزي يعد الذين أسلموا قبل عمر، فيذكر أسماء من هاجر إلى الحبشة على الأكثر (1) الأمر الذي يشير إلى أنه يرى:

أن الأربعين الذين أتمهم عمر هم هؤلاء، و ليسوا فريقا آخر قد أسلم بعد هجرتهم.

و يؤيد ذلك أيضا: الروايات التي تصرح بأنه أسلم في السادسة من البعثة، و أنه رق للمهاجرين إلى الحبشة، حتى لقد رجوا إسلامه، فإذا كان ذلك، فليسوف يأتي في حديث المؤاخاة التي جرت في المدينة بعد الهجرة بين المهاجرين و الأنصار: أن المهاجرين كانوا حين المؤاخاة خمسة و أربعين رجلا أو أقل أو أكثر بقليل (2).

أي أن الذين أسلموا بعد الهجرة إلى الحبشة كانوا خصوص هؤلاء، فإذا كان عمر قد أسلم و كان تمام الأربعين فيهم فإن معنى ذلك هو أنه قد أسلم قبل الهجرة بقليل، ثم هاجر.

ص: 304

1- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 28 و 29.

2- و إن كان ابن هشام قد عد نحو سبعين ممن هاجر إلى المدينة، و لكن ذلك لا يمكن الاعتماد عليه بعد النص على عدد من آخى رسول الله «صلى الله عليه و آله» بينهم من قبل غير واحد، كما سيأتي، و لا يعقل أن يترك أحدا من أصحابه لا يؤاخي بينه و بين آخر من إخوانه.

ولعله لأجل ذلك لم يتعرض للتعذيب في مكة، كما سنشير إليه حين الكلام عن الذين عذبوا فيها.

رابعاً: لقد جاء في الروايات في إسلام عمر: أنه «دنا من رسول الله، وهو يصلي ويجهر بالقراءة، فسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ:

وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ حَتَّىٰ بَلَغَ الظَّالِمُونَ» (1).

وواضح: أن هاتين الآيتين قد وردتا في سورة العنكبوت، وهي إما آخر ما نزل في مكة، أو هي السورة قبل الأخيرة (2).

فإسلام عمر قد كان قبل الهجرة بقليل، لأنه يكون أسلم قبل نزول هاتين السورتين.

خامساً: لقد روى البخاري في صحيحه، بسنده عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر.

ثم حاول نافع أن يوجه هذا بأن ابن عمر بايع تحت الشجرة قبل أبيه، ثم قال: فهي التي يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر (3).

ولكننا نقول لنافع: ألم يكن الناس يعرفون اللغة العربية؟

فلم لم يقولوا: إنه بايع قبل أبيه، وقالوا: أسلم قبل أبيه؟! .

ثم ألم يكن أحد منهم يعرف أن هذا الكلام لا يدل على ذلك ولا يشير

ص: 305

1- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 326. وراجع مصادر روايات إسلام عمر المتقدمة.

2- الإتيان ج 1 ص 10 و 11.

3- صحيح البخاري ط مشكول ج 5 ص 163.

إليه، فكيف يصح أن يكون هو المقصود منه؟! .

ونحن نعتقد: أن ما يقوله الناس في ذلك الزمان هو الصحيح الظاهر، فإن ابن عمر قد أسلم قبل الهجرة بيسير، ثم أسلم أبوه وهاجر (1).

سادسا: إن عمر قد رفض في عام الحديبية: حمل رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» بحجة أن بني عدي لا ينصرونه؛ فمعنى ذلك هو أنه قد أسلم وهاجر ولم يعلم أحد بإسلامه، وإلا لكان قد عذب،

ولم ينصره بنو عدي (2)، لا سيما مع ما سيأتي من حالة الذل التي كان يعاني منها هذا الرجل قبل إسلامه.

سابعا: إن عمر كما يدّعون قد أسلم حينما سمع النبي «صلى الله عليه وآله» يقرأ في صلاته ويجهر في القراءة، وكان عمر مختبئا تحت أستار الكعبة. .

مع أنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين لم يتمكنوا من الصلاة في الكعبة إلا بعد إسلام عمر! فأي ذلك هو الصحيح؟ .

2- من سمي عمر بالفاروق؟! .

وقد ذكرت تلك الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سمي عمر بالفاروق حين أسلم، ولكننا نشك في ذلك جدا، إذ إن الزهري يقول:

«بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: «الفاروق» .

ص: 306

1- وقد تقدم عن الزهري أن عمر قد أسلم بعد حفصة وعبد الله بن عمر.

2- ستأتي مصادر ذلك بعد حوالي خمس صفحات.

وكان المسلمون يأترون ذلك من قولهم.

ولم يبلغنا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكر من ذلك شيئاً» (1).

وقد كانت كلمة الفاروق تطلق عليه في أيام خلافته (2).

3- هل كان عمر قارئاً؟ !

إشارة

وتذكر الروايات: أن عمر بن الخطاب كان قارئاً، وأنه قد قرأ الصحيفة بنفسه.

ونحن نشك في ذلك أيضاً: لاعتقادنا أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولا سيما في بادئ أمره، إلا أن يكون قد تعلمها بعد ذلك في أواخر أيام حياته؛ وذلك لأمرين:

أحدهما: أن البعض يصرح بأن خباب بن الارت هو الذي قرأ له الصحيفة (3) فلو كان قارئاً؛ فلماذا لا يقرأها بنفسه، ليتأكد من صحة الأمر؟ !

الثاني: لقد روى الحافظ عبد الرزاق، بسند صحيح حسبما يقولون هذه الرواية نفسها، ولكنه قال فيها:

«فالتمس الكتف في البيت حتى وجدها، فقال حين وجدها:

أما إني قد حدثت: أنك لا تأكلين طعامي الذي آكل منه، ثم ضربها

ص: 307

1- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 30، وطبقات ابن سعد ج 3 قسم 1 ص 193، والبداية والنهاية ج 7 ص 133، و تاريخ الطبري ج 3 ص 267 حوادث سنة 23، و ذيل المذيل ج 8 من تاريخ الطبري.

2- راجع: طبقات الشعراء لابن سلام ص 44.

3- تاريخ ابن خلدون ج 2 قسم 2 ص 9.

بالكتف فشجها شجنتين، ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئاً؛ فقرأ عليه، وكان عمر لا يكتب، فلما قرئت عليه تحرك قلبه حين سمع القرآن الخ. «(1).

و يؤيد ذلك ما عن عياض بن أبي موسى: أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: ادع لي كاتبك ليقراً لنا صحفا جاءت من الشام.

فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد.

قال عمر: أبه جنابة؟

قال: لا، ولكنه نصراني؛ فرفع عمر يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها الخ. (2). فلو كان عمر يعرف القراءة لم يحتج لكاتب أبي موسى ليقراً له الصحف التي جاءت، ولربما يعتذر عن ذلك بأن الخليفة ربما لم يكن يباشر القراءة لمركزه مع معرفته لها، أو أن الرسائل كانت بغير العربية.

ولكن الظاهر هو: أن هذه الأعراف و التقيدات قد حدثت في وقت متأخر، ولم يكن عمر يتقيد بها كما أن بلاد الشام كانت ولا تزال عربية اللغة، فمن البعيد أن يكتبوا له بغير العربية.

ويمكن أن يؤيد ذلك أيضاً: بأن عمر لم يكن ذا ذهنية علمية، وذلك بدليل:

أنه بقي اثنتي عشرة سنة حتى تعلم سورة البقرة، فلما حفظها نحر

ص: 308

1- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 326.

2- عيون الأخبار لابن قتيبة ج 1 ص 43 و الدر المنثور ج 2 ص 291 عن ابن أبي حاتم و البيهقي في شعب الإيمان و حياة الصحابة ج 2 ص 785 عن تفسير ابن كثير ج 2 ص 68.

جزورا (1).

بل لقد ورد أنه لما طلب من حفصة أن تسأل له النبي «صلى الله عليه وآله» عن الكلاله، فسأله عنها؛ فأملها عليها في كتب، ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «عمر أمرك بهذا؟ ما أظنه أن يفهمها» (2)، بل لقد واجهه النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بذلك كما رواه كثيرون (3).

إلا- أن من الممكن أن يكون عمر قد عاد فتعلم القراءة والكتابة بمشاق ومتاعب جملة، ويمكن أن يستدل على ذلك بأنه- كما روى البخاري- كان يقول:

إنه لو لا أن يقال: إن عمر قد زاد في كتاب الله لكتب آية الرجم بيده؟! (4).

ومهما يكن من أمر، فإننا لسنا أول من شك في معرفة الخليفة الثاني للقراءة والكتابة، فقد كان هذا الأمر موضع نقاش وشك منذ القرن الأول للهجرة، فهذا الزهري يقول:

ص: 309

1- تاريخ عمر بن الخطاب ص 165، والدر المنثور ج 1 ص 21، عن الخطيب في رواة مالك، والبيهقي في شعب الإيمان، وشرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 66، والغدير ج 6 ص 196 عنهم و تفسير القرطبي ج 1 ص 152 و التراتيب الإدارية ج 2 ص 280 عن تنوير الحوالك.

2- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 10 ص 305.

3- راجع الغدير ج 6 ص 116 عن غير واحد وراجع 128.

4- راجع كتابنا: حقائق هامة حول القرآن ص 346، فقد نقلنا ذلك عن عشرات المصادر.

كنا عند عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ثم صارت إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فقال: هل من معه به خبر فأسأله: هل كان عمر يكتب؟ .

فقال عروة: نعم كان يكتب.

فقال: بآية ما ذا؟ .

قال: بقوله: لو لا أن يقول الناس زاد عمر في القرآن لخطت آية الرجم بيدي.

فقال عبيد الله: هل يسمي عروة من حديثه؟ .

قلت: لا.

قال عبيد الله: فإنما صار عروة يمص مص البعوضة لتملاً بطنها، ولا يرى أثرها، يسرق أحاديثنا ويكتمنها، أي أنني أنا حديثه (1).

ملاحظة:

وإذا ثبت عدم معرفته بالقراءة، أو شك في كونه كان حينئذ يقرأ ويكتب، فمن الطبيعي أن يتطرق الشك إلى قولهم إنه كان من كتاب الوحي (2)، فلعل ذلك كان من الأوسمة التي نحله إياها بعض من عز عليهم أن يحرم عمر من هذا الشرف بنظرهم.

ص: 310

1- مختصر تاريخ دمشق ج 17 ص 10.

2- بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص 113 عن تاريخ القرآن للزنجاني. وفي تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 80 ط صادر والاستيعاب بهامش الإصابة ج 1 ص 51، ذكر عمر في جملة من كان يكتب للنبي «صلى الله عليه وآله»، لكن لم يبيننا إذا كان يكتب الوحي، أو غيره.

و هي أننا رأينا عمر بن الخطاب يضرب فخذ أبي موسى حتى كاد يكسرها، لاتخاذها كاتبا نصرانيا، مع أنهم يقولون: إنه هو نفسه كان له مملوك نصراني لم يسلم، و كان يعرض عليه الإسلام فيأبى، حتى حضرته الوفاة فأعتقه (1) فما هذا التناقض في مواقف الخليفة الثاني؟ ! و ما هو المبرر لها إلا أن يكون اعتراضه على أبي موسى منصبا على استعانتة بغير المسلم في شؤون المسلمين العامة، و هذا غير خدمة غير المسلم للمسلم.

4- هل عز الإسلام بعمر حقا؟ !

و تذكر الروايات: أن الإسلام قد عز بعمر وأنه «صلى الله عليه وآله» قد دعا الله أن يعز الإسلام به، بل لقد ذهبت بعض الروايات إلى اعتبار عمر من الجبارين في الجاهلية، حيث إنه حين أشار على أبي بكر أن يتألف الناس و يرفق بهم، قال له أبو بكر: «رجوت نصرك، و جتني بهذا لأنك جبار في الجاهلية، خوار في الإسلام الخ.». (2).

و نحن نشك في صحة ذلك بل نجزم بعدم صحته، و ذلك للأمور التالية:

ص: 311

-
- 1- حلية الأولياء ج 9 ص 34، عن كنز العمال ج 5 ص 50 عن ابن سعد، و سعيد بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبي شيبة، و ابن أبي حاتم، و الطبقات الكبرى ج 6 ص 109 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 102 و نظام الحكم في الشريعة و التاريخ و الحياة الدستورية ص 58 عن تاريخ عمر لابن الجوزي ص 87 و 148.
 - 2- كنز العمال ج 6 ص 295.

أ-إن الإسلام إذا لم يعز بأبي طالب شيخ الأبطح، و بحمزة أسد الله و أسد رسوله، الذي فعل برأس الشرك أبي جهل ما فعل، وإذا لم يعز بسائر بني هاشم أصحاب العز و الشرف و النجدة، فلا يمكن أن يعز بعمر الذي كان عسيفا «أي مملوكا مستهاناً به» (1) مع الوليد بن المغيرة إلى الشام (2).

لا سيما وأنه لم يكن في قبيلته سيد أصلاً (3)، و لم تؤثر عنه في طول حياته مع النبي «صلى الله عليه و آله» أية مواقف شجاعة، و حاسمة، بل لم نجد له أية مبارزة، أو عمل جريء في أي من غزواته، رغم كثرتها و تعددها.

بل لقد رأيناه يفر في غير موضع، كأحد، و حنين و خبير حسبما صرح به الجهم الغفير من أهل السير، و رواة الأثر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

و من الطريف هنا: ما رواه الزمخشري، من أن أنس بن مدركة كان قد أغار على سرح قريش في الجاهلية؛ فذهب به، فقال له عمر في خلافته: لقد اتبعناك تلك الليلة؛ فلو أدركناك؟ .

فقال: لو أدركتني لم تكن للناس خليفة (4).

و الخلاصة: أنه لا يمكن أن يعز الإسلام بعمر، الذي لم يكن له عز في نفسه، و لا بعشيرته، و لا شجاعة يخاف منها.

ب-إننا سواء قلنا: إن عمر قد أسلم قبل الحصر في الشعب أو بعده،

ص: 312

1- راجع: أقرب الموارد، مادة: «عسف» .

2- المنمق، لابن حبيب ط الهند ص 146، و شرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 183.

3- المنمق ص 147.

4- ربيع الأبرار ج 1 ص 707.

فإن الأمر يبقى على حاله، لأننا لم نجد أي تفاوت في حالة المسلمين قبل وبعد إسلام عمر، ولا لمسنا أي تحول نحو الأفضل بعد إسلامه، بل رأينا: عكس ذلك هو الصحيح، فمن حصر المشركين للنبي «صلى الله عليه وآله» والهاشميين في الشعب، حتى كادوا يهلكون جوعاً، وحتى كانوا يأكلون ورق السمر، وأطفالهم يتضاغون جوعاً، إلى تأمر على حياة النبي «صلى الله عليه وآله» .

ثم بعد وفاة أبي طالب «رحمه الله» لم يستطع «صلى الله عليه وآله» دخول مكة بعد عودته من الطائف إلا بعد مصاعب جمّة، لم نجد عمر ممن ساعد على حلها.

هذا كله، عدا عن الأذى الكثيرة التي كان أبو لهب يوجهها للنبي «صلى الله عليه وآله» باستمرار.

ج- وفي صحيح البخاري وغيره حول إسلام عمر: عن عبد الله بن عمر قال: بينما عمر في الدار خائفاً، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي، إلى أن قال: فقال: ما بالك؟

قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت.

قال: لا سبيل إليك، بعد أن قالها أمنت.

ثم ذكر إرجاع العاص الناس عنه.

وأضاف الذهبي قول عمر: فعجبت من عزه (1).

ص: 313

1- راجع: صحيح البخاري ج 5 ص 60 و 61 ط مشكول، ففيه روايتان بهذا المعنى، و تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 104، و نسب قريش لمصعب الزبيري ص 409، و تاريخ عمر لابن الجوزي ص 26، و السيرة الحلبية ج 1 ص 332، و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 135، و سيرة ابن هشام ج 1 ص 374، و البداية و النهاية ج 3 ص 82 و راجع: دلائل النبوة للبيهقي ط دار النصر ج 2 ص 9.

فمن يتهده الناس بالقتل، ويخاف، ويختبئ في داره، فإنه لا يكون عزيزاً ولا يعز الإسلام به، غير أنه هو نفسه قد ارتفع بالإسلام، وصار له شخصية وشأن، كما سنرى.

هذا عدا عن الروايات القائلة: إن أبا جهل هو الذي أجاز عمر (1).

وعلى هذا فقد كان الأجدد: أن يدعو النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يعز الإسلام بمن يجير عمر، والذي يعجب الناس من عزته، لا بعمر الخائف، والمختبئ في بيته.

د-و الغريب هنا: أن أحد الرجلين اللذين دعا لهما النبي «صلى الله عليه وآله» وهو أبو جهل يضربه حمزة رضوان الله عليه بقوسه أمام الملأ من قومه، فيشجعه شجة منكراً، ولا يجرؤ على الكلام، ثم يقتل في بدر في أول وقعة بين المسلمين والمشركين.

والرجل الآخر وهو عمر بن الخطاب يكون على خلاف توقعات النبي «صلى الله عليه وآله» ولا يستجيب الله دعاءه فيه، حيث لم يعز الإسلام به، كما رأينا.

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «ما سألت ربي -الله- شيئاً

ص: 314

1- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص 24-25 وراجع كشف الأستار ج 3 ص 171 و مجمع الزوائد ج 9 ص 64 و ذكر: أن خاله هو الذي أجاره وقال ابن إسحاق المراد بخاله: أبو جهل، ولم يرتض ذلك ابن الجوزي، فراجع.

إلا أعطانيه» (1) بل لقد كانت النتيجة عكسية، حيث يذكر عبد الرزاق:

«أنه لما جهر عمر بإسلامه اشتد ذلك على المشركين فعذبوا من المسلمين نفرا» (2).

هـ- لا بأس بالمقارنة بين نعيم بن عبد الله النحام العدوي، وبين عمر بن الخطاب العدوي؛ فقد أسلم نعيم قبل عمر، و كان يكتنم إسلامه، و منعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي و أيتامهم.

فقالوا: «أقم عندنا على أي دين شئت، فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبنا أنفسنا جميعا دونك» (3).

و يقول عروة عن بيت نعيم هذا: «ما أقدم على هذا البيت أحد من بني عدي» (4) أي لشرفه.

أما عمر، فإن رسول الله أراد في الحديبية أن يرسله إلى مكة؛ ليبلغ عنه رسالة إلى أشراف قريش، تتعلق بالأمر الذي جاء له؛ فرفض ذلك و قال:

«إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني»

ص: 315

1- راجع: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج 2 ص 275 و 276 و هامشها و 278 و فرائد السمطين باب 43 حديث 172 و كنز العمال ج 15 ص 150 ط 2 عن ابن جرير، و صححه، و ابن أبي عاصم، و الطبراني في الأوسط، و ابن شاهين في السنة، و عن الرياض النضرة ج 2 ص 213.

2- راجع المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 328.

3- أسد الغابة ج 2 ص 33 و راجع: نسب قريش لمصعب ص 380.

4- نسب قريش لمصعب ص 381.

ثم أشار على النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يرسل عثمان بن عفان (1).

و-لقد خطب ابن عمر بنت نعيم النحام، فردّه نعيم، وقال: «لا أدع لحمي تربا» وزوجها من النعمان بن عدي بن نضلة (2) فنعيم يربأ بابنته عن أن تتزوج بابن عمر، ويرى ذلك تضييعا لها!! .

ز-وفي زيارة عمر للشام أيام خلافته خلع عمر خفيه، ووضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، وخاض المخاضة فاعترض عليه أبو عبيدة، فأجابه عمر بقوله: «إنا كنا أذل قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله» (3).

وفي نص آخر عنه: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نبتغي العز بغيره» (4).

و احتمال أن يكون مقصوده هو ذل العرب وعزهم لا خصوص بني عدي بعيد؛ لأنه قد عنف أبا عبيدة على مقولته تلك بأن غير أبي عبيدة لو كان قال ذلك لكان له وجه، أما أن يقوله أبو عبيدة العارف بالحال و السوابق فإنه غير مقبول منه.

ص: 316

1- راجع: البداية و النهاية ج 4 ص 167 عن ابن إسحاق، و حياة الصحابة ج 2 ص 397 و 398 عن كنز العمال ج 1 ص 84 و 56 و ج 5 ص 288 عن ابن أبي شيبة، و الروياني، و ابن عساكر، و أبي يعلى، و طبقات ابن سعد ج 1 ص 461 و سنن البيهقي ج 9 ص 221.

2- نسب قريش لمصعب ص 380.

3- مستدرك الحاكم ج 1 ص 61. و تلخيصه للذهبي بهامشه، و صححه على شرط الشيخين.

4- مستدرك الحاكم ج 1 ص 62.

هذا بالإضافة إلى ما سيأتي مما يدل على ذل بني عدي، فانتظر.

ح- وقال أبو سفيان للعباس في فتح مكة، حينما كان يستعرض الألوية؛ فرأى عمر، وله زجل: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟ قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد-أمر-أمر بني عدي بعد-والله-قلة و ذلة.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام» (1).

ط-تقدم قول عوف بن عطية:

وأما الألمان بنو عديو تيم حين تزدهم الأمور

فلا تشهد لهم فتیان حربو لكن أدن من حلب و غير

وفي رسالة من معاوية لزياد بن أبيه يذكر فيها أمر الخلافة يقول: «ولكن الله عز وجل أخرجها من بني هاشم وصيرها إلى بني تيم بن مرة، ثم خرجت إلى بني عدي بن كعب وليس في قريش حيان أذل منهما ولا أنذل إلخ.». (2).

ي- وقال خالد بن الوليد لعمر: «إنك ألأمها حسبا، وأقلها عددا، وأخملها ذكرا. . إلى أن قال له: لئيم العنصر ما لك في قريش فخر، قال:

ص: 317

1- مغازي الواقدي ج 2 ص 821، وعن كنز العمال ج 5 ص 295، عن ابن عساكر، عن الواقدي.

2- كتاب سليم بن قيس ص 140.

5- غسل عمر لمس الصحيفة:

و إشكال آخر يبقى بلا- جواب، و هو أنه كيف طلبت أخته منه: أن يغتسل لمس الصحيفة، مع أن غسل المشرك لا يجدي في جواز مس القرآن؛ فإن المانع هو شركه، لا حدثه؟! و لذلك قالت له: «إنك نجس على شركك، و إنه لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» (2)، و دعوى أن المراد هو غسل الجنابة مدفوعة أيضا، فإنهم يقولون: إن أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة (3) فكيف تقول له أخته: إنك لا- تغتسل من الجنابة؟

إلا أن يكون هو نفسه لم يكن يلتزم بما كان يلتزم به قومه في الجاهلية.

و مما يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة، أن أبا سفيان قد نذر أو حلف بعد رجوعه من بدر مهزوما: أن لا يمس رأسه ماء من جنابة، حتى يغزو محمدا، و كانت غزوة السويق لأجل أن يكفر عن يمينه، (4) كما سنرى.

ص: 318

1- الخصال ج 2 ص 463.

2- الثقات ج 1 ص 74، و راجع مصادر الرواية المتقدمة، و مجمع الزوائد ج 9 ص 63.

3- السيرة الحلبية ج 1 ص 329 عن الدميري، و السهيلي و ذكر الدميري: أنه بقية من دين إبراهيم وإسماعيل قال: وفي كلام بعضهم: كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة، و يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يصلون عليهم إلخ.

4- البداية و النهاية ج 3 ص 344 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 540 و تاريخ الخميس ج 1 ص 410 و السيرة الحلبية ج 2 ص 211 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 139 و السيرة النبوية لدحلان {مطبوع بهامش الحلبية} ج 2 ص 5 و البحار ج 20 ص 2 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 175.

ويدل على ذلك: ما يذكرونه عن صيفي بن الأسلت من أنه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة (1).

6- نزول آية في إسلام عمر:

ويذكرون أن آية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) قد نزلت في هذه المناسبة حيث أسلم عمر رابع أربعين (3).

ولكن يعارض ذلك ما روي عن الكلبي، من أن الآية قد نزلت في المدينة في غزوة بدر (4).

وعن الواقدي: أنها نزلت في بني قريظة والنضير (5).

وأيضا فإن الآية في سورة الأنفال، وهي مدنية لا مكية.

وفي رواية الزهري: أن هذه الآية نزلت في الأنصار (6).

يضاف إلى ذلك: أن الآية مسبقة بآيات القتال، ولم يشرع القتال إلا في المدينة، وهي تسجّم مع تلك الآيات تمام الانسجام، فراجعها وتأمل فيها،

ص: 319

1- السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 47 و تاريخ الإسلام للذهبي ص 109 و السيرة الحلبية ج 2 ص 14.

2- الآية 64 من سورة الأنفال.

3- راجع: الدر المنثور ج 3 ص 200 عن الطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه وراجع أيضا ما أخرجه عن البزار وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وغيرهم.

4- مجمع البيان ج 4 ص 557.

5- التبيان للطوسي ج 5 ص 152.

6- الدر المنثور ج 3 ص 200 عن ابن إسحاق، وابن أبي حاتم.

و هي أيضا تناسب المدينة، حيث قويت شوكة الإسلام، وعز المؤمنون.

وغير أننا نرى هذه الرواية قد تكون من دلائل تأخر إسلام عمر إلى قبل الهجرة إلى المدينة بقليل، فإن الروايات الأخرى المروية في هذه المناسبة تشير إلى أنه قد أسلم تمام الأربعين.

ومن المعلوم: أن الذين هاجروا في السنة الخامسة إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين رجلا، وهو إنما أسلم بعد الهجرة إلى الحبشة بمدة طويلة، فلا يصح تفسير هذه الرواية إلا على معنى أنه قد أسلم في الأربعين الرابعة، و كان -بقريئة الروايات الأخرى- آخر واحد منها. أي كان برقم مئة وستين.

و هذا معناه: أن إسلامه قد كان قبيل الهجرة، كما سنرى.

ملاحظات أخيرة:

وأخيرا، فإننا نذكر:

1- إن الذي يطالع روايات إسلام عمر، يرى: أنها متناقضة تناقضا كبيرا فيما بينها.

2- إن بعض الروايات تذكر: أن عمر قد التقى بسعد الذي كان قد أسلم، أو بنعيم النحام، و جرى بينهما كلام؛ فأخبره بإسلام أخته، و زوجها، و أغراه بهما.

و يرد سؤال: إنه إذا كان سعد مسلما، و كان نعيم قد أسلم قبل عمر سرا، فلما ذا يغري عمر بأخته المسلمة و صهره؟!

و إذا كان إنما فعل ذلك ليصرفه عن قصد النبي «صلى الله عليه وآله» بالسوء؛ فلا ندرى كيف يخاف من عمر على النبي و عند النبي «صلى الله

عليه وآله» أمثال حمزة وعلي إلى تمام الأربعين رجلا؛ ولماذا لا يخاف على هذين المسلمين، وليس لهما ناصر، ولا عندهما أحد؟! .

3- إن قول حمزة عن عمر: «وإن كان يريد شراقتناه بسيفه» يشير إلى أنه «رحمه الله» لم يكن يقيم وزنا لعمر، حتى حينما يكون عمر متوشحا بالسيف، حتى يرى: أن أمره سهل، وأن بالإمكان قتله بنفس سيفه الذي يحمله، وهذا غاية في الاستهانة بقدرات عمر، ما بعدها غاية.

4- لا ندري لماذا تهدد النبي عمر؟

و جبذه جبذة شديدة!! .

و كيف وصل عمر إلى النبي بهذه السهولة؟

و لماذا لقيه في الحجرة؟

و لماذا خرج المسلمون في صفين؟

و ما هي فلسفة ذلك عسكريا، و هل لم يكن عمر يعرف من هو أنقل رجل للحديث في قريش؟

و لماذا لم يكن يدنو إليه إلا شريف؟ !

و إذا كان قد خرج مع المسلمين في صفين و تهدد المشركين، و خاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» حينئذ فلماذا احتاج إلى أنقل رجل للحديث في قريش؟ !

و لماذا ذهب إلى المسلمين متوشحا بسيفه؟ !

إلى كثير من الأسئلة التي تعلم بالمراجعة والمقارنة.

ص: 321

وبعد ما تقدم، فإن المراجع لروايات إسلام عمر لا يصعب عليه: أن يكتشف بسرعة:

أن ثمة محاولات للتغطية على قضية إسلام حمزة، الذي عز به الإسلام حقاً، وسر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» سروراً كثيراً.

ولهذا تجد: أنهم يقرنون عمر بحمزة كثيراً في تلك الروايات، ويحاولون إعطاءهما المواقف مناصفة، مع تخصيص عمر بحصة الأسد فيها.

كما أن فضيلة رد الجوار التي هي لعثمان بن مظعون يحاولون إعطاءها إلى عمر.

بل نجد في بعض الروايات: أن أهل الكتاب في الشام قد بشروا عمر بما سوف يؤول إليه أمره في مستقبل هذا الدين الجديد (1)، كما بشروا أبا بكر في بصرى (2) وكما بشروا النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه (3) حسب رواياتهم.

ثم إنهم قد وجدوا في عمر العلامات التي تدعم مدعاهم (4)، كما وجدوها في أبي بكر من قبل . .

ص: 322

1- راجع الرياض النضرة ج 2 ص 319.

2- راجع: السيرة الحلبية ج 1 ص 274 و 275 و 186 و الرياض النضرة ج 1 ص 221.

3- قد أشرنا إلى ما يذكرونه عن دور ورقة بن نوفل في ذلك، وأثبتنا عدم صحة ذلك، فراجع روايات بدء الوحي في الجزء الأول من هذا الكتاب.

4- تاريخ عمر بن الخطاب ص 22.

ثم كان إسلام عمر، وكانت كل الجهود موقوفة على صنع الفضائل والكرامات له!!

فتبارك الله أحسن الخالقين!!

ولقد قال ابن عرفة المعروف بنفطويه: إن أكثر فضائل الصحابة قد افتعلت في عهد بني أمية، إرغاماً لأنوف بني هاشم! [\(1\)](#).

كما أن معاوية قد أمر الناس بوضع الحديث في الخلفاء الثلاثة كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

و حسبنا ما ذكرناه هنا؛ فإن فيه مقنعا وكفاية لكل من أراد الرشد والهداية.

ص: 323

1- راجع النصائح الكافية ص 74 و حياة الإمام الحسن للقرشي ج 2 ص 148 و الكنى و الألقاب ج 3 ص 262 و فجر الإسلام ص 213.

«لما رأت قريش عزة النبي «صلى الله عليه وآله» بمن معه، وعزة أصحابه في الحبشة، وفشو الإسلام في القبائل» (1)، وأن جميع جهودها في محاربة الإسلام قد باءت بالفشل، حاولت أن تقوم بتجربة جديدة، وهي الحصار الاقتصادي والاجتماعي ضد الهاشميين، وأبي طالب؛ فإما أن يرضخوا لمطالبها في تسليم محمد لها للقتل، وإما أن يتراجع محمد «صلى الله عليه وآله» نفسه عن دعوته.

وإما أن يموتوا جوعاً وذلًا، مع عدم ثبوت مسؤولية محددة على أحد في ذلك، يمكن أن تجر عليهم حرباً أهلية، ربما لا يمكن لأحد التكهن بنتائجها، وعواقبها السيئة.

فكتبوا صحيفة تعاهدوا فيها على عدم التزوج والتزويج لبني هاشم، وبني المطلب، وأن لا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، وأن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليقتلوه.

ص: 327

1- سيرة مغلطاي ص 23، وراجع سيرة ابن هشام ج 1 ص 375، و تاريخ الخميس ج 1 ص 297، عن المواهب اللدنية.

وقد وقع على هذه الصحيفة أربعون رجلا من وجوه قريش، و ختموها بخواتيمهم، و علقت الوثيقة في الكعبة مدة و يقال: «إنهم خافوا عليها السرقة؛ فنقلوها إلى بيت أم أبي جهل» (1).

و كان ذلك في سنة سبع من البعثة على أشهر الروايات، و قيل ست.

و أمر أبو طالب بني هاشم أن يدخلوا برسول الله «صلى الله عليه و آله» الشعب-الذي عرف بشعب أبي طالب-و معهم بنو المطلب بن عبد مناف، باستثناء أبي لهب لعنه الله و أخزاه (2).

و استمروا فيه إلى السنة العاشرة، و وضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام، و كانوا ينفقون من أموال خديجة، و أبي طالب، حتى نفدت، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بوبرق الشجر.

و كان صبيبتهم يتضاغون جوعا، و يسمعون المشركون من وراء الشعب، و يتذكرون ذلك فيما بينهم، فبعضهم يفرح، و بعضهم يتذم من ذلك.

و يقولون: إنه ربما وجد فيهم من يتعاطف مع المسلمين، و كان هذا يصدر غالبا ممن يتصل بهم نسا، كأبي العاص بن الربيع، و حكيم بن حزام و إن كنا نحن نشك في ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ص: 328

-
- 1- هكذا جاء في بعض الروايات في البحار ج 19 ص 16 عن الخرائج و الجرائح. و لا يهمننا تحقيق هذا الأمر كثيرا. .
 - 2- و قيل: إن أبا سفيان بن الحارث أيضا لم يدخل الشعب معهم، و لكنه قول نادر، و الأكثر على الاقتصار على أبي لهب لعنه الله. . و لسنا هنا في صدد تحقيق ذلك. .

و لم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، و موسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشترون حينئذ و يبيعون ضمن ظروف صعبة جدا، حيث إن المشركين كانوا يلتقون بكل من يقدم مكة أولا، و يطمعونه بمبالغ خيالية ثمننا لسلعته، شرط أن لا يبيعها للمسلمين.

و كان أبو لهب هو رائدهم في ذلك؛ فكان يوصي التجار بالمغالة عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئا، و يضمن لهم، و يعرضهم من ماله كل زيادة تبذل لهم.

بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئا بنهب أمواله، و يحذرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم.

و الخلاصة: أن قريشا قد قطعت عنهم الأسواق، فلا يتركون لهم طعاما يقدم مكة، و لا يبعوا إلا بادرهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله «صلى الله عليه و آله» (1).

وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثا، و كان علي أمير المؤمنين «عليه السلام» أثناءها يأتيهم بالطعام سرا من مكة، من حيث يمكن، و لو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه، كما يقول الإسكافي وغيره (2).

و كان أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كثيرا ما يخاف على النبي «صلى الله عليه و آله» البيات؛ فإذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبي «صلى

ص: 329

1- البداية و النهاية ج 3 ص 84.

2- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 256.

اللّٰه عليه وآله» على فراشه، حتى يرى ذلك جميع من في شعب أبي طالب، فإذا نام الناس جاء وأقامه، وأضجع ابنه عليا مكانه (1).

و ثمة أبيات شعر له «رحمه الله» مخاطبا بها ولده عليا بهذه المناسبة، فلتراجع في مصادرها.

أموال خديجة، و سيف علي عليهما السلام:

هنا سؤال مفاده: إن من المعروف أن الإسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين «عليه السلام» ، الذي قال فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» - كما سيأتي في غزوتي أحد و بدر:

لا فتى إلا عليا سيف إلا ذو الفقار

و بأموال خديجة رحمها الله تعالى، التي أنفقتها في سبيل الله سبحانه فما معنى هذا الكلام و ما الذي يرمي إليه؟!

فهل معنى ذلك: أن خديجة كانت ترشو الناس من أجل أن يدخلوا في الإسلام؟

و هل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل في التاريخ؟!

لعلك تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يتألف كثيرين على الإسلام، فيعطيهم الأموال ترغيبا لهم في ذلك.

ص: 330

1- شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 256 و ج 14 ص 64، و الغدير ج 7 ص 357 و 358 عن كتاب الحجة لابن معد. و ذكر ذلك ابن كثير في البداية و النهاية ج 3 ص 84 من دون تصريح بالاسم، و تيسير المطالب ص 49.

وقضية غنائم حنين الآتية إن شاء الله أوضح دليل على ذلك، ولا يجهل أحد سهم المؤلفة قلوبهم في الإسلام.

والجواب:

أن هذا الذي ذكر ليس معناه أنهم كانوا يأخذون الرشوة على الإسلام، وإنما يريد الإسلام لهؤلاء أن يعيشوا في الأجواء الإسلامية، و يتفاعلوا معها، وينظروا لها نظرة سليمة، ومن دون وجود أية حواجز نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية فكان هذا المال المعطى لهم يساعد على التغلب على تلك الحواجز الوهمية في أكثرها، ويجعلهم يعيشون في الأ-جواء والمناخات الإسلامية، ويتعرفون على خصائص الإسلام وأهدافه.

ولتحصل لهم من ثم الفناعات الوجدانية والفكرية بأحقية الإسلام، و سمو أهدافه.

كما أن من هؤلاء من يرى: أن هذا الدين قد حرّمه من المال والثروة والامتيازات التي يحبها، فلماذا لا يدبر في الخفاء ما يزيح هذا الكابوس الخانق، والمضر بمصالحه؟

فإذا أعطي المال، وأفهم أن الإسلام ليس عدواً للمال: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ. (1) فإنه يمكن إقناعه حينئذ بأن هدف الإسلام ليس إلا- التركيز على إنسانية الإنسان، واعتبارها المقياس الحقيقي له، لا المال، ولا القوة ولا الجمال، ولا الجاه، ولا غير ذلك، وأنه يهدف إلى تنظيم حياة هذا الإنسان في هذا الخط، ليكون سعيداً

ص: 331

في الدنيا والآخرة على حد سواء.

وأما أموال خديجة؛ فلم تكن تعطى كرشوة على الإسلام، ولا كانت تنفق على المؤلفة قلوبهم.

وإنما كانت تسد رمق ذلك المسلم، الذي يعاني أعظم المشاق والآلام، في سبيل إسلامه وعقيدته، هذا المسلم الذي لم تتورع قريش عن محاربته بكل ما تملكه من أسلحة لا إنسانية ولا أخلاقية، حتى بالفقر والجوع.

فكانت تلك الأموال تسد رمق من يتعرض للأخطار الكبيرة، وتخدم الإسلام عن هذا الطريق.

وهذا معنى قولهم: إن الإسلام قام بأموال خديجة.

وملاحظة لا بد منها، وهي أن أموال خديجة التي أنفقت في المقاطعة، كانت في غالبها من النوع الذي يمكن الانتفاع به في سد رمق الجائع، وكسوة العاري، وأما ما سواه؛ فلربما لم يتعرض لذلك؛ بسبب عدم القدرة على البيع والشراء في غالب الأحيان.

ونشير أخيراً، إلى أن مكة مهما عظمت الثروة فيها، فإنها لا تخرج عن كونها محدودة الإمكانيات، تبعاً لموقعها، وحجمها؛ لأنها لم تكن مدينة كبيرة جداً، بل كانت بلداً كبيراً بالنسبة إلى القرية، ولذا جاء التعبير عنها في القرآن بـ «أم القرى» وثروة في بلد كهذا تبقى دائماً محدودة، تبعاً لمحدوديته، وقدراته، وإمكاناته.

حكيم بن حزام وعواطفه تجاه المسلمين:

قد تقدم أنهم يذكرون حكيم بن حزام في جملة من كان يرسل الطعام

سرا إلى المسلمين في شعب أبي طالب روى ذلك ابن إسحاق وغيره (1).

ولكننا بدورنا نشك في ذلك، فإن حكيم بن حزام كان من القوم الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة الغار، و باتوا على باب النبي «صلى الله عليه وآله» يرصدونه بانتظار ساعة الصفر (2) وقد رد الله كيدهم إلى نحورهم.

أضف إلى ذلك: أنه كان يحتكر جميع الطعام الذي كان يأتي إلى المدينة على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» (3)، و كان من المؤلفة قلوبهم (4).

و من كانت له نفسية كهذه، فإنه يصعب عليه جود كهذا، خصوصا إذا كان معه تعريض نفسه لأخطار العداء مع قريش، إلا أن يكون يمارس ذلك بروحه الاحتكارية التجارية؛ فيبيع المسلمين الطعام بأعلى الأثمان، فيعرض نفسه لهذه الأخطار حبا بالمال.

و يكون حبه للمال، و تفانيه في سبيله هو الذي يسهل عليه كل عسير، و يذل له ركوب كل صعب و خطير.

أضف إلى ذلك: أنه سوف يأتي حين الكلام على إسلام أبي طالب حين

ص: 333

1- راجع: سيرة ابن هشام ج 1 ص 379 وغير ذلك من كتب السيرة.

2- البحار ج 19 ص 31 و مجمع البيان ج 4 ص 537.

3- دعائم الإسلام ج 2 ص 35 و التوحيد للصدوق ص 389 و الوسائل ج 12 ص 316 و الكافي ج 5 ص 165 و التهذيب للطوسي ج 7 ص 160 و من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 266 ط جماعة المدرسين و الاستبصار ج 3 ص 15.

4- نسب قريش ص 231.

الكلام على رده «صلى الله عليه وآله» هدية ملاعب الأسنة: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد رد هديته وهدية غيره، لأنها هدية من مشرك، فلا يعقل: أن يقبلها الآن، ويردها بعد ذلك، وإلا لاعترضوا عليه بقبوله لها قبل الآن.

إلا- أن يدعى: أن ابن حزام إنما كان يعطي الأطفال والنساء، وغيرهم من بني هاشم المحصورين في الشعب، وهؤلاء كانوا يقبلون ذلك منه، وإن كان النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقبل. فتبقى ملاحظة: إنه قد يكون إنما يأتيهم بالطعام لبيعهم إياه بأعلى الأثمان لا دافع لها.

و من ذلك كله يظهر أيضا: أنه لا يمكن الاطمئنان، ولا قبول قولهم: إن أبا العاص بن الربيع كان يفعل مثل ذلك آنذا.

ونحن لا نستبعد: أن يكون للزبيرين يد في تسجيل هذه الفضيلة لحكيم بن حزام، لا سيما وأنه كان ممن تلاكأ عن بيعة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان عثمانيا متصلبا (1).

وقد أشرنا إلى ذلك حين الكلام حول ولادة أمير المؤمنين «عليه السلام» في الكعبة، و حين الكلام عن افتعال الأكاذيب في موضوع الوحي وكيفياته.

انشقاق القمر:

وفي السنة الثامنة من البعثة، حينما كان المسلمون محصورين في شعب أبي طالب، كانت قضية انشقاق القمر (2).

ص: 334

1- قاموس الرجال ج 3 ص 387.

2- تفسير الميزان ج 19 ص 62 و 64.

وقد جاء في الروايات الكثيرة: أن قريشا سألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يريهم آية، فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم؛ فقالوا: هذا سحر مستمر، فأُنزل الله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (1).

وفي رواية: أنهم قالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار؛ فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم رأيناه، فأُنزل الله: اقتربت الساعة وانشق القمر (2).

ونقل عن السيد الشريف في شرح المواقف، وعن ابن السبكي في شرح المختصر:

أن الحديث متواتر لا يمتري في تواتره عند أهل السنة (3)، وأما عند غيرهم، فيقول العلامة البحاثة السيد الطباطبائي «رحمه الله»: «ورد انشقاق القمر لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» كثيرا، وقد تسلمه محدثوهم والعلماء من غير توقف» (4).

ولكن على أية حال. لا يمكن أن تعتبر هذه المسألة من ضروريات

ص: 335

1- الآيتان 1 و 2 من سورة القمر.

2- الدر المنثور ج 6 ص 133 عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في دلائلهم، ومناقب آل أبي طالب ج 1 ص 122.

3- تفسير الميزان ج 19 ص 60.

4- تفسير الميزان ج 19 ص 61 وراجع باب المعجزات السماوية في البحار، ج 17 ص 348-359.

الدين، كما أشار إليه بعض الأعلام (1).

شبهة، و حلها:

يقول العلامة الطباطبائي: «واعترض عليها: بأن صدور المعجزة منه «صلى الله عليه وآله» باقتراح من الناس، ينافي قوله تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً (2)».

فمفاد هذه الآية، إما أنا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمة أصلاً، لأن الأمم السابقة كذبوا بها، وهؤلاء يماثلونهم في طباعهم؛ فيكذبون بها، و لا فائدة في الإرسال مع عدم ترتب الأثر عليه، أو المفاد؛ أننا لا نرسل بها، لأننا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها؛ فعذبوا بها، وأهلكوا.

ولو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، وعذبوا عذاب الاستئصال، لكننا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب.

وعلى أي حال، لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمة، كما كانت ترسل إلى الأمم الدارجة.

نعم، هذا في الآيات المرسلة باقتراح الناس، دون الآيات التي تؤيد بها الرسالة، كالقرآن المؤيد لرسالة النبي «صلى الله عليه وآله»، و كآيتي العصا، و اليد لموسى «عليه السلام»، و آية إحياء الموتى وغيرها لعيسى «عليه السلام»، و كذا الآيات النازلة لطفاً منه سبحانه، كالخوارق الصادرة عن

ص: 336

1- راجع: همه باید بدانند {فارسي} ص 75.

2- الآية 59 من سورة الإسراء.

النبي «صلى الله عليه وآله»، لا عن اقتراح منهم الخ. .

ثم أجاب «رحمه الله» بما ملخصه: إن تكذيبهم بآية انشقاق القمر كان يستدعي العذاب، لأنها آية اقتراحية منهم، وما كان الله ليهلك جميع من أرسل نبيه إليهم، وهم أهل الأرض جميعاً إلا بعد إتمام الحجة عليهم، ولم تتم الحجة بعد على جميع الناس ثم كذبوه، ثم طلبوا الآية.

بل تمت الحجة على بعض الأفراد من الذين كانوا يعيشون في مكة، لأن هذه الآية كانت قبل الهجرة بخمس سنين هذا بالإضافة إلى أنه ما كان الله ليهلك جميع أهل مكة ومن حولها، لأن فيهم جمعا كبيرا من المسلمين، قال تعالى: هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُمْ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتَصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (1).

ولم يتزِيل المشركون عن المسلمين، ولا امتازوا عنهم.

كما أنه إذا كان الرسول «صلى الله عليه وآله» بينهم فإنه لا يعذبهم.

قال تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ. (2) وما كان الله لينجي المؤمنين ويهلك الكفار بعد أن آمن جمع كثير منهم فيما بين سنة ثمان من البعثة وثمان من الهجرة، ثم أسلم عامتهم يوم الفتح، والإسلام يكتفى فيه بظاهره.

وأيضاً، فإن عامة أهل مكة ومن حولها لم يكونوا أهل جحود وعناد،

ص: 337

1- الآية 25 من سورة الفتح.

2- الآية 33 من سورة الأنفال.

وإنما كان ذلك في عظمائهم وصناديدهم، الذين كانوا يستهزئون به «صلى الله عليه وآله»، و يعذبون المؤمنين.

والآيات التي تبين أن صدهم عن المسجد الحرام، واستفزازهم له «صلى الله عليه وآله» من الأرض ليخرجه منها، سوف ينشأ عنه أنهم لا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (1)، وَيَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (2) - هذه الآيات - قد تحقق مضمونها بما أصابهم يوم بدر من القتل الذريع.

فقوله تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ . (3) إنما يفيد الإمساك عن إرسال الآيات ما دام النبي «صلى الله عليه وآله» فيهم، وأما إرسالها وتأخير العذاب إلى حين خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه.

وقوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (4) - إلى أن قال - : قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (5). لا يدل على نفي تأييد النبي «صلى الله عليه وآله» بالآيات المعجزة، وإنكار نزولها من الأساس، وإلا فإن جميع الأنبياء كانوا بشرًا.

ومعنى الآية: أنه من حيث هو بشر فإنه لا يقدر على ذلك.

ص: 338

1- الآية 76 من سورة الإسراء.

2- الآية 49 من سورة الأنعام.

3- الآية 59 من سورة الإسراء.

4- الآية 90 من سورة الإسراء.

5- الآية 93 من سورة الإسراء.

وإنما الأمر إلى الله تعالى فهو الذي يأتي بالآيات في الحقيقة (1).

ويقول البعض: إن آية: . . وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً (2) لعلها ناظرة إلى أن دعوة النبي «صلى الله عليه وآله» ليست معتمدة على الآيات، التي هي من قبيل ناقة ثمود، وآيات موسى «عليه السلام»، بل هي تعتمد بالدرجة الأولى على الإقناع، وإقامة الحجة العقلية كدعوة إبراهيم «عليه السلام»، وذلك لا ينافي صدور بعض الآيات في الموارد التي لا تنفع فيها الحجج العقلية، والبراهين القطعية.

انشقاق القمر: الحدث الكبير:

وأوردوا على انشقاق القمر بأنه لو انشق-كما يقال-لرآه جميع الناس، ولضبطه أهل الأرصاد في الغرب والشرق، لكونه من أعجب الآيات السماوية، والدواعي متوفرة على استماعه ونقله.

وأجيب:

أولاً: إن من الممكن أن يغفل عنه، فلا دليل على كون كل حادث أرضي أو سماوي معلوما للناس، محفوظاً عندهم، يرثه خلف عن سلف (3).

وأوضح ذلك بعض الأعلام بما حاصله: إنه لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

1- إن هذا الانشقاق قد حصل في نصف الكرة الأرضية، حيث يوجد

ص: 339

1- راجع فيما تقدم: تفسير الميزان ج 19 ص 60-64.

2- الآية 59 من سورة الإسراء.

3- تفسير الميزان ج 19 ص 64.

الليل دون النصف الآخر، حيث يوجد النهار.

2- وفي هذا النصف لا يلتفت أكثر الناس إلى ما يحصل في الأجرام السماوية إذا كان ذلك بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون، فإنهم جميعا لا يلتفتون إلى ذلك.

3- ولربما يكون في بعض المناطق سحاب يمنع من رؤية القمر.

4- والحوادث السماوية إنما تلفت النظر لو كانت مصحوبة بصوت كالرعد، أو بأثر غير عادي كقلة نور الشمس في الكسوف، إذا كان لمدة طويلة نسبيا.

5- هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء و مراقبة ما يحدث لأجرامها.

6- ولم يكن ثمة وسائل إعلام تنقل الخبر من أقصى الأرض إلى أقصاها بسرعة مذهلة؛ لتتوجه الأنظار إلى ما يحدث.

7- والتاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جدا، فكم كان في تلك المئات والآلاف من السنين الخالية من كوارث وزلازل، و سيول عظيمة أهلكت طوائف وأممًا، وليس لها مع ذلك في التاريخ أثر يذكر؟

بل إن زرادشت وقد ظهر في دولة عظيمة، وله أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ، لا يعرف حتى أين ولد و مات و دفن، بل و يشك البعض في كونه شخصية حقيقية، أو وهمية.

وبعد ما تقدم: يتضح أنه لا يجب أن يعرف الناس بانشقاق القمر، و لا أن يضبطه التاريخ بشكل واضح (1) كما هو معلوم.

ص: 340

1- همه بايد بدانند {فارسي} ص 94 للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

ثانيا: لم يكن في المنطقة العربية وغيرها مرصد للأوضاع السماوية، وإنما كانت المراصد موجودة في المشرق والمغرب لدى الروم واليونان، وغيرهما. ولم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت، على أن بلاد الغرب، الذين كانوا معتنين بهذا الشأن بينها وبين مكة من اختلاف الأفق ما يوجب فصلا زمانيا معتدا به.

وقد كان القمر على ما في بعض الروايات بدرا قد انشق حين طلوعه، ودام مدة يسيرة، ثم التأم، فيقع طلوعه في بلاد المغرب وهو ملتئم ثانيا (1).

إمكان الانشقاق و الالتئام علميا:

و يبقى هنا سؤال وهو: هل يمكن علميا الانشقاق في الأجرام السماوية؟

و إذا أمكن الانشقاق، فإنما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين حينئذ؛ فيستحيل الالتئام بعد الانشقاق.

و أجيب عنه: بأن خرق العادة بقدره الله سبحانه ليس محالا.

كما أن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيرة في الأجرام السماوية؛ بسبب عوامل خاصة، و من الأمثلة على ذلك:

1-إن ثمة حوالي خمسة آلاف من القطع الكبيرة والصغيرة التي تدور حول الشمس ويعتقد العلماء أنها بقايا إحدى السيارات التي كانت بين مداري المريخ والمشتري، ثم انفجرت لأسباب مجهولة وتحولت إلى قطع متفاوتة الأحجام في مدارات حول الشمس.

ص: 341

2- ويقولون: إن الشهب هي أحجار صغيرة تسير بسرعة مذهلة في مدار حول الشمس، وربما تتقاطع مع الأرض أحيانا، فتجذبها الأرض، فتصطدم بالجو الأرضي فتشتعل ثم تتلاشى.

ويقول العلماء: إنها بقايا نجوم انفجرت و تشققت بهذا النحو.

3- والمنظومة الشمسية أيضا يقال -حسب نظرية لابلاس- إنها كانت في الأصل قطعة واحدة، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو، فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر وهو القدرة الإلهية، حيث إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دعا الله فاستجاب له؟ ولم يدع أحد أنه ينشق بلا سبب أصلا.

وأما عودته إلى الالتئام بعد ذلك، فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبية.

ولذلك نجد أن الشمس كثيرا ما تجذب بعض القطعات التي تدور حولها، فتتحول تلك القطع بفعل الصدمة والاحتكاك إلى لهب متلاش.

إذا، فما دام كل من شقي القمر قريبا إلى الآخر، وبعد رفع تأثير القوة المانعة من تأثير الجاذبية، فلماذا لا يشد كل من النصفين النصف الآخر إلى نفسه، ليعودا كما كانا، وأي محذور عقلي في ذلك؟ [\(1\)](#).

وقد أوجز العلامة الطباطبائي الإجابة عن سؤال امتناع الالتئام لعدم الجاذبية، فقال: إن الاستحالة العقلية ممنوعة، والاستحالة العادية، بمعنى اختراق العادة، لو منعت عن الالتئام بعد الانشقاق، لمنعت أولا عن

ص: 342

الانشقاق بعد الالتئام ولم تمنع. وأصل الكلام مبني على خرق العادة (1).

و مما تجدر الإشارة إليه هنا: أن جريدة كيهان الإيرانية قد نشرت بتاريخ: الثلاثاء 3 شباط 2004 «14/11/1382 هـ. ش» العدد 62/17876 خبراً مفاده أن رواد الفضاء الأمريكي قد توصلوا في تحقيقاتهم الأخيرة إلى أن القمر قد انشق إلى نصفين، و من ثم -بواسطة قوة فاعلة- التأم من جديد.

وفي مقابلة تلفزيونية مع عالم الجيولوجيا الدكتور زغلول النجار أعلن أنه وخلال محاضرة له في جامعة «كارديف» في غرب بريطانيا، أكد داود موسى بيتكوك «رئيس الحزب الإسلامي البريطاني»: أنه سمع ذلك من التلفزيون البريطاني، وأن هذا كان سبب إسلامه.

دلالة الآية القرآنية على ذلك:

ويحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: **إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (2)** ناظراً إلى المستقبل، وأنه من أشراط الساعة، كتكوير الشمس، و انكدار النجوم.

و أجيب عنه بما حاصله:

أولاً: إن ظاهر قوله تعالى: **وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (3)** هو أن جماعة من مخالفين النبي لا يؤمنون بالآيات و كلما جاءتهم

ص: 343

1- تفسير الميزان ص 19-65.

2- الآية 1 من سورة القمر.

3- الآية 2 من سورة القمر.

آية يزيد عنادهم واستكبارهم، و يعتبرونها من السحر.

مما يدل على أنه قد جرى له «صلى الله عليه وآله» معهم في قصة انشقاق القمر مثل ذلك.

ثانيا: إن جملة «انشق» فعل ماض، ولا يراد الاستقبال من الفعل الماضي إلا بقرينة، وهي غير موجودة، بل الموجود خلافه؛ فقد قال الرازي:

«المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، ودلت الأخبار الصحاح عليه» (1) وإن كان الطبرسي وابن شهر آشوب يستثنيان: عطاء، والحسن والبلخي (2).

ثم قال الطبرسي: وهذا لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه (3).

وإن قيل: إن اقتران جملة: اقتربت الساعة: بجملة: وانشق القمر، يوحي بأن زمانهما واحد.

فالجواب هو: أن كثيرا من الآيات تؤكد على أن الساعة قد قرب وقتها، فلم الغفلة؟ قال تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (4).

ص: 344

1- التفسير الكبير للرازي ج 29 ص 28.

2- مجمع البيان ج 9 ص 186 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 122.

3- مجمع البيان ج 9 ص 186.

4- سورة الأنبياء الآية 1.

و ينقل عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «بعثت أنا و الساعة كهاتين» (1) وأشار إلى إصبعيه.

«و الظاهر: أن ذلك بملاحظة مجموع عمر الدنيا الطويل جدا، حتى ليصح أن يقال:

إن هذا الفاصل الزماني بين بعثته «صلى الله عليه وآله» و قيام الساعة ليس بشيء». .

و بعد هذا. . فإن مفاد الآية يكون: أن الساعة قد اقتربت، و هذه الآية المعجزة قد ظهرت للنبي «صلى الله عليه وآله». .

و لكن هؤلاء المشركين المستكبرين لا يؤمنون، و لا يصدقون، بل يقولون: سحر مستمر (2).

و لكن بعض المحققين يقول: إن قوله تعالى: وَ إِن يَرَوْا آيَةً . جملة شرطية، لا دلالة فيها على وقوع ذلك.

و جملة وَ إِنشَقَّ الْقَمَرُ مساقها قوله تعالى: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ فَإِنَّهَا جَمْلَةٌ فَعَلِيَّةٌ مَاضِيَّةٌ، و لكن الأمر لم يأت بعد بقرينة قوله: فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ .

و كذا الحال في قوله تعالى: وَ إِنشَقَّ الْقَمَرُ بملاحظة قوله تعالى:

ص: 345

1- نقله في مفتاح كنوز السنة ص 227 عن البخاري، و مسلم، و ابن ماجه و الطيالسي، و أحمد، و الترمذي و الدارمي، فراجع.

2- راجع في كل ما ذكرناه في دلالة الآية كتاب: همه بايد بدانند {فارسي} ص 76-80.

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً . والمراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا.

وأما الإجماع الذي ادعاه الطبرسي؛ فلا حجية فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطئ للآية، انتهى كلامه.

ونقول نحن: إن هذا الكلام له وجه، لو لم يكن لدينا أخبار صحيحة تدل على وقوع انشقاق القمر.

الأساطير:

هذا، وقد لعبت الأهواء والأساطير في قضية شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنة الناس: أن أحد شقي القمر قد مر من كم النبي «صلى الله عليه وآله» .

فيقول العلامة الشيخ ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له في كتب الحديث والتفسير عين ولا أثر، سواء عند السنة، أو عند الشيعة.

وثمة تفاصيل وخصوصيات تذكر في بعض الروايات لا نرى في تحقيق الحق فيها كبير نفع، ولا جليل أثر؛ ولذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، ونفعه أعم.

نقض الصحيفة:

وبعد ثلاث سنوات تقريبا من حصر المسلمين في شعب أبي طالب، أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عمه أبا طالب بأن الإرضة قد أكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم ولم يبق فيها إلا ما كان اسما لله. وفي نص آخر:

«أنها قد أكلت كل اسم لله تعالى فيها، ولم تبق إلا كل ظلم وشر،

والأصح هو الأول كما هو صريح الكلام المنقول عن أبي طالب «عليه السلام» . .

فخرج أبو طالب من شعبه، و معه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع أخرجهم.

وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك.

قال: قد جئتكم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها. فبعثوا، فأتوا بها، فلما وضعت وعليها أختامهم.

قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة، فأكلت كل قطيعة وإثم، و تركت كل اسم هو لله؛

فإن

ص: 347

1- و لربما يقال: إن استمرار قريش على عدائه «صلى الله عليه وآله»، إلى حين نقض الصحيفة، يدل على أن الأرضة إنما محت اسم الله تعالى. وأبقت قطيعة الرحم و سائر المواد التي اتفقوا عليها. وقد استبعد البعض ذلك استناداً إلى أن أكل الأرضة لاسم الله بعيد. فلعلهم التزموا بمضمونها و إن كانت الأرضة قد محتها، أو أنهم أعادوا كتابتها. و لربما يرد على ذلك بأن الأرضة إنما محت اسم الله عنها تنزيهاً له عن أن يكون في صحيفة ظالمة كهذه و هذا إعجاز مطلوب و راجح من أجل إظهار الحق، و ليس في ذلك إهانة.

كان صادقاً أقبلتكم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب، ففتحت، ثم أخرجت، فإذا هي كما قال «صلى الله عليه وآله»: فكبر المسلمون، وامتنعت وجوه المشركين.

فقال أبو طالب: أتبين لكم: أينأ أولى بالسحر والكهانة؟ . فأسلم يومئذ عالم من الناس.

ولكن المشركين لم يقنعوا بذلك، بل استمروا على العمل بمضمون الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، ويذكرون منهم: هشام بن عمرو بن ربيعة، وزهير بن أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وأبا البختری بن هشام، وزمعة بن الأسود، وكلهم له رحم بني هاشم والمطلب، وتكلموا في نقضها؛ فعارضهم أبو جهل فلم يلتفتوا إلى معارضته، ومزقت الصحيفة، وبطل مفعولها. وخرج الهاشميون حينئذ من شعب أبي طالب رضوان الله تعالى عليه (1).

حنكة أبي طالب، وإيمانه:

إن المطالع لأحداث ما قبل الهجرة النبوية الشريفة ليجد عشرات الشواهد الدالة على حنكة أبي طالب «عليه السلام» .

و خير شاهد نسوقه الآن على ذلك، هو ما ذكرناه آنفاً، حيث رأيناه

ص: 348

1- راجع فيما تقدم: السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 44 و السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 16 و دلائل النبوة ط دار الكتب ج 2 ص 312 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 88 و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 137 و 138 ط دار المعرفة و تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 31 و البداية و النهاية ج 3 ص 85 و 86.

يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، و يمزج ذلك بالتعريض بإمكان أن يكون ثمة صلح في ما بينهم و بينه.

و ما ذلك إلا من أجل أن لا تفتح الصحيفة إلا علنا، يراها كل أحد، و أيضا حتى يهيئهم للمفاجأة الكبرى، و يمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقي عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به، و لا سيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعدا بما يريد، و يضعهم أمام شرف الكلمة، و على محك قواعد النبل و احترام الذات، حسب المعايير التي كانوا يتعاملون على أساسها. .

و قد نجح في ذلك إلى حد بعيد، حتى ليصبح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ثم تبرز لنا من النصوص المتقدمة حقيقة أخرى، لها أهميتها و انعكاساتها، و هي تدل على مدى ثقة أبي طالب بصدق النبي الأعظم «صلى الله عليه و آله» ، و بسداد أمره، و واقعية ما جاء به، حتى قال: إن ابن أخي حدثني و لم يكذبني قط. .

و كان يتألم جدا من اتهام ابن أخيه بالسحر و الكهانة، و يعتبر ذلك افتراء ظاهرا، و يغتنم الفرصة السانحة للتعبير عن خطئ رأيهم، و سفه أحلامهم، فيقول لهم: «أتبين لكم: أننا أولى بالسحر و الكهانة» ؟ !

و كانت النتيجة: أن أسلم بسبب هذه المعجزة يومئذ عالم من الناس.

القبلية و آثارها:

و قد لاحظنا فيما سبق: أن القبلية قد ساعدت إلى حد ما في منع الكثير من الأحداث التي تؤثر مستقبليا على الدعوة و نجاحها.

و ليكن ما قام به هؤلاء الذين عملوا على نقض الصحيفة هو أحد الشواهد على ذلك.

ولكن الذي يلفت نظرنا هو: أننا لا نرى أبا لهب فيمن قام في ذلك أو ساعد عليه.

كما أننا لا نجد أثرا لابن عم خديجة حكيم بن حزام، الذي تدّعي الروايات!! أنه كان يرسل الطعام لهم و هم محصورون في الشعب.

و أيضا لا نجد مكانا لأبي العاص بن الربيع الأموي {!!} ، الذي سوف يأتي حين الكلام على أسطورة تزويج الإمام علي «عليه السلام» بنت أبي جهل أنهم يدعون {!!} : أن النبي «صلى الله عليه وآله» أثنى على صهره! تعريضا بعلي الذي لم يكن يستحق إلا التقريع و التعريض {!!} . علي الذي كان يخاطر بنفسه، و يأتي لهم بالطعام من مكة، و لو وجدوه لقتلوه، كما تقدم.

ما بعد نقض الصحيفة:

و استمر الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» يعمل على نشر دينه، و أداء رسالته، و استمرت قريش تضع في طريقه العراقيل، و تحاول أن تمنع الناس من الاجتماع به، و الاستماع إليه، بكل الوسائل التي تقع تحت اختيارها، و النبي «صلى الله عليه وآله» يتحمل و يصبر، لا يكل و لا يمل، و لم تغلح قريش في ذلك، و لا وصلت إلى نتيجة، و الأحداث التي في هذا السبيل كثيرة، لو أردنا استقصاءها لطلال بنا المقام، و لا محيص لنا عن تجاوزها إلى غيرها، و إن كان يعز ذلك علينا.

وقدم على النبي الأعظم الأكرم «صلى الله عليه وآله» أول وفد من خارج مكة، وبالذات من الحبشة، ومن النصارى، وقيل: من نجران، و كان يتألف-على قول ابن إسحاق وغيره-من عشرين رجلا، وقيل غير ذلك، وكان على رأس الوفد جعفر بن أبي طالب «رحمه الله» (1).

فوجدوا النبي «صلى الله عليه وآله» في المسجد الحرام؛ فكلموه، وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، وبعد دعوة الرسول «صلى الله عليه وآله» لهم إلى الإسلام آمنوا وصدقوا، فلما قاموا، اعترضهم أبو جهل، وعنفهم على إسلامهم، وتركهم دينهم؛ فقالوا: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا؛ فأنزل الله تعالى:

الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابُ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (2).

و كانت هذه-بطبيعة الحال-ضربة قاسية لقريش وكبرائها، و خططها

ص: 351

-
- 1- كذا قال البوطي في فقه السيرة ص 126 و مجمع البيان ج 7 ص 258 و يفهم منه أنهم قدموا مع جعفر حين قدومه نهائيا عام خير.
 - 2- الآية في سورة القصص من آية 52 حتى آية 55، و راجع الحديث في سيرة ابن هشام ج 2 ص 32، و تفسير ابن كثير، و القرطبي، و النيسابوري في تفسير الآيات، و البداية و النهاية ج 3 ص 82.

وأهدافها، وخصوصا إذا كان ذلك الوفد قد جاء من الحبشة، وبالأخص بقيادة جعفر «عليه السلام» فإن ذلك يعني:

أن الدعوة قد بدأت تأخذ طريقها إلى القلوب في مناطق لا تخضع لقريش، وسلطانها، ونفوذها.

كما أنه إنذار لها بلزوم التحرك بسرعة قبل أن يفوت الأوان.

ولكن كيف؟ وأنى؟ . وهذا أبو طالب، ومعه الهاشميون والمطلبون يمنعون محمدا ويحوطونه، فلا بد إذن من الانتظار.

من مواقف أبي طالب:

وكان أبو طالب شيخ الأبطح «عليه السلام» هو الذي حامى وناصر النبي «صلى الله عليه وآله»، وحدث عليه منذ طفولته، وحتى الآن: فقد نصره بيده ولسانه، وواجه المصاعب الكبيرة، والمشاق العظيمة في سبيل الدفع عنه، والذود عن دينه ورسالته، وإعطائها الفرصة للتوسع والانتشار، ما وجد إلى ذلك سبيلا.

وهو أيضا الذي كان يقدمه على أولاده جميعا، وقد أرجعه بنفسه من بصرى إلى مكة عند ما حذره بحيرا من اليهود عليه «صلى الله عليه وآله» .

نعم، وهو الذي رضي بعداء قريش له، وبمعاناة الجوع والفقر، والنبد الاجتماعي، ورأى الأطفال يتضاغون جوعا، حتى اقتاتوا ورق الشجر، بل لقد عبر صراحة:

عن أنه على استعداد لأن يخوض حربا طاحنة، تأكل الأخضر واليابس، ولا يسلم محمدا لهم، ولا يمنعه من الدعوة إلى الله، بل هو لا

يطلب منه ذلك على الأقل.

وهو الذي يقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش وفراعنتها، حينما جاءه النبي «صلى الله عليه وآله» -وقد ألقت عليه قريش سلا ناقة- فأخذ «رحمه الله» السيف، وأمر حمزة بأن يأخذ السلا، وتوجه إلى القوم، فلما رآوه مقبلا عرفوا الشرفي وجهه، ثم أمر حمزة أن يُلطخ سبالهم، واحدا واحدا، ففعل (1).

وفي نص آخر: أنه نادى قومه، وأمرهم بأن يأخذوا سلاحهم؛ فلما رآه المشركون أرادوا التفرق؛ فقال لهم: «و رب البنيّة، لا يقوم منكم أحد إلا جللته بالسيف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبي ذلك حتى أدماها- و فاعل ذلك هو ابن الزبعرى- وأمر بالفرث و الدم على لحاهم (2).

وفي الشعب كان يحرس النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه وينقله من مكان إلى آخر.

ويجعل ولده عليا «عليه السلام» في موضع النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى إذا كان أمر، أصيب ولده دونه وقد خاطب «رحمه الله» في هذه المناسبة عليا «عليه السلام» بأبيات معبرة.

ص: 353

1- الكافي نشر مكتبة الصدوق ج 1 ص 449 ومنية الراغب ص 75 وراجع السيرة الحلبية ج 1 ص 291 و 292 و السيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج 1 ص 202 و 208 و 231 و البحار ج 18 ص 259.

2- راجع: الغدير ج 7 ص 388 و 359 و ج 8 ص 3-4 و أبو طالب مؤمن قريش ص 73 كلاهما عن العديد من المصادر و ثمرات الأوراق ص 285 و 286 و نزهة المجالس ج 2 ص 122 و الجامع لأحكام القرآن ج 6 ص 405، 406 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 24 و 25.

و أجابه علي «عليه السلام» بمثلها (1) فلتراجع.

و كان يدفع قريشا عنه باللين تارة، وبالشدة أخرى، و ينظم الشعر السياسي، ليشير العواطف، و يدفع النوازل، و يهيئ الأجواء لإعلاء كلمة الله، و نشر دينه، و حماية أتباعه.

و قد افتقد النبي «صلى الله عليه و آله» مرة «فلم يجده؛ فجمع الهاشميين، و سلّحهم، و أراد أن يجعل كل واحد منهم إلى جانب عظيم من عظماء قريش ليفتك به، لو ثبت أن محمدا أصابه شر» (2).

كل ذلك في سبيل الدفع عن الرسول الأعظم «صلى الله عليه و آله» و نصر دينه، و إعلاء كلمته، و رفعة شأنه.

و واضح: أن الإمام بكل مواقف أبي طالب، و تضحياته الجسام يحتاج إلى وقت طويل، و جهد مستقل و نحن نكتفي بهذه الإشارة، و نعترف أننا لم نقض حقه كما ينبغي و ذلك من أجل أن نوفر الفرصة لبحوث أخرى في السيرة النبوية الشريفة.

ص: 354

-
- 1- المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 64 و 65 و أسنى المطالب ص 21 و لم يصرح باسم {علي} و كذا في السيرة الحلبية ج 1 ص 342 و راجع البداية و النهاية ج 3 ص 84 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 44 و دلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج 2 ص 312 و تاريخ الإسلام ج 2 ص 140 و 141 و الغدير ج 7 ص 363 و 357 و 358 و ج 8 ص 3 و 4 و أبو طالب مؤمن قريش ص 194.
 - 2- قد مر ذلك في أثناء الحديث عن الإسراء و المعراج، راجع: تاريخ يعقوبي ج 2 ص 26. أبو طالب مؤمن قريش ص 171 و منية الراغب ص 75 و 76 و الغدير ج 2 ص 49 و 350 و 351.

مع تضحيات أبي طالب عليه السلام:

مما تقدم يظهر أن أبا طالب، شيخ الأبطح، كان قد:

1-تخلّى حتى عن مكانته في قومه، إلى بديل آخر هو في الاتجاه المضاد تماماً، وهو العداء لهم، وسائر أهل بلده، بل و الدنيا بأسرها، بل هو يتحمل النفي و النبذ الاجتماعي له، و لكل من يلو ذبه، و لا يستسلم للضغوط المتنوعة التي يتعرض لها، و لا تلين قناته، و لا تصدع صفاته.

2-رضي بتحمل الجوع و الفقر و المحاصرة الاقتصادية، بل هو يبذل أمواله و كل ما لديه في سبيل هذا الدين.

3-وطّن نفسه على خوض حرب طاحنة، ربما تنتهي بإبادة الهاشميين و أعدائهم، إذا لزم الأمر.

4-ضحى حتى بولده الأصغر سناً عليّ «عليه السلام» و تحمل آثار غربة ولده الآخر جعفر، المهاجر إلى الحبشة.

5-جاهد بيده و لسانه، و استخدم كل ما لديه من إمكانيات مادية و معنوية، و لا يبالي بالصعاب و المشاق كافة، و هو يدافع عن هذا الدين، و يحوطه بالرعاية و العناية، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

سؤال و جوابه:

و يرد سؤال، هو: لماذا لا يكون ذلك كله بدافع عاطفي، و نابعا عن حمية النسب و القبيلة؟ !

ص: 355

أو على حد تعبير البعض: بدافع من «حبه الطبيعي»؟ (1).

و جوابه:

1- ما يأتي من أدلة قاطعة على إيمان أبي طالب عليه الصلاة والسلام ولا سيما أشعاره وتصريحاته الدالة على ذلك، هذا بالإضافة إلى ما ورد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعن الأئمة «عليهم السلام» من ولده في ذلك. .

2- يؤيد ذلك أنه إذا كان محمد «صلى الله عليه وآله» ابن أخيه؛ فإن عليا «عليه السلام» ولده، فلو كانت العاطفة النسبية هي الدافع، فلماذا يضحى بولده دون ابن أخيه، طائعا مختارا، بعد تفكير وتأمل وتدبر لعواقب ذلك؟ ولماذا يرضى بأن يكون الاغتيال-لو تم-موجها له دونة؟! !

أم يعقل أن يكون حبه الطبيعي لابن أخيه أكثر منه لولده، وفلذة كبده؟! .

3- لو كانت الحمية القبلية، و الرابطة النسبية، هي السبب في موقفه ذاك، فأولا:

لماذا لم تدفع أبا لهب لعنه الله لأن يقف أيضا موقف أبي طالب «عليه السلام» ؛ فيدفع عن النبي «صلى الله عليه وآله» ، ويضحى في سبيله؛ حتى بولده، وبمكانته، وبكل ما يملك؟! .

بل لقد رأيناه من أشد الناس على النبي «صلى الله عليه وآله» ، وأكثرهم جراءة عليه، وإيذاء له.

و أما سائر بني هاشم فإنهم وإن دخلوا الشعب مع النبي «صلى الله

ص: 356

1- تفسير ابن كثير ج 3 ص 394.

عليه وآله» إلا أن توضيحاتهم في سبيل النبي لم تبلغ عشر معشار توضيحات أبي طالب، كما أنهم إنما وقفوا هذا الموقف تحت تأثير نفوذ أبي طالب، وإصراره. .

بل لماذا يدفع الحب الطبيعي أبا طالب للتضحية بولده علي، وإخوته، بل بسائر بني هاشم في سبيل ابن أخيه؟! . .

وهكذا يتضح: أن حماية الدين أقوى من حماية النسب، ولذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم وأولادهم في سبيل دينهم.

وقد استأذن عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقتل أبيه (1). .

وفي صفين أيضا لم يرجع الأخ عن أخيه حتى أذن له أمير المؤمنين «عليه السلام» بتركه (2) وقد قتل أهل الكوفة إخوانهم وأبناءهم حين أصبحوا خوارج (3) إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة.

4- ثم إنه لو كان أبو طالب يفعل ذلك من أجل الدنيا؛ فقد كان يجب أن يضحي بابن أخيه دون ولده، ويضحي به دون عشيرته؛ لأنه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؛ كما قتل المأمون أخاه، وسممت أم الهادي ولدها، لا أن يضحي بكل شيء دونه، ويصر على ذلك حتى لو كانت النتيجة هي:

ص: 357

1- تفسير الصافي ج 5 ص 180 و السيرة الحلبية ج 2 ص 64 و الدر المنثور ج 6 ص 24 عن عبد بن حميد، و ابن المنذر و الإصابة ج 2 ص 336.

2- صفين للمنقري ص 271 و 272.

3- راجع: كتابنا: عليّ و الخوارج ج 2 ص 77 فما بعدها.

خوض حرب تؤدي إلى قتله وجميع من معه من أهل وأحبة، فإن هذا لا يصح في منطق المصالح الدنيوية بأية صورة على الإطلاق.

5-وأيضا، فإن الحماية القبلية-لو كانت-فإنما تؤثر أثرها في حدود مصالح القبيلة، والحفاظ على شؤونها، ومستقبلها أما إذا كانت هذه الحماية سببا في تدمير القبيلة والقضاء عليها، وتعطيل مصالحها، وتعرض مستقبلها للأخطار الجسام؛ فإن هذه الحماية لا يمكن أن يفسح لها المجال، ولا أن يظهر لها أثر لدى عقلاء الرجال.

وهكذا يتضح: أننا لا يمكن أن نفسر موقف أبي طالب «عليه السلام» تلك، إلا على أنها بدافع عقيدي وإيماني راسخ، يدفع الإنسان للبذل والعطاء، لكل ما يملك في سبيل دينه وعقيدته.

فصلوات الله وسلامه عليك يا أبا طالب، يا أبا الرجال، ويا رائد قوافل التضحية والفداء، في سبيل الحق والدين، ورحمة الله وبركاته.

عام الحزن:

وفي السنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الرجل العظيم، أبي طالب عليه الصلاة والسلام، ففقد النبي «صلى الله عليه وآله» بفقدته نصيرا قويا، وعزيزا وفيا، كان هو الحامي له، والدافع عنه، وعن دينه، ورسالته، كما أشرنا إليه.

ثم توفيت بعده بمدة وجيزة-قليل: بثلاثة أيام، وقليل بعده بحوالي شهر (1) خديجة أم المؤمنين صلوات الله وسلامه عليها، أفضل أزواج النبي

ص: 358

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 346 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 132 البداية والنهاية ج 3 ص 127 والتنبيه والإشراف ص 200.

الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وأحسنهن سيرة وأخلاقاً مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد كانت بعض نساء النبي «صلى الله عليه وآله» و «آله» {وهي عائشة} تغار منها غيرة شديدة، كما سنرى، رغم أنها لم تجتمع معها في بيت الزوجية، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تزوجها بعد وفاة خديجة بزمان (1).

ونستطيع أن نعرف: كم كان لأبي طالب، ولخديجة «عليهما السلام» من خدمات جلّى في سبيل هذا الدين من تسمية النبي «صلى الله عليه وآله» عام وفاتهما ب: «عام الحزن» (2).

الحب في الله والبغض في الله:

ومن الواضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ينطلق في حبه لهما، وحزنه عليهما من مصلحته الشخصية، أو من عاطفة رحمية، وإنما هو يحب في الله تعالى، وفي الله فقط.

ويقدّر أي إنسان، ويحزن لفقده، ويرتبط به روحياً وعاطفياً، بمقدار ارتباط ذلك الإنسان بالله، وقربه منه، وتقانيه في سبيله، وفي سبيل دينه

ص: 359

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 127-128 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 133-135 صحيح البخاري ج 2 ص 202 و كتاب عائشة للعسكري ص 46 فما بعدها. وقد ذكرنا بعض المصادر لذلك في ما يأتي في فصل: حتى يبعث العقبة، حين الكلام حول جمال عائشة وحظوتها.

2- سيرة مغلطاي ص 26 و تاريخ الخميس ج 1 ص 301 و المواهب اللدنية ج 1 ص 56 و السيرة النبوية لدحلان ج 1 ص 139 ط دار المعرفة وأسنى المطالب ص 21.

أي أنه «صلى الله عليه وآله» لم يتأثر على أبي طالب وخديجة؛ لأن هذه زوجته وذاك عمه.

وإلا فقد كان أبو لهب عمه أيضا، وإنما لما لمسهم فيهما من قوة إيمان، وصلابة في الدين، وتضحيات وتقان في سبيل الله، والعقيدة، وفي سبيل المستضعفين في الأرض ولما خسرتهم الأمة فيهما، من جهاد وإخلاص قلّ نظيره في تلك الظروف الصعبة والمصيرية.

وقد ألمح النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ذلك حينما جعل موت أبي طالب وخديجة مصيبة للأمة بأسرها، كما هو صريح قوله في هذه المناسبة: «... اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعا» (1).

نعم، وذلك هو الأصل الإسلامي الأصيل، الذي قرره الله تعالى بقوله: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ . (2) وهل ثمة محادة لله ولرسوله أعظم من الشرك، الذي عبر الله عنه بقوله: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (3) وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ . ؟! (4).

والآيات والروايات التي تؤكد على الحب في الله والبغض في الله كثيرة

ص: 360

1- تاريخ يعقوبي ج 2 ص 35 ط صادر.

2- الآية 22 من سورة المجادلة.

3- الآية 13 من سورة لقمان.

4- الآية 48 من سورة النساء.

تفوق حد الحصر في عجالة كهذه.

وعلى هذا الأساس قال الله تعالى لنوح عن ولده: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ . (1).

وقال تعالى حكاية لقول إبراهيم «عليه السلام» : فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي (2) وعلى هذا الأساس أيضا كان سلمان الفارسي من أهل البيت.

قال «صلى الله عليه وآله» : سلمان منا أهل البيت (3).

وقال أبو فراس:

كانت مودة سلمان لهم رحما ولم تكن بين نوح وابنه رحم

ص: 361

1- الآية 46 من سورة هود.

2- الآية 36 من سورة إبراهيم.

3- مصادر هذا الحديث مذكورة في كتابنا سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

1-الفهرس الإجمالي

2-الفهرس التفصيلي

ص: 363

1-الفهرس الإجمالي

الفصل الثاني: روايات بدء الوحي 5-40

الفصل الثالث: الدعوة في مراحلها الأولى 41-86

الباب الثاني: حتى وفاة أبي طالب عليه السّلام

الفصل الأول: الإسراء و المعراج 89-146

الفصل الثاني: انذار العشيرة 147-196

الفصل الثالث: حتى الهجرة إلى الحبشة 197-238

الفصل الرابع: هجرة الحبشة 239-274

الفصل الخامس: حتى الشعب 275-324

الفصل السادس: في شعب أبي طالب عليه السّلام 325-362

الفهارس 363-375

ص: 365

2-الفهرس التفصلي

الفصل الثاني: روايات بدء الوحي

ما روي في بدء الوحي:7

مناقشة روايات بدء الوحي:13

إشارة:19

و ثمة أسئلة أخرى:28

و من الطعن في النبوة أيضا:29

ما هو الصحيح في قضية بدء الوحي؟ 32!

لماذا الكذب و الإفتعال إذن؟ 33!

النتيجة:39

الفصل الثالث: الدعوة في مراحلها الأولى

أول من أسلم:43

بعض ما جاء في سبق علي عليه السلام إلى الإسلام:47

تصريحات أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك:49

دليل آخر:50

خاتمة المطاف:51

ص: 367

القول بأن خديجة أول من أسلم: 52

أبو بكر، وسبقه إلى الإسلام: 53

طريق جمع فاشل: 61

هدف الورعين {!!!} من الجمع بين الروايات 63

تنبيه: 64

مقارنة، وهدف: 65

من أسلم بدعاية أبي بكر؟ 66

سر التأكيد على دور أبي بكر: 72

هل عمير بن أبي وقاص من السابقين؟ 73

إسلام أبي قحافة: 73

الدعوة في مراحلها، التي اجتازتها: 74

المرحلة السرية: 75

النبي صلى الله عليه وآله في دار الأرقم: 76

قريش لا تهتم لمرحلة ما قبل الإعلان: 78

إسلام أبي ذر رحمه الله: 78

ما يستفاد من حديث إسلام أبي ذر: 81

الباب الثاني: حتى وفاة أبي طالب عليه السلام

الفصل الأول: الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج 91

ص: 368

متى كان الإسراء و المعراج؟ 92!

الأدلة على المختار: 94

تسمية أبي بكر بالصدیق 100

الإسراء و المعراج في القیطة أو في المنام؟ 101!

الإسراء و المعراج في القرآن: 104

توضیح: 106

الداعية الحكيم: 107

لا تدركه الأبصار: 108

الإسراء من المسجد: 115

موسی، و فرض الصلوات الخمس: 115

استبعاد الإسراء و المعراج: 121

من أهداف الإسراء و المعراج: 122

الأذان: 125

اليهود و المسجد في القرآن: 125

مفاد الآيات إجمالاً: 126

ضرب القاعدة، و إعطاء الضابطة: 127

أقوال الرواة و المفسرين: 131

رأي العلامة الطباطبائي رحمه الله: 133

رأي آخر في الآيات: 135

ص: 369

رأي آخر: 136

و ثمة رأي آخر أيضا: 139

ماذا تقول الروايات؟ 139!

الرأي الأمثل: 140

القمييون يقاتلون الإسرائيليين: 142

الغرب وإسرائيل: 143

الحروب الطويلة و الصعبة: 143

الفلسطينيون و الأرض: 144

الفصل الثاني: انذار العشيرة

أهداف الإسلام: 149

الحاجة إلى الوزير و الوصي: 150

و أنذر عشيرتاك الأقربين: 152

التعصب الأعمى: 155

ابن تيمية، و حديث الدار: 156

الرد على ابن تيمية: 157

نقاط هامة في حديث الإنذار 164

أ-روايات لا يمكن أن تصح: 164

ب-ما المراد بكونه خليفته في أهله: 166

ج-لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة؟! : 167

ص: 370

د-علي عليه السلام في يوم الإنذار: 169

ه-موقف أبي طالب رحمه الله: 170

و-موقف أبي لهب: 170

ز-الإنذار أولاً: 171

ح-ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله في يوم الإنذار؟! : 173

ط-التبشير والإنذار: 174

ي-أخي ووصيي: 175

آخر حملات التشكيك في حديث الإنذار: 176

مناقشة ما تقدم: 185

الفصل الثالث: حتى الهجرة إلى الحبشة

فاصدع بما تؤمر: 199

المفاوضات الفاشلة: 201

أقرش لم تصل إلى نتيجة: 203

ب: سر استكبار قرش: 204

ماذا بعد فشل المفاوضات؟ 206

المعذبون في مكة: 209

مع المعذبين أيضاً: 209

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر: 210

هل عذب المشركون أبا بكر؟! 217

ص: 371

ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيساً؟! :219

ملاحظة أخيرة: 220

أول شهيد في الإسلام من آل ياسر: 221

عمار بن ياسر: 223

التقية في الكتاب و السنة: 223

ملاحظة: 224

و أما من السنة، فنذكر: 225

و أما التقية في التاريخ: 227

التقية ضرورة فطرية عقلية دينية إصلاحية: 235

الفصل الرابع: هجرة الحبشة

لا بد من حل: 241

سر اختيار الحبشة: 242

الهجرة إلى الحبشة: 244

أمير الهجرة جعفر: 246

من هو أول مهاجر إلى الحبشة؟: 246

هجرة أبي موسى إلى الحبشة لا تصح: 247

رقة عمر للمهاجرين: 248

هجرة أبي بكر لا تصح: 249

فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره: 254

ص: 372

محاولة قريش اليانسة: 255

قريش، و خططها المستقبلية: 258

الثورة على النجاشي: 260

عودة بعض المهاجرين: 261

قصة الغرائق: 261

تساؤلات حائرة: 271

حقيقة الأمر: 272

الفصل الخامس: حتى الشعب

تناقضات في تاريخ إسلام حمزة عليه السلام: 277

إسلام حمزة عليه السلام: 277

إسلام حمزة كان عن وعي لا حمية: 280

سر جبن أبي جهل في مواجهة حمزة عليه السلام: 280

ملاحظة هامة: 282

عبس و تولى: 282

المذنب رجل آخر: 288

سؤال و جوابه: 289

الرواية الصحيحة: 290

إتهام عثمان: 291

تاريخ هذه القضية: 292

ص: 373

أعداء الإسلام وهذه القضية: 292

أكاذيب أخرى مشابهة: 292

قضية إسلام عمر بن الخطاب: 295

وثمة أو سمة أخرى: 299

1- متى كان إسلام عمر؟! 300

متى أسلم عمر إذن؟! 300

2- من سمى عمر بالفاروق؟! 306

3- هل كان عمر قارئاً؟! 307

4- هل عز الإسلام بعمر حقاً؟! 311

5- غسل عمر لمس الصحيفة: 318

6- نزول آية في إسلام عمر: 319

ملاحظات أخيرة: 320

خاتمة المطاف: 322

الفصل السادس: في شعب أبي طالب عليه السلام

المقاطعة: 327

أموال خديجة، و سيف علي عليهما السلام: 330

حكيم بن حزام وعواطفه تجاه المسلمين: 332

انشقاق القمر: 334

شبهة، و حلها: 336

ص: 374

انشقاق القمر: الحدث الكبير 339

إمكان الانشقاق و الالتئام علميا 341

دلالة الآية القرآنية على ذلك 343

الأساطير 346

نقض الصحيفة 346

حنكة أبي طالب، وإيمانه 348

القبلية و آثارها 349

ما بعد نقض الصحيفة 350

وفد من الحبشة 351

من مواقف أبي طالب 352

مع تضحيات أبي طالب عليه السلام 355

سؤال و جوابه 355

عام الحزن 358

الحب في الله و البغض في الله 359

الفهارس 363

1-الفهرس الإجمالي 365

2-الفهرس التفصيلي 367

ص: 375

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصحان
الغمامي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايضاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

